دولة ليبيا
وزارة التعليم
مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية

تاريخ الوطن العربي في العصر الوسيط

للسنة الثانية بمرحلة التعليم الثانوي

(القسم الأدبي)

إعداد

لجنة متخصصة بتكليف من

مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية

1440 - 1441 هـ

2019 - 2020 م

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

حقوق الطبع محفوظة
لمركز المناهج التّعليميَّة والبحوث التَّربويَّة

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الفهرس

الموضوعات	الصفحة
المقدمة	VII
الفصل الأول: ظهور الإسلام	1
سيرة الرسول محمد ﷺ قبل البعثة	4
نزول الوحي وبعثته ﷺ	6
الإسلام في مكة: الصراع مع المشركين	8
• نشر الدعوة سرًا	8
• الجهر بالدعوة	8
• معارضة قريش للدعوة	8
• الهجرة إلى الحبش	9
• الهجرة إلى يثرب (المدينة النبوية)	13
دولة الرسول ﷺ في المدينة النبوية	15
أ) التنظيمات الإدارية	15
ب) المواجهات مع الأعداء	16
1. غزوة بدر الكبرى	17
2. غزوة أحد	18
3. غزوة الأحزاب (الخندق)	18
4. الهدنة مع قريش (صلح الحديبية)	19
ج) الاتصالات الخارجية:	21
• سرية مؤتة	21
• فتح مكة	22
• غزوة حنين	22
وفاة الرسول ﷺ	26
مظاهر الحياة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ	27
• المظاهر السياسية	27
• المظاهر الاجتماعية	27
• المظاهر الاقتصادية	28
• المظاهر الإدارية في عهد الرسول ﷺ	28
• المظاهر العلمية	29
• المظاهر العمرانية	29
• المظاهر العسكرية	29
الدروس المستفادة من حياة الرسول ﷺ	30
أسئلة تطبيقية	33

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الفصل الثاني: عصر الخلفاء الراشدين	**35**
خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه	37
خلافة عمر بن الخطاب ﷺ	44
• انتشار الإسلام في شمال إفريقيا	51
• فتح ليبيا	52
خلافة عثمان بن عفان ﷺ	55
خلافة علي بن أبي طالب ﷺ	59
انتشار الإسلام في بلاد الشام والعراق وبلاد فارس	63
• العوامل التي دفعت المسلمين للفتح	63
• الصراع مع الفرس	63
• أسباب انتصار المسلمين على دولتي الفرس والروم	64
بلاد الحجاز بعد ظهور الإسلام	65
أسئلة تطبيقية	68

الفصل الثالث: قيام الدولة الأموية في بلاد الشام	**71**
1. معاوية بن أبي سفيان ﷺ وتأسيس الدولة الأموية	73
2. التطور السياسي والإداري في الدولة الأموية	73
3. الفتوحات الإسلامية في عهد الأمويين	79
4. العلاقات بين المسلمين والبيزنطيين	84
5. ضعف الدولة الأموية وسقوطها	86
أسئلة تطبيقية	88

الفصل الرابع: قيام الدولة العباسية	**89**
أولا: الدعوة ومراحلها	91
أ) المرحلة السرية	91
ب) المرحلة العلنية	94
جـ) أبو جعفر المنصور (المؤسس الحقيقي للدولة العباسية)	97
ثانيا: السمات المميزة للدولة العباسية	108
1. اعتبار الخلافة مؤسسة دينية	108
2. الاتجاه الشرقي للخلافة والدولة	108
3. تأكيد شرعية الخلافة العباسية	109
4. رعاية الحضارة الإسلامية	109
ثالثا: العصر العباسي الثاني: مرحلة التراجع والانهيار	115
أ) عوامل التفكك السياسي	115
1. ضعف شخصية الخلفاء وهيمنة العناصر الأجنبية على الحكم	115

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

2. اتساع الدولة وترامي أطرافها	120
ب) ضعف الموارد الاقتصادية	121
رابعا: جهاد العالم الإسلامي ضد الصليبيين والمغول	123
1. الحرب الصليبية	123
• تصدي الدولة الإسلامية للغزو الصليبي	126
2. الغزو المغولي	135
• التصدي الإسلامي للعدوان المغولي	143
أسئلة تطبيقية	146

الفصل الخامس: المغرب والأندلس خلال العهد العباسي	**147**
(أ) بلاد المغرب	149
1. التطورات السياسية العامة	149
2. قيام الدويلات المستقلة بالمغرب.	150
أ) الإمارة الرستمية	150
ب) إمارة الأدارسة	152
جـ) إمارة الأغالبة	154
د) الدولة الفاطمية	156
هـ) إمارة بني زيري	163
قيام أسرات حاكمة في داخل الأراضي الليبية في العصر الوسيط	166
و) دولة المرابطين	171
ز) دولة الموحدين	174
(ب) الأندلس	178
1. الدولة الأموية في الأندلس	178
2. ملوك الطوائف	179
3. مملكة غرناطة في الأندلس	180
أ) دولة الحفصيين (المغرب الأدنى)	183
ب) دولة بني عبد الواد الزيانيين (المغرب الأوسط)	186
جـ) دولة بني مرين (المغرب الأقصى)	188
• سقوط غرناطة وإخراج المسلمين من الأندلس	190
• انتشار الإسلام في شرق أفرقيا	190
دور العرب في نشر الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء	192
1. الدعاة العرب المسلمون	192
2. الطرق الصوفية	192
أ) القادرية	191
أسئلة تطبيقية	195

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الفصل السادس: المنطقة العربية منذ سقوط بغداد وحتى مجيء العثمانيين	**197**
أولا: حكم المغول في العراق	199
ثانيا: حكم المماليك في مصر والشام	203
ثالثا: في المغرب والأندلس	208
أسئلة تطبيقية	209

الفصل السابع: الحضارة العربية الإسلامية	**211**
• النظم الإدارية والمالية.	213
أ) الخلافة.	213
ب) الوزارة.	215
ج) الإمارة.	218
د) الدواوين.	220
هـ) البريد.	221
و) الموارد المالية.	222
• الحياة الاجتماعية والاقتصادية	226
أ) الحياة الاجتماعية.	226
ب) الحياة الاقتصادية.	229
• الحياة الثقافية.	234
أ) العلوم.	234
ب) الآداب.	237
ج) الفنون والعمارة.	243
• المراكز الحضارية	247
أ) مدينة بغداد.	247
ب) مدينة دمشق.	247
ج) مدينة القاهرة.	248
د) مدينة القيروان.	248
هـ) مدينة فاس.	248
و) مدينة قرطبة.	249
• أثر الحضارة العربية و الإسلامية على النهضة الأوروبية	251
أسئلة تطبيقية	255

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله ومن تبعه.

وبعد:

قال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾ من سورة طه.

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله،

وبعد

لقد أنعم الله علىٰ الأمة العربية منذ قديم الزمان بأرض معطاة، وطبيعة ساحرة، ومياه جارية، ومناخ معتدل، وموقع متوسط، وفيها نشأت الحضارات القديمة منذ آلاف السنين والتي لازالت آثارها باقية حتىٰ يومنا هذا.

ولقد أكمل الله نعمه علىٰ الأمة عندما شرفها بالإسلام، فكان هذا الدين منقذ لها من الشرك والضلال، ومقوما لها من الانحراف والضياع، ودليلا لها نحو التطور والرقي والتقدم، حيث قام العرب بأعباء نشر هذه الرسالة الخالدة إلىٰ الناس كافة والعالمين عامة، فكانوا عند حسن الظن بهم وأهلا للأمانة.

لم تقتصر موارد وأصول الحضارة العربية الإسلامية علىٰ تراث العرب القديم بل تعداه إلىٰ الحضارات غير العربية كالفارسية والرومانية والهندية والصينية.

وقد امتزج الإسلام بهديه وتعاليمه السمحاء مع تراث العرب القديم فجاءت الحضارة العربية الإسلامية نتاجا لهذه الجهود في صورة مكتملة شاملة مصقولة الجوانب.

وفي هذا الكتاب المقرر علىٰ الصف الثاني من المرحلة الثانوية العامة القسم الأدبي نضع بين أيدي زملائنا معلمي مادة التاريخ بهذه المرحلة، وأيدي أبنائنا طلاب وطالبات الصف الثاني ثانوي أدبي تفصيلا لتاريخ الإسلام في الوطن العربي طيلة فترة العصور الوسطىٰ (منذ ظهور الإسلام وانتشاره إلىٰ مطلع العصور الحديثة التي بدأت بقدوم العثمانيين).

ففي الفصل الأول تعرضنا لظهور الإسلام وانتشاره. وفيه ذكرنا وفاة الرسول

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

صلىٰ الله عليه وسلم وأثر ذلك.

وفي الفصل الثاني جاء الحديث عن عهد الخلفاء الراشدين كحلقة من حلقات تاريخ صدر الإسلام.

وفي الفصل الثالث تم شرح الظروف التي ولدت فيها الدولة الأموية وبعض من مظاهر تقدمها.

وفي الفصل الرابع تطرقنا بشيء من التفصيل لتاريخ الدولة العباسية ودورها في احتواء المسلمين كافة بين جناحيها.

وفي الفصل الخامس استعرضنا تاريخ المغرب والأندلس خلال عهد الدولة العباسية.

وفي الفصل السادس ألقينا نظرة فاحصة عن الحالة السياسية في البلاد العربية عقب سقوط بغداد بغزو المغول لها وحتىٰ قدوم العثمانيين.

وفي الفصل السابع والأخير جاء ذكر الحضارة العربية الإسلامية خلال فترة العصور الوسطىٰ وأثر ذلك علىٰ أوروبا والعالم.

نأمل أن يكون الكتاب قدحقق الهدف وأشبع الرغبة في دراسة تاريخ الأمةالعربية الإسلامية لدىٰ أبنائها. والله الموفق

لجنة الإعداد

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الفصل الأول

ظهور الإسلام

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

شبه الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام (العصر الجاهلي)

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الفصل الأول: ظهور الإسلام

سبق وأن تعرفت علىٰ بعض من مظاهر الحياة عند العرب في شبه الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام (العصر الجاهلي)، وقد علمت الكثير عن حياتهم الدينية والسياسيةوالاقتصادية والاجتماعية.

انتشرت عبادة الأصنام والأوثان في بلاد العرب، بعد أن تركوا دين سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وإن بقىٰ القلة منهم علىٰ دين المسيحية واليهودية.

ولابد أن نذكر أبنائنا الطلبة أن العرب فقدوا دولهم وممالكهم التي ظهرت في جنوب شبه الجزيرة العربية بسبب الصراعات السياسية فيما بينهم، فسقطت فريسة لأطماع القوىٰ الأجنبية من الرومان والفرس والأحباش والتي اقتطعت جزء مهم من بلاد العرب.

هذا ولم يعرف العرب في بلاد الحجاز مكة ويثرب وما جاورها أي نظام سياسي سوىٰ النظام القبلي والعشائري، فشيخ القبيلة هو من يتولىٰ مسؤولية حماية قبيلته وتأمين حاجة القبيلة من الماء ومصادر الكلأ والدفاع عن حماها وعلىٰ أبناء القبيلة الانصياع لأوامره والتقيد بالعادات والعرف القبلي السائد.

كما أن التجارة وحرفة الرعي، كانا يشكلان مظهرًا اقتصاديًّا واضحًا عند العرب في شبه الجزيرة العربية.

أما عن الحياة الاجتماعية فالأسرة هي الركيزة الأساسية في المجتمع العربي، ناهيك عن رابطة الدم والقربىٰ التي تجمع أبناء القبيلة الواحدة، وارتباطهم اجتماعيًا واقتصاديًا ببقية القبائل الأخرىٰ.

ظلت الحياة العربية علىٰ وتيرة واحدة حتىٰ بزغت شمس الإسلام في مكة المكرمة وأشاعت بنورها علىٰ كامل بلاد العرب في شبه الجزيرة العربية، فقد بُعِث فيهم رسولا من بينهم داعيا إلىٰ وحدانية الله هاديًا إلىٰ سواء السبيل.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

سيرة الرسول محمد ﷺ قبل البعثة

مولده ونسبه ونشأته في مكة المكرمة:

ولد محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر العدناني في دار أبي يوسف المسماة بالبيضاء في مكة ببلاد الحجاز في عام الفيل (571 م) وتوفي والده قبل ولادته فنشأ في كفالة جده عبد المطلب وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف من بني زهرة، وعلىٰ عادة العرب في شبه الجزيرة العربية عُهِد بإرضاعه إلىٰ أحد السيدات وتدعىٰ حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية، وفي السادسة من عمره توفيت أمه السيدة آمنة، فكفله جده عبد المطلب وتوفي وحفيده في العاشرة من عمره، فتولىٰ تنشئته عمه أبوطالب.

عُرف محمد بن عبد الله أن بأمانته ونزاهته وصدقه في القول والعمل بين قومه فسموه بالصادق الأمين ومن شيمه النبيلة الخلق الحسن والصبر والشجاعة والإقدام والحلم.

عمل محمد صلىٰ الله عليه وسلم في صباه في حرفة الرعي واشتغل بالتجارة في مكة وفي بلاد الشام، فاكتسب خبرة واسعة مكّنته من توسيع مداركه الفكرية والروحية، شب وبلغ مبلغ الرجال ولم يعبد وثنًا أو صنمًا ولم يرتاد مجالس اللهو وشرب الخمر كما كان يفعل أقرانه وبقية قومه في قريش.

زواجه:

تزوج محمد بن عبدالله بالسيدة خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزىٰ امرأة ذات شرف ومال تميزت برجاحة العقل والحكمة، كان محمد صلىٰ الله عليه وسلم قبل زواجه بها يشرف علىٰ تجارتها في بلاد الشام، وكان يصحب معه في رحلته مولىٰ خديجة ميسرة. كان كثيرا ما يُحَدِّث خديجة بما عرفه عن رفيقه من خصال حميدة فأعجبت بخصاله وأرسلت له من يحدثه في أمر زواجهما، فقبل العرض وتزوج من خديجة وهو في سن الخامسة والعشرين وانجبت له سائر أولاده ماعدا إبراهيم فأمه مارية القبطية.

مكانة محمد بن عبد المطلب في قريش قبل البعثة المحمدية:

ومن الشواهد التي تبين مكانة محمد عليه الصلاة والسلام قبل البعثة، حادثة تجديد بنيان الكعبة وهي من أهم الأحداث التي شهدها في مكة، وتناقلها العرب في

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

أخبارهـم.

كان قـد دب الخـلاف بيـن القبائـل المجتمعـة في مكـة في أيهمـا ينـال شـرف إعـادة الحجر الأسـود إلىٰ مكانـه، واشـتد الخـلاف بينهـم؛ ثـم رأوا أن يتحاكمـوا إلـىٰ أول الداخليـن إلىٰ البيـت الحـرام، فـكان هـذا الداخـل محمـد الصـادق الأميـن وطلبـوا منـه أن يكـون الحكـم بينهـم، فبسـط ثوبـه وأخـذ الحجـر الأسـود بيـده ووضعـه في وسـط الثـوب وأمـر كل قبيلـة أن تمسـك بجانـب منـه، فقبلـوا مـا أمرهـم بـه، ورفعـوه جميعـا إلـىٰ موضعـه فأخـذه صلىٰ الله عليـه وسـلم ووضعـه في مكانـه.

نساء كان لهن دور في رعاية محمد بن عبد الله بن عبد المطلب في طفولته وصباه:

1. مرضعته السيدة حليمةبنت أبي ذؤيب من بني سعد بن بكر بن هوازن، هي التي أرضعت محمد بن عبد الله ثم أرجعته إلىٰ أمه في مكة المكرمة.
2. حاضنة محمد بن عبد الله اسمها بركة بنت ثعلبة بن عمر بن حصن بن مالك بن عمر النعمان، وهي أم أيمن الحبشية، مولاة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وحاضنته، وأضحت زوجًا لزيد بن حارثة، وأمًا للشهيد «أيمن بن عبيد الخزرجي» استشهد يوم حنين، وأمًا لفارس من فرسان الإسلام، وهوالحب بن الحب «أسامة بن زيد» رضي الله عنهما.

عاصرت أم أيمن مراحل الدعوة الإسلامية وكانت أحدىٰ المهاجرات إلىٰ الحبشة.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

نزول الوحي وبعثته ﷺ

خطا الرسول الكريم ﷺ خطواته الأولىٰ في البحث عن العبادة الصحيحة فلم يعبد صنما أو وثنا، وكان صلىٰ الله عليه وسلم كثيرا ما يتردد علىٰ غار حراء قرب مكة المكرمة ويقضي وقته في التأمل والتدبر، ولما بلغ الأربعين من عمره نزل عليه الوحي.

صور تبين مواقع بعض الأماكن المأثورة بمكة المكرمة منها موقع غار حراء وبعده عن بيت السيدة خديجة

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

كان بدء الوحي المنزل على محمد عليه الصلاة والسلام أن أمره جبريل عليه السلام أن يقرأ الخمس الآيات الأولى من سورة العلق:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ إِقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٣ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥

كانت تلك الحادثة بداية لرحلة جديدة في حياة الرسول الكريم ﷺ والناس جمعاء.

ورجع الرسول ﷺ إلى زوجته خديجة مضطربًا وأخبرها بما حدث له في الغار، فقالت له «أبشر يا ابن العم فإن الله لن يخزيك أبداً والله إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدي الأمانة إلى أن قالت له وإني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة» فكان موقفها عظيما هدأ من روع النبي، واصطحبت السيدة خديجة النبي الكريم إلى ابن عمها ورقة بن نوفل الذي تنصر في الجاهلية وعزف عن عبادة الأوثان وكان على علم من خلال دراسته للإنجيل وهو الكتاب الذي نزل على عيسى عليه السلام بأن هناك نبيًا سيبعث إلى البشرية وسيكون خاتم الأنبياء، فقص النبي صلى الله عليه وسلم ما حدث له في الغار، فقال له ورقة : إن الذي جاءك ليقرئك هو الوحي الذي جاء المرسلين من قبلك وأن الله قد اصطفاك واختارك رسولا لهذه الأمة.

بطاقة تفكير

هل كان الرسول الكريم ﷺ قبل البعثة على علم ومعرفة بالديانات السماوية؟

كان لمحمد بن عبد الله دور كبير في مؤازرة ومساندة مجتمعه المكي قبل البعثة حاول أن تتعرف على سيرته ومكانته في قومه؟

بعد ذلك عاد الرسول ﷺ مرة أخرى إلى غار حراء ليتعبد فرأى جبريل على هيئته، فأسرع إلى بيته، وقال لأهله زملوني دثروني وما لبث أن نزل قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾ سورة المدثر الآيات (1 - 5).

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

ورقة بن نوفل

ورقة بن نوفل ابن عم السيدة خديجة بنت خويلد زوج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم اعتنق النصرانية وكان ملما بما جاء في كتب التوراة والإنجيل، لجأت إليه السيدة خديجة تخبره بما حدث مع زوجها محمد في غار حراء، فقال لها ورقة «... إنه لنبي هذه الأمة فقولي له فيثبت...»

الإسلام في مكة: الصراع مع المشركين

- **نشر الدعوة سرا:**

بدأ الرسول ﷺ دعوته في تكتم شديد وسرية تامة فآمنت به زوجه خديجة وبعض المقربين إليه من أصحابه وأقاربه مثل علي بن أبي طالب وزيد بن حارثة وأبي بكر الصديق، وكان لإسلام أبي بكر أثر كبير في إسلام بعض كبار الصحابة كعثمان بن عفان والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وأسلم بعد ذلك الأرقم بن أبي الأرقم الذي اتخذت داره مقرا للدعوة السرية.

- **الجهر بالدعوة:**

استمرت الدعوة الإسلامية سرية لمدة ثلاث سنوات حتىٰ نزل قوله تعالي: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿94﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿95﴾﴾ (سورة الحجر).

فبدأ الرسول ﷺ يجهر بالدعوة لمبادئ ثابتة تتمثل في:

1. الدعوة إلىٰ وحدانية الله دون سواه.
2. الإقرار بالبعث والحساب بعد الموت ومسؤولية الفرد عن أعماله.
3. اعتبار التقوىٰ أساسا لبناء قيم أخلاقية سامية بدلا من العصبية القبلية.
4. التأكيد علىٰ وحدة الرسالات السماوية واعتبار الدعوةالإسلامية تصديقا لماجاءبه الأنبياء والرسل وأن الإسلام خاتم هذه الديانات.

- **معارضة قريش للدعوة:**

لما جهر الرسول ﷺ بالدعوة لقي معارضة شديدة من زعماء قريش ومنهم عمه

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

(أبو لهب) فظهرت عداوة قريش للرسول الكريم ﷺ ومارسوا علىٰ صحابته صنوف من العذاب كما حدث لبلال بن رباح وعمار بن ياسر وترجع معارضة قريش إلىٰ الأسباب الآتية:

1. ظهور الدعوة الإسلامية سيؤدي إلىٰ القضاء علىٰ نفوذ قريش بين القبائل العربية حسب اعتقادهم
2. ضياع الأموال التي تحصل عليها قريش من تقديم القرابين للآلهة ومن التجارة.
3. تمسك قريش بعبادتها وعاداتها القديمة.
4. سنة الله في خلقه فلم يبعث رسول أو نبي إلا عارضه قومه ووقفوا ضد دعوته استعلاء وتكبراً وكفراً بالحق واتباعا للباطل، قال تعالىٰ: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿62﴾﴾ (سورة الأحزاب).

لهذه الأسباب مجتمعة عارضت قريش الدعوة الإسلامية وأخذت في إيذاء المسلمين ولكنها وقفت عاجزة عن إيذاء الرسول ﷺ لحماية الله له وذود عمه أبو طالب عنه ورغم ذلك واصل النبي صلىٰ الله عليه وسلم نشر دعوته علنا في مكة.

- **الهجرة إلى الحبشة:**

لما رأىٰ الرسول ﷺ شدة المعاناة والمكابدة التي يعانيها المسلمون، وقد اشتد إيذاء قريش لهم وضاقت عليهم مكة المكرمة، أشار الرسول الكريم ﷺ لأصحابه بالهجرة إلىٰ أرض الحبشة محدثهم قائلا لهم: "لوخرجتم إلىٰ أرض الحبشة فإن بها ملكا لايظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتىٰ يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه". فأعد عدد من الصحابة عدّتهم للخروج من مكة متجهين إلىٰ الحبشة في السنة الخامسة من بعثة النبي ﷺ وممن هاجر إلىٰ الحبشة عثمان بن عفان ومعه رقية بنت رسول الله ﷺ ومعهم ثلة من الصحابة وقد قيل إن عددهم عشرة من الرجال والنساء ثم لحق بهم عددا من المسلمين والمسلمات حتىٰ وصل عدد من هاجر ثلاثة وثمانين مهاجر.

أرسل الرسول الكريم ﷺ ابن عمه جعفر ومعه كتاب حمله إياه إلىٰ النجاشي ملك الحبشة يوصيه خيرا بالمهاجرين الفارين بدينهم من بطش كفار قريش.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

ارتبطت الحبشة بصلات تجارية وتاريخية مع بلاد الحجاز في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام.

علمت قريش بهجرة المسلمين إلىٰ الحبشة فبعثت بوفد إلىٰ الحبشة يترأسه رجلين هما عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص كانا محملين بهدايا للنجاشي والبطارقة قائلين له: إن هؤلاء المهاجرين ماهم إلا بضعة من السفهاء خالفوا دين آبائهم وخرجوا علىٰ طاعتهم فوجب ارجاعهم لأهلهم وعشيرتهم.

أذن ملك الحبشة للمهاجرين من مكة حضور مجلسه والاستماع لقضيتهم، فكان أول المتحدثين جعفر بن أبي طالب شرح حال العرب في مكة قبل الدعوة الإسلامية من عبادة الأوثان والأصنام وارتكاب الفواحش والآثام، وحالهم بعد إسلامهم وامتثالهم لما أمر الله به رسوله محمد ﷺ وقد دعاهم إلىٰ وحدانية الله والإيمان بالأنبياء والرسل وحثهم علىٰ مكارم الأخلاق ثم قرأ آيات من سورة مريم وما جاء فيها عن مولد المسيح عيسىٰ عليه السلام.

استمع النجاشي بكل جوارحه لحديث المسلمين، وأدرك إن هؤلاء الناس علىٰ الصراط السوي، حتىٰ أنه رفض تسليمهم وإرجاعهم إلىٰ أعدائهم كفار قريش، وقد أبلغهم أنهم آمنون في بلده الحبشة حتىٰ يأذن الله بأمرهم.

قوض موقف النجاشي كل محاولات قريش في ارجاع من هاجر من المسلمين، وأيقن كفار قريش إن أي محاولة لثني المسلمين عن دينهم لن تكون مؤثرة فاتبعت سياسة الحصار والتضييق علىٰ المسلمين في مكة وكتبت قريش صحيفة (عُلِّقَت في جوف الكعبة) قاطعت فيها بنو هاشم وحرضت بقية القبائل علىٰ مقاطعتهم مما اضطر المسلمين إلىٰ الخروج في شعاب مكة، وأقاموا علىٰ ذلك ثلاث سنوات.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

بقي عدد من المهاجرين بالحبشة حتىٰ السنة السابعة من الهجرة.

وكان **أول من هاجر من الرجال** إلىٰ الحبشة عشرة هم رضي الله عنهم وأرضاهم:

- حاطب بن عمرو
- جعفر بن أبي طالب
- عثمان بن عفّان رضيَ الله عنه.
- عبد الله بن عوف
- الزّبير بن العوام بن خويلد بن أسد أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة
- مصعب بن عمير بن هشام بن عبد مناف.
- أبو سلمة بن عبد الأسد بن مخزوم رضيَ الله عنه.
- عثمان بن مظعون بن حبيب بن عامر بن ربيعة.
- سهيل بن وهب بن ربيعة.
- أبو سبرة بن أبي رهم.

هاجرَت خمس نسوة هنَّ:

- رقيّة بنت النبيّ صلّىٰ الله عليه وسلّم مع زوجها عثمان بن عفّان رضيَ الله عنهما.
- سهلة بنت سهيل بن عمرو رضيَ الله عنها.
- أم سلمة رضيَ الله عنها.
- ليلىٰ بنت أبي حثمة رضيَ الله عنها.
- أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو رضيَ الله عنها.

حرض هشام بن عمرو بعض رجالات قريش علىٰ خرق الصحيفة فانضم إليه زهير بن أبي أمية من بني مخزوم ومطعم بن عدي سيد بيت نوفل بن عبد مناف وزمعة بن الأسود من بني أسد بن عبد العزىٰ والبختري بن هشام واتفقوا علىٰ تمزيق الصحيفة فتقدم مطعم لشقها فوجد الأرضة قد أكلتها ولم يبق منها سوىٰ عبارة باسمك اللهم.

توالت الأحزان علىٰ الرسول الكريم بوفاة عمه أبي طالب نصيره وسنده وكذلك وفاة زوجته السيدة خديجة وقد سمّي هذا العام بعام الحزن.

وفي هذا العام هذا ازداد إيذاء قريش للنبي الكريم وأصحابه، فعزم علىٰ الهجرة إلىٰ الطائف التي تقع جنوب مكة وأراد دعوة أهلها إلىٰ الإسلام، ولكنهم قابلوه بالسخرية

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

والاستهزاء حتىٰ إنهم سلطوا عليه صبيانهم، فرموه بالحجارة والقاذورات حتىٰ أدمت قدماه، ولما اشتد به الحال وتجرع الألم وتوالت عليه الشدائد رجع إلىٰ مكة المكرمة في جوار المطعم بن عديّ، فطاف بالبيت وصلّىٰ عنده.

إن حادثة إيذاء أهل الطائف للرسول الكريم محمد ﷺ هي من الحوادث الجسام، فقد جمعت بين الألم النفسي والأذىٰ الجسدي وفيها من العبر والدروس الكثير من المعاني السامية: الصبر علىٰ الشدائد، والثبات وصدق العزيمة وأعظمها الرحمة.

ثم عاد إلىٰ مكة فعززه الله وثبت قلبه بالإسراء به ﷺ من مكة المكرمة إلىٰ بيت المقدس حيث اجتمع بالأنبياء والمرسلين وعُرِجَ بِه إلىٰ السماء ورأىٰ عجائب الملكوت الأعلىٰ، داعيًا لله تعالىٰ وأصبح بيت المقدس قبلة المسلمين في صلاتهم حتىٰ تم تغييرها بعد الهجرة إلىٰ الكعبة (في مكة).

ولم ييأس الرسول الكريم ﷺ من نشر الدعوة، وبدأ يلتقي بالقبائل الوافدة إلىٰ مكة في مواسم الحج حيث قابل وفدا من سكان مدينة يثرب التي كانت تسكنها قبيلتان (الأوس والخزرج)، فأسلم بعضهم، وفي الموسم التالي تقابلوا معه مجددا في العقبة قرب منىٰ، وقد ازداد عددهم وبايعوه وعادوا ومعهم مصعب بن عمير ليقرئهم القرآن ويعلمهم أمور دينهم.

وفي السنة الثالثة عشرة للبعثة (سنة 53 من ميلاد الرسول) خرج من يثرب ثلاثة وسبعون من المسلمين قاصدين مكة في موسم الحج واجتمعوا مع الرسول ﷺ في العقبة حيث بايعوه وعاهدوه علىٰ حمايته ونصرته ودعوه إلىٰ الهجرة إلىٰ يثرب وتعرف هذه البيعة ببيعة العقبة الثانية).

نشاط فكري

- اكتب ملخص تاريخي عن حادثة نزول الوحي علىٰ الرسول الكريم ﷺ في غار حراء؟.
- صف موقف النجاشي من المهاجرين إليه من مكة المكرمة؟.
- لماذا اختار الرسول الكريم ﷺ أرض الحبشة لتكون ملاذا للمسلمين دون غيرها من البلدان؟

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

- **هجرة الرسول الكريم ﷺ إلى يثرب (المدينة النبوية):**

عندما علمت قريش بإسلام عدد من أهل المدينة من قبيلتي الأوس والخزرج ومبايعتهم للرسول صلىٰ الله عليه وسلم، أشتد أذىٰ كفار قريش للمسلمين في مكة وتأمروا علىٰ اغتيال الرسول ﷺ، واتفق أهل الكفر فيها علىٰ أن تقوم كل قبيلة بإرسال عدد من الرجال الأقوياء لقتله حتىٰ يضيع دمه بين هذه القبائل ولايستطيع أهله وعشيرته من بني هاشم الأخذ بثأره وفي ذلك يقول الله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ سورة الأنفال.

أخبر الرسول ﷺ رفيقه أبا بكر الصديق بأن الله أمره بالهجرة فطلب من نبي الله محمد أن يكون رفيقه في هجرته إلىٰ يثرب.

عهد النبي الكريم إلىٰ ابن عمه علي بن أبي طالب بالمبيت في فراشه وتأدية الأمانات التي كانت لديه لأصحابها من القريشيين، وما إن أطمان علىٰ قبول علي بما عهد إليه المصطفىٰ. تأهب بصحبة رفيقه أبابكر الصديق بالخروج خفية متجهين إلىٰ يثرب بعيدا عن أعين الكفار من مكة.

وبذلك فشلت خطة قريش في النيل من رسول الله ﷺ في مكة، فأرسلت خيرة فرسانها يقتفون أثره، إلا أنه تمكن من النجاة منهم حيث لجأ وصاحبه الصديق إلىٰ غار ثور وبقيا فيه ثلاث ليال، وكانت أسماء بنت أبي بكر الصديق تحمل إليهما الطعام خفية، وتأمر راعي الغنم بالسير وراءها لتضيع آثار قدميها فلا يهتدي بها الباحثون عن النبي ﷺ إلىٰ الغار حيث ينزل وصاحبه.

فشلت قريش في العثور علىٰ النبي ﷺ وأبي بكر وذلك لأنهما سلكا طريقاً غير مألوفة، إلىٰ أن وصل النبي ﷺ وصاحبه أبوبكر إلىٰ قباءحيث مكثا فيها أربعة أيام بلياليها وفي هذه الأيام أنشا مسجدها لأداء الصلاة والاجتماع بالمسلمين.

ثم وصلا إلىٰ يثرب، وسبقهما خبر ذهابهما إليها فخرج أهلها يستقبلون النبي وصاحبه في جموع كثيرة من قبيلتي الأوس والخزرج وكانوا يترقبون وصوله مهللين مستبشرين بمقدمه فرحين بذلك اليوم الذي شرفهم الله به بنصرة نبيه متعاهدين علىٰ نصرته ومؤازرته هو والمهاجرين من مكة، وقد سمي أهل المدينة بالأنصار.

عاهد أهل يثرب الرسول ﷺ علىٰ نصرته ومؤازرته، فسموا بالأنصار، وسمي من

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

هاجر من مكة إلىٰ يثرب بالمهاجرين، وهكذا أصبحت يثرب التي سميت بمدينة الرسول (المدينة النبوية) مركزا للدعوة الإسلامية ومعقلا للإسلام.

نشاط

يقوم الطلبة بمناقشة أحوال المدينة قبل وصول النبي الكريم ﷺ قادما إليها من مكة.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

دولة الرسول ﷺ في المدينة النبوية

أ) التنظيمات الإدارية:

وضع الرسول الكريم محمد ﷺ قواعد متينة لدولته الفتية في المدينة النبوية تقوم علىٰ العدل والمساواة والتسامح والتعايش السلمي في المجتمع الإسلامي الواحد.

كان أول عمل قام به الرسول الكريم ﷺ في المدينة النبوية بناء مسجد لأداء الصلاة في وقتها وجعله ملتقىٰ يجتمع فيه المسلمون يتدارسون فيه أمور دينهم ودنياهم.

حرص المصطفىٰ علىٰ إرساء أسس قوية لبناء مجتمع داخلي يسوده الوئام والتعاون، وقد ظهرت آثارها جلية، فسعىٰ إلىٰ تأمين دولته وسلامة المجتمع الواحد والذي شمل مهاجرين وأنصار ويهود ونصارىٰ.

كانت هذه الأسس التي أقام عليها الرسول محمد ﷺ الدولة في المدينة النبوية وبنىٰ عليها أول دستور إسلامي صيغ في صحيفة المدينة تهدف إلىٰ تنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع الإسلامي الواحد وقد اشتملت علىٰ (47) بندا.

قضىٰ الرسول صلىٰ الله عليه وسلم بعد وصوله إلىٰ المدينة علىٰ الخلافات والصراعات القبلية بين الأوس والخزرج وألف بين قلوبهم كما آخىٰ بين المهاجرين والأنصار، وساوىٰ بينهم في الحقوق والواجبات والمعاملات.

كما عقد النبي الكريم حلفا مع اليهود المقيمين في المدينة أقرهم فيه علىٰ دينهم وأمنهم علىٰ أموالهم ماداموا محافظين علىٰ العهود والمواثيق.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

ب) المواجهات مع الأعداء:

أذن الله للمسلمين بالقتال في سبيل نشر الدعوة فقال تعالىٰ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ سورة الحج.

كانت قريش تتابع أخبار المسلمين في المدينة، ساعية بشتىٰ الوسائل للانقضاض علىٰ الدولة الفتية، وعملت علىٰ تحريض القبائل في المدينة وخارجها علىٰ قتال المسلمين، كما منعت المهاجرين من دخول مكة المكرمة وحالت بينهم وبين أملاكهم وأموالهم، فكان ذلك داعيا إلىٰ أن يرد الرسول الكريم ﷺ عدوانهم وإيذائهم للمسلمين، ولذا قرر مواجهتهم وصدهم عن كيدهم ومكرهم بالمسلمين.

كماعزم الرسول ﷺ علىٰ وضع حد لمكائد اليهود ضد المسلمين، الذين لم يحفظوا العهود والمواثيق التي عقدوها بينهم وبين المسلمين في المدينة النبوية.

- **غزوات الرسول محمد ﷺ لصد كفار قريش ومنعهم من ايذاء المسلمين:**

بعد أن استقر المسلمون في المدينة، بدأ الرسول الكريم ﷺ يحث المسلمين علىٰ الأخذ بأسباب القوة والحيطة من مكر كفار قريش وإلىٰ التأهب والاستعداد لصدهم ومنعهم من أن ينالوا منهم، فكان عليه الصلاة والسلام يرسل السرايا للاستطلاع ومعرفة أوضاع المشركين.

أخرج رسول الله من المدينة سرية بقيادة عبد الله بن جحش ومعه ثمانية رجال من المهاجرين في مهمة محددة لتقصي أخبار تحركات المشركين في نخلة بين مكة والطائف وبينما هم في طريقهم مرت قافلة لقريش، فما كان من السرية إلا النيل من المشركين وأصيب عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله وأخذوا أسيرين وقدموا بهما إلىٰ المدينة النبوية بينما لاذ الرابع بالفرار.

اتخذ المكيون من هذه الحادثة ذريعة لتأليب القبائل ضد المسلمين في المدينة النبوية، وحجتهم في ذلك إن المسلمين ارتكبوا جرما في شهر رجب الحرام عندما قتلوا عمرو بن الحضرمي حليف قريش.

ولما كثر الكلام في هذه الحادثة فرج الله كرب رسول الله والمسلمين فجاء الوحي بقوله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ﴾ سورة البقرة من الآية 215. فأمر رسول الله برد الأسيرين إلىٰ قريش بعد أن دفعوا فديتهما.

1. غزوة بدر الكبرى (2 هـ / 623 م)

أذن رسول الله ﷺ للمسلمين بالخروج لمقاتلة كفار قريش، بعد أن وصلته أخبار من مكة تفيد بخروج أبي سفيان في حوالي التسعمائة رجلاً أو يزيد لمقاتلة المسلمين، وكان قد نزل بالعدوة القصوىٰ من وادي بدر.

خرج الرسول الكريم ﷺ من المدينة النبوية في (التاسع من شهر رمضان السنة الثانية للهجرة / 624 م) ومعه ثلاثمائة وأربعة عشر من المهاجرين والأنصار وفي صبيحة اليوم السابع عشر من شهر رمضان نشب القتال بين المسلمين وكفار قريش، أحرز المسلمون نصراً مؤزراً ومُني كفار قريش بهزيمة نكراء.

نتائج المعركة: قتل حوالىٰ سبعين رجلا من القريشيين منهم: رأس الفتنة أبوجهل عمرو بن هشام، وأسر نحو سبعين رجلا من قريش، واستشهد أربعة عشر من المسلمين.

أمر رسول الله المسلمون بجمع الغنائم وساوىٰ بينهم في الأعطيات فقسمها بالتساوي بين المهاجرين والأنصار من الأوس والخزرج، وقبل المسلمون الفداء في الأسرىٰ من قريش.

وكان لهذا النصر أثر في نفوس المسلمين ارتفعت فيه راية الإسلام وأصبح للمسلمين مكانة بين القبائل العربية، كما تجلىٰ فيها تمسكهم بدينهم واعتزازهم به.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

2. غزوة أحد (3 هـ/ 624 م):

دوافعها:

اجتمع كبراء قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوتهم يوم بدر بأبي سفيان واتفقوا علىٰ الثأر لقتلاهم، وقد خاطبوا قريش : يا معشر قريش إن محمدا قد وتركم وقتل خياركم فآعينونا بهذا المال علىٰ حربه، فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا ففعلوا واجتمعت قريش لحرب المسلمين بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة.

خرج كفار قريش ومن معهم من مكة متجهين للمدينة النبوية، ونزلوا بجبل ببطن السبخة من قناة علىٰ شفير الوادي مقابل المدينة النبوية.

ولما سمع الرسول ﷺ خرج في سبعمائة رجل وأمر علىٰ الرماة عبد الله بن جبير، وكان صاحب اللواء مصعب بن عمير، ومن الفرسان حمزة بن عبد المطلب وأبودجانة سماك بن خرشة الساعدي وعلي بن أبي طالب.

استعد المسلمون لقتال كفار قريش ونظموا صفوفهم وجعل الرسول الكريم ﷺ الرماة علىٰ الجبل وأوصاهم بعدم ترك أماكنهم مهما كانت نتيجة المعركة، ومع التحام الجيشان اتبع المسلمون خطة الرسول ﷺ فكان النصر حليفهم في أول الأمر، إلىٰ أن تمكن كفار قريش من مباغتة المسلمين، عندما ترك الرماة أماكنهم مخالفين بذلك أوامر الرسول ﷺ.

انتهزت قريش الفرصة وهاجمت المسلمين من الخلف فاضطربت صفوفهم واختل نظامهم واستشهد كثيرون منهم وعلىٰ رأسهم حمزة عم الرسول ﷺ واكتفت قريش بذلك وعادت إلىٰ مكة فرحة تأمل العودة مرة أخرىٰ للقضاء علىٰ المسلمين في المدينة.

3. غزوة الأحزاب (الخندق) (5 هـ/ 626 م)

لاح النصر لقريش في أحد مما شجعها علىٰ إعداد مقاتليها لمواجهة الرسول ﷺ والقضاء عليه في المدينة وعقدت لأجل ذلك التحالفات مع القبائل المختلفة لتحقيق هدفها.

علم الرسول ﷺ والمسلمون بأمر قريش وخروجهم لقتالهم فعقد المسلمون مشاورات عدة، حيث تم تدبير خطة جديدة لم تخطر علىٰ بال قريش وحلفائها إذ قام

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الرسول ﷺ وأصحابه بحفر خندق شمال المدينة وقد اشترك بنفسه في عملية الحفر.

وصلت قريش وحلفاؤها في عشرة آلاف مقاتل وحاصروا المدينة فصبر المسلمون لحصارهم، كما أن الله جلت قدرته أرسل ريحاً عاصفة اقتلعت خيامهم وأجبرتهم على رفع الحصار عن المدينة والعودة إلى مكة خاسرين. أحرز المسلمون نصراً مؤزراً في غزوة الأحزاب وفشل كفار قريش في فرض الحصار على المدينة النبوية.

وكان النصر للمسلمين برعاية من ربهم وبفضل مقدرة الرسول ﷺ الحربية وما أبداه من تشجيع للمسلمين على التحمل والصبر ومجابهة الأعداء أثناء الحصار.

وبعد زوال الخطر عن المدينة وهزيمة الأحزاب وجه الرسول ﷺ اهتمامه لمحاربة يهود بني قريظة الذين نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين. وتعهدوا فيه بالإشتراك في الدفاع عن المدينة، وقد أرسل الرسول ﷺ أثناء الحصار من يتأكد له بأنهم قد نقضوا عهدهم فعلا، فما كان منهم إلا أن طلبوا من الوفد أن يعيد الرسول ﷺ يهود بني النضير إلى ديارهم وكان الرسول ﷺ قد أخرجهم منها حين حاولوا قتله وأجاب يهود بني قريظة الوفد بأنه "لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد".

رأى الرسول ﷺ أنه لابد من مواجهة الذين خانوا العهد وأرادوا الغدر بالمسلمين في أشد أوقات محنتهم، فما إن رحلت جموع الأحزاب حتى قاد الرسول ﷺ غزوة ضد بني قريظة فحاصرهم في حصونهم لمدة خمسة عشر يوما قبلوا بعدها الاستسلام على أن يحكم في أمرهم سعد بن معاذ وقبل الرسول ﷺ بحكمه، فحكم بقتل رجالهم وسبي نسائهم وأطفالهم وسلب أموالهم لغدرهم وخيانتهم.

4. الهدنة مع قريش (صلح الحديبية) (6 هـ/ 627 م)

انتقل المسلمون بعد غزوة الخندق من مرحلة الصمود إلى مرحلة الانطلاق، واستطاع الرسول ﷺ في السنة التالية لهذه الغزوة نشر دعوته خارج المدينة، وعزم على الخروج وأصحابه قاصدين مكة للعمرة وعند مشارفها. وقف الكفار من قريش في طريقه فأرسل عثمان بن عفان لمعرفة سبب معارضتهم ومنعهم إياه من زيارة الكعبة، وتأخر عثمان في العودة إلى الرسول ﷺ وحينئذ استعد الرسول ﷺ لقتال قريش وبايعه المسلمون على ذلك : كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً ﴿18﴾﴾ سورة الفتح، وسميت هذه البيعة بيعة الرضوان.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

وعندما علمت قريش بذلك أرسلت وفدًا إلىٰ الرسول ﷺ للمفاوضات بعد عودة عثمان بن عفان، وتم الاتفاق علىٰ عقد هدنة بين الطرفين لمدة عشر سنوات وهي المعروفة بصلح الحديبية ومن أهم شروطها:

1. أن يرد الرسول ﷺ من يأتيه مسلمًا من قريش بدون إذن من وليه.
2. لا تلتزم قريش برد من يأتيها من عند الرسول ﷺ.
3. عودة الرسول ﷺ إلىٰ المدينة دون أداء العمرة والعودة في العام التالي لأدائها فيدخل مع أصحابه مكة لمدة ثلاثة أيام.
4. ألا يحارب أحد الطرفين حلفاء الطرف الآخر.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

ج) الاتصالات الخارجية:

يعتبر صلح الحديبية نقطة تحول رئيسة في تاريخ المسلمين فقد اعترفت قريش بزعامة الرسول ﷺ السياسية بين العرب، ووعدت بفتح مكة للمسلمين في العام القادم ليؤدوا العمرة، كما أتاح هذا الصلح للرسول الكريم ﷺ أن يخطو خطوات جديدة في سبيل نشر الإسلام وتبليغ الدعوة إلىٰ كافة الناس داخل الجزيرة وخارجها فخرجت البعوث تحمل كتبه إلىٰ كسرىٰ فارس وقيصر الروم والمقوقس عظيم القبط في مصر والنجاشي ملك الحبشة

سرية مؤتة (8 هـ/ 629 م)

أرسل النبي الكريم ﷺ الحارث بن عمير الأزدي إلىٰ الغساسنة ومعه كتاب من رسول الله يدعوهم إلىٰ الإسلام، فقتلوه في أرض معان.

ولما علم رسول الله بهذه الحادثة جهز سرية يتقدمها زيد بن الحارث ثم جعفر بن أبي طالب ثم عبد الله بن رواحة، وأمرهم بالتوجه لتخوم بلاد الشام لمحاربة البيزنطيين وحلفائهم من الغساسنة.

كان هرقل قيصر الروم قد أعد جيش جرار لقتال المسلمين، حيث قدم في مائة ألف من المحاربين نزل بهم في مآب من أرض البلقاء، وانضم إليه عرب من الغساسنة في بلاد الشام.

أحداث المعركة: سار المسلمون حتىٰ إذا وصلوا تخوم البلقاء فاجأهم هرقل وجموعه بقرية يقال لها مؤتة بين بلاد الشام والحجاز، وفيها اقتتل المسلمون والروم، فقتل قادة الحملة زيد و جعفر وعبد الله.

استطاع خالد بن الوليد الخروج بالجيش الإسلامي من أرض المعركة والعودة بهم إلىٰ المدينة

نتائجها: لم تستطع الحملة تثبيت أقدامها في المنطقة، إلا أنها كانت فاتحة المواجهة بين المسلمين والبيزنطيين علىٰ مشارف بلاد الشام.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الدروس المستفادة

خاض الرسول ﷺ الحروب ضد كفار قريش لإعلاء كلمة لا اله إلا الله وحده لا شريك له.

اظهر الرسول الكريم ﷺ والمسلمين شجاعة وعزيمة في مناكفة المشركين من كفار مكة واليهود في المدينة النبوية ومنعهم من النيل منهم بعد هجرتهم إليها.

فتح مكة (8 هـ/ 629 م)

جاء بعد نقض كفار مكة لصلح الحديبية بإغارتهم علىٰ قبيلة موالية للمسلمين، فاستنجدت هذه بالرسول ﷺ وحاولت قريش تدارك الأمر قبل وقوع الحرب مع المسلمين، فذهب أبو سفيان إلىٰ المدينة محاولًا مقابلة الرسول ﷺ ولكنه فشل في مهمته وهكذا لم يعمر صلح الحديبية أكثر من سنتين.

خرج الرسول ﷺ إلىٰ مكة في عشرة الاف من المسلمين وتمكن من دخولها دون قتال وأعلن «أن من دخل بيت أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن» وطاف حول الكعبة وحطم الأصنام وأمر بإزالة التماثيل مردداً قوله تعالىٰ: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿81﴾﴾ (سورة الاسراء)، وخاطب كفار قريش، «ما تظنون أني فاعل بكم» قالوا : خيراً أخ كريم وابن أخ كريم، قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

أثر فتح مكة (عام الوفود):

كان فتح مكة من العوامل المهمة التي ساعدت علىٰ انتشار الإسلام في أنحاء الجزيرة العربية وحضرت الوفود إلىٰ المدينة معلنة إسلامها، وبذلك أصبحت الجزيرة العربية مهدا للدولة الإسلامية التي شملت أجزاء واسعة من العالم فيما بعد، وصدق الله إذ يقول: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿1﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿2﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿3﴾﴾ سورة النصر.

غزوة حنين (8 هـ/ 629 م)

بعد فتح مكة علم النبي أن قبيلتي هوازن وثقيفا تعدان العدة لحرب المسلمين

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

فسار إليهما في جيش بلغ اثني عشر الفاً لمحاربتهما، وقد أغرت المسلمين كثرتهم وكادت الهزيمة أن تحيط بهم ولكن ثبات النبي ﷺ وأصحابه وإصراره على تحقيق النصر كان عامل في هزيمة خصومه، ثم سار بعدها لحصار ثقيف حلفاء هوازن في الطائف فحاصرها وحاول دخولها ثم فضل الإنسحاب على أن يعود لحصارها بعد الأشهر الحرم من جديد وفي الطريق إلى مكة وفدت هوازن على النبي وأسلمت واستردت سباياها.

نشر الدعوة الإسلامية خارج شبه الجزيرة:

بدأ الرسول ﷺ في نشر الدعوة الإسلامية وتنظيم الشؤون الداخلية في المدينة النبوية وأصبح الاتصال سهلاً مع بلاد العرب الجنوبية، كان قد حضر وفد من بلاد اليمن إلى المدينة واعتنق الإسلام كما اتصل بحكام البحرين ومصر والشام والفرس فمنهم من أغلظ القول ومنهم من رد ردا جميلا مثل المقوقس حاكم مصر الذي أرسل هداياه إلى الرسول ﷺ.

غزوة تبوك (9 هـ / 630 م):

بعد عودة الرسول ﷺ إلى المدينة علم أن الروم قد تجمعوا على حدود فلسطين لقتال المسلمين ومعهم بعض القبائل العربية فدعا المسلمين لمواجهتهم وخرج بالجيش في طريق الشام وفضل البيزنطيين الانسحاب بينما تابع النبيّ ﷺ طريقه إلى تبوك التي أقام فيها أياما فصالحه أهلها وجاءته الوفود من أيلة وغيرها وصالحوه على دفع الجزية، ثم عاد الرسول ﷺ إلى المدينة وكانت هذه الغزوة آخر غزوات النبي ﷺ

حجة الوداع (10 هـ / 631 م):

خرج الرسول ﷺ إلى الحج مع أكثر من مائة ألف من المسلمين وعند جبل عرفات ألقى الرسول ﷺ خطبته الخالدة التي تعتبر دستور للدولة الإسلامية، نادي فيها بالمساواة بين البشر، كما بيَّن فيها قواعدالإسلام : «يأيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ألا هل بلغت، اللهم فاشهد».

وقد نزلت أثناء حجة الوداع الآية الكريمة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِيناً﴾ (سورة المائدة من الآية (4)).

واتضح منها أن الإسلام قد اكتملت أركانه وأن الرسول ﷺ قد أدى الأمانة وبلغ

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الرسالة وكانت كذلك نذيراً بقرب انتهاء أجل الرسول ﷺ.

غزوات الرسول محمد ﷺ (الأسماء باللون الأحمر)

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

غزوات الرسول محمد ﷺ وتواريخها

2 هجرية	3 هجرية	4 هجرية	5 هجرية	6 هجرية	7 هجرية	8 هجرية	9 هجرية
غزوة ودان	غزوة ذي أمر	غزوة بني النضير	غزوة دومة الجندل	غزوة بني لحيان	غزوة خيبر	غزوة مؤتة	غزوة تبوك
غزوة بواط	غزوة بحران	غزوة ذات الرقاع	غزوة الخندق	غزوة ذي قرد	غزوة عمرة القضاء	فتح مكة	
غزوة العشيرة	غزوة أحد	غزوة بدر الآخرة	غزوة بني قريظة	صلح الحديبية		غزوة حنين	
غزوة بدر الأولىٰ	غزوة حمراء الأسد			غزوة بني المصطلق		غزوة الطائف	
غزوة بدر الكبرىٰ							
غزوة بني سليم							
غزوة بني قينقاع							
غزوة السويق							

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

وفاة الرسول ﷺ

بعد مضي ثلاثة أشهر على حجة الوداع، مرض الرسول الكريم ﷺ بالحمى فأستأذن نساءه أن يتمرض في بيت أم المؤمنين عائشة فأَذِن له. ولما رأى شدة المرض خرج إلى أصحابه فصعد المنبر وقال: «يامعشر المهاجرين استوصوا بالأنصار خيرا فإن الناس يزيدون وإن الأنصار على هيبتها لاتزيد وإنهم كانوا عيبتي التي آويت إليها فأحسنوا إلى محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم»، وأمر أبابكر الصديق أن يصلي بهم مدة مرضه.

وفي يوم الأثنين (12، ربيع الأول، 11 هـ/ 8، يونيو، 633 م)، انتقل النبي الكريم إلى الرفيق الأعلى وهو في سن الثالثة والستين ودفن ببيته بالمدينة النبوية، بعدأن أدى الأمانة وبلغ الرسالة وأخرج الناس بإذن ربه من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام.

أعلن أبو بكر الصديق خبر وفاة خاتم الأنبياء، فخرج للناس وهم مجتمعون قائلا: «أيها الناس من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لايموت ثم تلا الآية الكريمةمن سورة آل عمران: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَنْ يَّنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَّضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾» سورة آل عمران.

اجتماع الأنصار لإختيار خليفة للمسلمين في سقيفة بني ساعدة:

وجد المسلمون أنفسهم بعد وفاة محمد صلى الله عليه وسلم في حيرة شديدة من أمرهم وكادت أن تدب الفرقة بين صفوفهم، إذ اجتمع الأنصار في سقيفة سعد بن عبادة من بني ساعدة وأرادوا مبايعته؛ وبحضور صحابة رسول الله أبو بكر وعمر تداركوا الأمر وأوجدوا نظاما جديدا يقوم على اختيار خليفة لرسول الله فاختاروا أبا بكر الصديق أول خليفة للمسلمين.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

مظاهر الحياة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ

عهد النبوّة

عهد النبوة هو الفترة التي قضاها محمد ﷺ بجميع مراحلها الدعوية والجهادية ثلاثة وعشرين سنة.

- **المظاهر السياسية:**

جمع الرسول ﷺ بين السلطتين الدينية والأمور الدنيوية، فإلىٰ جانب مسؤوليته علىٰ رعاية المسلمين في دولتهم الفتية، كان عليه الصلاة والسلام يقود الجيوش ويرسل السرايا لأرض العدو، ويذود عن حمىٰ المسلمين، ويفصل في الخصومات بين المتخاصمين، وحرص علىٰ تقوية الدولة من الداخل وتأمين سلامة العلاقات بين أفراد المجتمع الإسلامي، فسن دستورا للمدينة النبوية من خلال ما يسمىٰ بـ "صحيفة المدينة"، الذي حدد فيها العلاقة بين المسلمين واليهود. ومن دوافع بنود هذه الصحيفة:

- الدفاع عن الدعوة الإسلامية.
- حماية مجتمع المدينة النبوية فجعلت من المهاجرين والأنصار أمة واحدة ملتزمين بحدود الإسلام.
- إلزام اليهود بموالاة المسلمين وعدم التآمر عليهم.
- التضامن بين المسلمين واليهود لردّ العدوان عن المدينة.
- مسالمة اليهود ماداموا يراعون بنود الصحيفة.
- أي خلاف مردّه إلىٰ الرسول ﷺ.

- **المظاهر الاجتماعية:**

ساوىٰ بين جميع أفراد المجتمع فقامت سياسة الرسول ﷺ علىٰ مؤازرة المسلمين بعضهم البعض، فشد أزر المهاجرين بمؤاخاتهم مع الأنصار.

أثرت الدعوة الإسلامية في الحياة الاجتماعية للعرب حيث قضت علىٰ العادات السيئة كشرب الخمر ووأد البنات ووضعت الأسس لتنظيم المجتمع علىٰ هدي من

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الآيات القرآنية الكريمة التي كانت تنزل تباعا لمعالجة وتنظيم المجتمع. وما تم في هذا المجال:

أ. تنظيم المعاملات والعلاقات بين الأفراد، فقد حرم الإسلام سفك الدماء والأخذ بالثأر ووضع القوانين لتوقيع القصاص.

ب. حرم الربا وأكل أموال الناس بالباطل ووضع القواعد العامة لتنظيم عمليات البيع والشراء والديون.

ج. اهتم بالأسرة فوضع قانون الزواج والطلاق والنفقة وأوضح أهمية صلة الرحم وزيارة الأقارب والتمسك بالفضائل والوفاء بالعهد.

د. قرر الإسلام المساواة بين الناس مهماكان جنسهم ودينهم ولونهم، فسوىٰ بينهم في الحقوق والواجبات كما حرم الاسترقاق وفتح المجال أمام الأرقاء لاسترداد حرياتهم سواء بالعتق أو الكفارة أو غير ذلك.

• المظاهر الاقتصادية:

اعتمد الرسول الكريم ﷺ علىٰ التجارة وحرص علىٰ إقامة سوق خاص بالمسلمين، تمارس فيه كافة المعاملات التجارية وفق التعاليم الإسلامية، والذي أصبح عنصر أساسي في إقامة وإنشاء المدن الإسلامية، كما شجع الزراعة في المناطق التي تتوفر فيها الماء والتربة المناسبة.

• المظاهر الإدارية في عهد الرسول:

كان الرسول ﷺ يشرف بنفسه علىٰ كافة الأمور التي تخص حياة الناس وفي حال خروجه من المدينة لأمر ما كان يستخلف من ينوب عنه.

أرسىٰ الرسول الكريم نواة للجهاز الإداري والمالي وشؤون السياسة الداخلية والخارجية.

كلف الرسول محمد ﷺ عدد من الكتبة بتدوين وكتابة الوقائع، وخاصة تلك التي كان يرسلها إلىٰ الملوك ورؤساء الأجناد لتبليغ رسالة الإسلام.

كما وضع خاتم الرسول ﷺ عليها لتكون وثيقة يعتدّ بها وتحدد بموجبها المسؤولية، وقد وصل عدد الكتب والمواثيق والمعاهدات التي أمر بها الرسول ﷺ

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

وأشرف عليها 246 كتابًا، والهدف هو إقامة العلاقات والتبادل التجاري والدعوة إلىٰ الإسلام، وتأمين الطرق التجارية.

حرص علىٰ تكليف أشخاص بكتابة الوحي والرسائل والمعاهدات وكافة المعاملات.

- **المظاهر العلمية:**

دعا الإسلام إلىٰ التعلم والتدبر والتفكر، وامتثالا لقوله تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ من سورة المجادلة آية 11.

كما حث الرسول الكريم ﷺ المسلمين علىٰ طلب العلم، وجعل درجة طالب العلم تفوق درجة العابد، ولذلك أمر نبي الرحمة المسلمين تعلم القراءة والكتابة، فقد جعل فداء أسرىٰ بدر من الكفار تعليم أبناء المسلمين، وبنيت بالمدينة النبوية دار للقراء، فقد نزل فيها مصعب بن عمير الأزدي، وأمر زيد بن ثابت الأنصاري وغيره من المسلمين علىٰ تعلم لغات غيرهم من الأمم حتىٰ العبرية.

- **المظاهر العمرانية:**

لم يبن الرسول الكريم ﷺ أي مدينة، ولكنه حرص علىٰ تنظيم يثرب والتي سميت بعد وصول الرسول ﷺ إليها بمدينة رسول الله ﷺ فبنىٰ فيها مسجد واستحدث سوق تتم فيه كافة المعاملات التجارية، وبني المسلمون بيوت قريبة من مسجد قباء في المدينة النبوية.

وأعيد تنظيم طرق ومسالك المدينة النبوية، وقام بتحديد حرم المدينة وجعله حرما أمنًا، وقد ضمن ذلك في الصحيفة التي جاء فيها «وأن يثرب حرام جوفها»، كما عمل علىٰ تأمين حاجة المدينة من الماء، فقد كان البئر الذي تشرب منه الناس ملكا ليهودي ولا يسمح لأحد بالشرب منه إلا بمقابل، فاشتراه عثمان بن عفان بماله من اليهودي، وجعله وقفا علىٰ المسلمين.

- **المظاهر العسكرية:**

لم يكن للمسلمين نظام خاص بالجندية، بل كانوا يهبون للدفاع عن أنفسهم مشاة وفرسانا وأسلحتهم بسيطة وهي السيف والرماح والسهام والدروع.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

وأن أهم عمل حربي مستحدث خلاف الأساليب الحربية القديمة هو ما قام به الرسول ﷺ للدفاع عن المدينة وحماية المسلمين من حفر خندق قبل غزوة الأحزاب، فقد أشار سلمان الفارسي علىٰ الرسول ﷺ بحفر خندق حول المدينة لحمايتها، وكان له دور أساسي في منع تقدم كفار قريش واقتحامها.

واتخذ الرسول ﷺ معسكرات لجنده خارج المدينة النبوية، مثل معسكر الجرف الذي يبعد عن المدينة بثلاثة أميال في الشمال، وهو الذي عسكر فيه أسامة بن زيد عندما أرسله إلىٰ بلاد الشام، ثم عاد إليه وخرج منه بعد وفاةالنبي ﷺ.

الدروس المستفادة من حياة الرسول ﷺ

1. حياة الرسول ﷺ مثل أعلى:

كان الرسول صلىٰ الله عليه وسلم حكيمًا، ذا رأي صائب سديد وفكر ثاقب، ظهرت مهارته في التأليف بين قلوب الأوس والخزرج وتوحيد القبائل العربية في أمة واحدة متماسكة متعاونة، وقد كانت حياته ﷺ حافلة بالأمثلة والدروس في الإيمان والأخلاق الفاضلة والمعاملة ونكران الذات ومن ذلك:

1) **الإيمان والعزم:** لم يثنه عن إكمال رسالته إيذاء قريش له أو معارضتهم، كما لم تؤثر فيه الوعود التي قطعها المشركون علىٰ أنفسهم لو أنه أقلع عن دعوته، بمنحه المال والجاه والسلطان بل استمر في إبلاغ رسالته حتىٰ كتب الله له النصر المبين.

2) كان ﷺ رحيمًا بأصحابه شديدًا علىٰ أعدائه ولم ينقض عهدًا قطعًا ولم يبدأ أحدًا بالعداوة وكان شديد البأس في حربه قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿129﴾﴾ سورة التوبة الآية (129)

3) عمل ﷺ علىٰ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار لتوحيد صفوفهم كما أخذ العدل أساسا ومبدأ انطلاقا من تعاليم الإسلام وبذلك أصبح المسلمون صفًا واحداً كالبنيان المرصوص فكان لهم النصر علىٰ أعدائهم.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

كان ﷺ يتمسك بمبدأ الشورى، فقد كان يستشير أصحابه في كل أمر قائلا لهم إنما أنا بشر مثلكم، وليس أدل على ذلك من موقفه في غزوتي بدر والأحزاب متمثلا بقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ سورة آل عمران من الآية (159).

2. الإيمان والولاء للإسلام وعقيدته :

عرفنا أن الوثنية كانت الديانة الرئيسة للعرب قبل الإسلام لذلك امتلأت الكعبة بالأصنام التي بلغ عددها حوالي (360) صنما للقبائل المختلفة وعلى رأسهم (اللات والعزى وهبل) وإلى جانب الوثنية كدين سائد وجدت أديان أخرى مثل اليهودية في اليمن ويثرب والمسيحية في شمال بلاد العرب، وبدأت الدعوة الإسلامية في وسط هذه الديانات المتعددة تدعوا إلى وحدانية الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ (سورة الاخلاص)، والقضاء على الوثنية والشرك بالله، وتحمل المسلمون التعذيب في سبيل دينهم ودعوتهم أمثال آل ياسر وبلال وغيرهم.

كانت هجرة المسلمين إلى الحبشة ويثرب، ثم بدأت الغزوات وانتهت بفتح مكة ولم تمض فترة طويلة حتى زالت الوثنية من الجزيرة العربية وانتشرت الوحدانية داخلها وخارجها نحو الشام ومصر وشمال إفريقيا وغيرها.

وهكذا حارب الإسلام الوثنية حتى قضى عليها وأصبحت كلمة الله هي العليا وأصبح الإسلام عقيدة معظم سكان الجزيرة العربية عند وفاة الرسول ﷺ.

3. الشـــــورى:

اعتمدت الحياة السياسية للعرب قبيل الإسلام على النظام القبلي فكان لكل قبيلة تنظيم سياسي مستقل، لذلك قامت الحروب بين القبائل على موارد المياه والمراعي، كما خضعت بعض المناطق العربية للاحتلال من قبل قوى أجنبية من خارج شبه الجزيرة العربية، مثل الأحباش ثم الفرس الذين سيطروا على اليمن كما سيطر الفرس والروم على القبائل العربية في الشام والعراق وغيرها، ولكن بعد ظهور الإسلام وهجرة الرسول ﷺ بدأ في بناء مجتمع جديد منظم، فوحد بين الأوس والخزرج في المدينة ورسخ مبدأ الوحدة بين القبائل العربية المتفرقة وحطم النزعة القبلية وقوى روابط الأخوة قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ۝٩٢﴾ سورة الأنبياء.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

وبعد وفاة الرسول ﷺ حدث فراغ كبير في قيادة المسلمين فقد كان ﷺ القائد والمفكر السياسي والمنظم لأمور المسلمين يرجعون إليه في جميع أمور حياتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي كان يبث فيها بناء على ما تمليه عليه التعاليم الإسلامية وما يأمره به الله قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ سورة النجم.

فلما توفي ﷺ أوجدوا نظاما جديدًا لتسيير شؤون المسلمين أطلقوا عليه اسم (الخلافة) واختاروا بعد تشاور أبابكر الصديق أول خليفة للمسلمين، فالحكم في الإسلام يقوم على مبدأ الشورى ممثلا في قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ سورة الشورى من الآية (38).

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

أسئلة تطبيقية

س1/ أذكر أسباب كل ما يأتي:

أ) معارضة قريش للدعوة الإسلامية.

ب) هجرة الرسول ﷺ إلىٰ المدينة النبوية.

س2/ اكتب باختصار عن:

أ) غزوة الخندق.

ب) غزوة تبوك.

س3/ بدأ الرسول ﷺ دعوته في تكتم شديد وسرية تامة. وضح ذلك.

س4/ تكلم عن صلح الحديبية والنتائج المترتبة عنه.

س5/ ضع علامة (✓) أو (✗) أمام العبارات التالية:

أ) انتصر المسلمون في غزوة بدر. (_____)

ب) كان أبو بكر أول من أسلم من الرجال. (_____)

ج) عارض أهل الطائف الدعوة الإسلامية عندما دعاهم الرسول ﷺ إليها. (_____)

د) أمر الرسول ﷺ أصحابه بالهجرة إلىٰ الحبشة. (_____)

س6/ ناقش ما يأتي:

أ) العدالة الاجتماعية في الإسلام.

ب) الشوري

س7/ تعتبر حياة الرسول ﷺ وكفاحه مثلا أعلىٰ. وضح ذلك.

س8/ اكتب مذكرة تاريخية عن:

- مظاهر الحضارة في عهد الرسول ﷺ.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الفصل الثاني

عصر الخلفاء الراشدين

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الفصل الثاني: عصر الخلفاء الراشدين
(11 - 40 هـ/ 632 - 661 م)

خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه
(11 هـ - 13 هـ/ 632 - 634 م)

بدأ عصر الخلافة الراشدة بخلافة أبي بكر بن أبي قحافة من بني تيم بن مرة، ولد لسنتين من عام الفيل، أول من ظهر صدق عزيمته ونبل شمائله، فهو أول من أسلم من الرجال الأحرار من صحابة الرسول ﷺ وخرج معه في هجرته إلىٰ المدينة النبوية، فضلا عن أن الرسول ﷺ كان قد أنابه في الصلاة بالمسلمين أثناء مرضه.

ولمكانته وسابقته في الإسلام اختاره المسلمون وبايعوه خليفة لهم بعد وفاة الرسول محمد ﷺ (11 هـ - 13 هـ/ 632 - 634 م).

أكد أبو بكر الصديق علىٰ حق الرعية في اختيار وتقويم الخليفة فمن أقواله «إن أحسنت فشجعوني، وإن أسأت فقومني».

سياسة أبي بكر الصديق:

واجه خليفة رسول الله بكل شجاعة وحزم كافة التحديات والأخطار التي واجهت المسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ.

فقد امتنعت بعض القبائل العربية بنجد وبلاد اليمن عن دفع الزكاة مدعية أنها واجبة في حياة الرسول ﷺ وغير واجبة عليهم بعد وفاته.

ادعىٰ النبوءة طليحة الأسدي ومسيلمة بن حنيفة باليمامة وامرأة يقال لها سجاح والأسود العنسي في صنعاء باليمن وحرضوا قبائلهم علىٰ الردة عن الدين الإسلامي.

واشتد خطر المرتدين من عبس وذبيان وطمعوا في الاستيلاء علىٰ المدينة النبوية.

أظهر الخليفة الراشدي أبوبكر الصديق عزيمة صادقة لمحاربتهم ووضع حدا لمحاولتهم العبث بأمن واستقرار المدينة النبوية، فخرج بنفسه لمحاربتهم، واستخلف أسامة بن زيد بن حارثة علىٰ المدينة، بعد عودته من بلاد الشام وكان قد أرسله محمد صلوات الله وسلامه عليه قبل وفاته علىٰ رأس سرية إلىٰ بلاد الشام فبلغ البلقاء وماحولها

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

من القرىٰ.

وما إن وصل خليفة رسول الله لعبس وذبيان، حتىٰ أذعن كفارها وقبل أبو بكر منهم الطاعة واستسلم رأس الفتنة في عبس وذبيان، ثم قفل عائدا بقواته إلىٰ المدينة النبوية.

عقد خليفة رسول الله الألوية لمحاربة المرتدين وعين أحد عشر أميرا، وكتب للمرتدين كتابا واحدا أرسله إليهم قبل أن تأتيهم الجند يدعوهم العودة إلىٰ الإسلام فمن استجاب عفي عنه ومن تعنت وخالف فقد أمر بقتاله ولا يقبل من أحد إلا الإسلام.

أمراء الألوية وهم:

1. خالد بن الوليد ووجهته طلحة بن خويلد الأسدىٰ ببزاخة، فإذا انتهىٰ منه قصد مالك بن نويرة بالبطاح.
2. عكرمة بن أبي جهل ووجهه إلىٰ مسيلمة باليمامة
3. شرحبيل بن حسنة وجهته اليمامة.
4. المهاجر بن أبي أمية ووجهه إلىٰ الأسود العنسىٰ بصنعاء
5. حيفة بن محصن ووجهته أهل ديا بعمان
6. عرفجة بن هرثمة ووجهته أهل مهرة.
7. سويد بن مقرن إلىٰ تهامة اليمن.
8. العلاء بن الحضرمي ووجهه إلىٰ البحرين.
9. طريفة بن حاجز ووجهه إلىٰ بني سليم ومن معهم من هوازن.
10. عمرو بن العاص ووجهه إلىٰ قضاعة.
11. خالد بن سعيد بن العاص ووجهه إلىٰ مشارف بلاد الشام.

خاض قادة الألوية معارك ضارية اتسعت رقعتها حتىٰ وصلت إلىٰ أقاصي شبه الجزيرة العربية.

وصلت أخبار الانتصارات والفتوح المدينة النبوية بعد عاما كامل من التضحيات نصرة لدعوة لاإله إلا الله وحده لاشريك له، واستبشر خليفة رسول الله والمسلمين فيها بالفتوح ورجوع القبائل المرتدة إلىٰ الإسلام وقضي علىٰ رؤوس الفتنة ممن أدعوا النبوة، وقد أقرت القبائل بوجوب دفع الزكاة.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

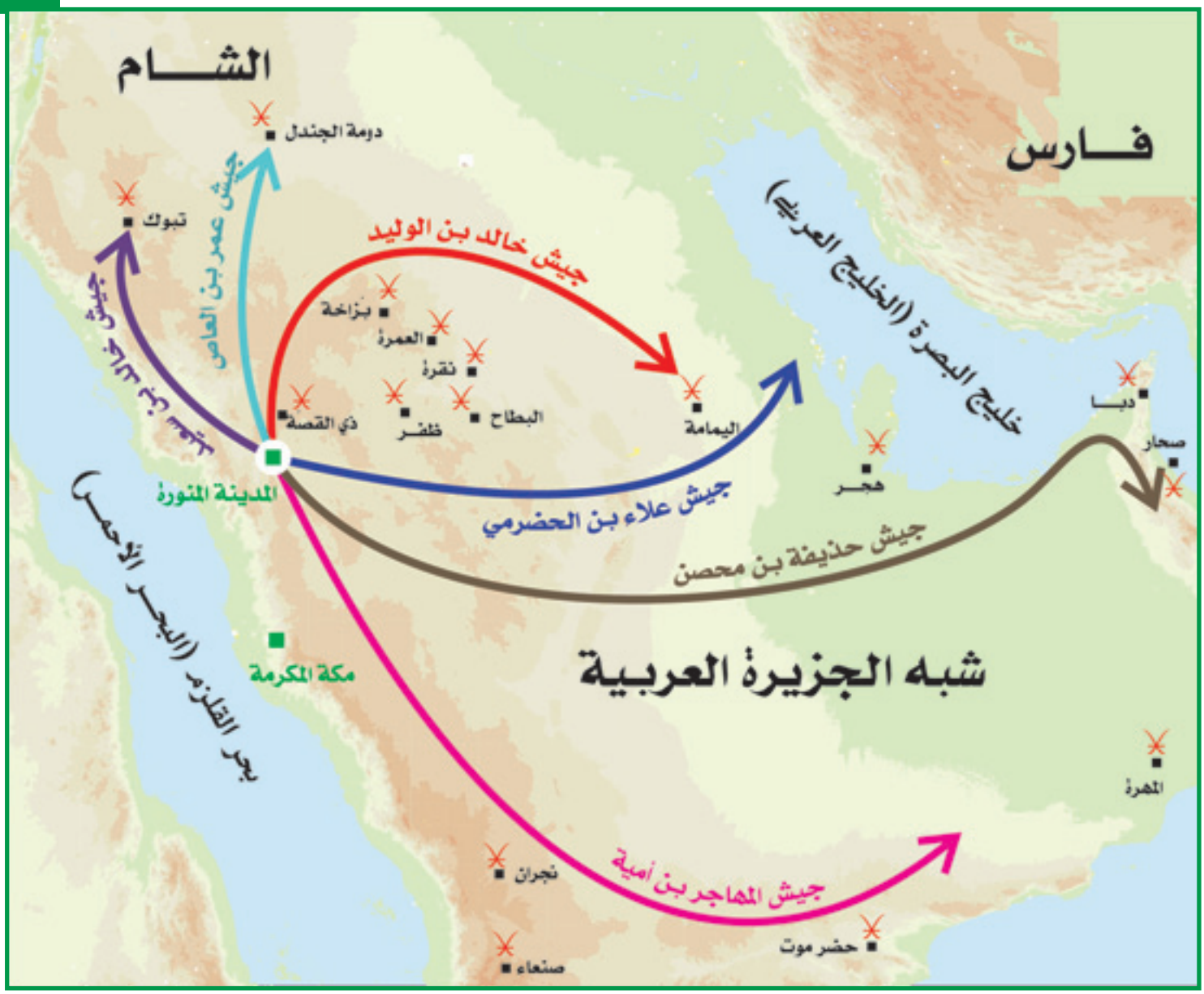

خريطة تبين المناطق التي دارت فيها حروب الردة في عهد الخليفة أبي بكر الصديق

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الفتوحات الإسلامية في عهد الخليفة أبوبكر الصديق:

كلف أبي بكر الصديق خالد بن الوليد والمثنىٰ بن حارثة بمهمة إخضاع بعض القبائل التابعة لملك الحيرة والذي ثبت تأمرها علىٰ المسلمين وتحالفها مع حاكم كلدة الفارسي، أسفرت علىٰ سقوط الحيرة في أيدي المسلمين.

حرص خليفة الرسول ﷺ علىٰ تبليغ الرسالة الإسلامية إلىٰ كل الأمم والشعوب،، فأرسل أبوبكر الصديق كتابا إلىٰ كسرىٰ ملك الفرس هرمز يدعوه إلىٰ عبادة الواحد الأحد، ولكنه رفض دعوته إلىٰ الإسلام فخيره خالد بن الوليد أن يدفع الجزية أو الحرب، فأراد الحرب ضد المسلمين.

ولم يعد أمام خالد من خيار سوىٰ القتال فكانت معركة ذات السلاسل بالقرب من الكاظمة(12 هـ/ 633 م) سقط هرمز قتيلا. وفر فلول جيشه من ساحة المعركة، فطاردهم المثنىٰ بن حارثة الشيباني.

توغل خالد بن الوليد في أرض العراق وقصد بقواته الأنبار سنة (12 هـ/ 633 م)، وكان حاكمها قد تحصن في أحد حصونها وحفر خندقا حولها، وضرب المسلمون حصار عليها مما اضطر حاكم المدينة شيرزاد إلىٰ الاستسلام، شرط السماح له بالخروج مع بعض فرسانه، وكان المسلمون قد اقتحموا الحصن ودخلوه.

استقر خالد بن الوليد في الأنبار استعدادا لاقتحام حصن عين التمر، حيث اجتمعت فيه قوات فارسية وعربية بقيادة مهران بن بهرام، ونجح في مباغتتهم وهزيمة قائد الفرس مهران الذي آثر الفرار، ودخل خالد الحصن.

معركة دومة الجندل:

خرج خالد بن الوليد من الحيرة متجها إلىٰ دومة الجندل والتي تقع علىٰ الطريق الرابط بين المدينة النبوية والكوفة ودمشق، وتتميز بأهميتها العسكرية والتجارية، وكان قد سبقه عياض بن غنم لحصارها، فوجد مقاومة من مجموع القبائل القاطنة بها مثل كلب وغسان وتنوخ والضجاعم.

تمكن خالد بن الوليد من حصار القبائل المتحالفة ضد المسلمين وافتكاك الحصن منهم سنة(12 هـ/ 633 م)، فيما استعد كسرىٰ بعد سقوط الحيرة، لطرد العرب عن كلدة، وقد ثبت تعاونهم مع المثنىٰ بن حارثة واشتركت معه في معركة البويب سنة

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

(13 هـ/ 634 م).

فيما كان خالد بن الوليد يستعد لغزو أرض البصرة توجه عياض بن غنم إلىٰ مدن شمال العراق، فصالحهم علىٰ دفع الجزية.

فتح بلاد الشام (12 هـ/ 633 م):

استقطبت الجبهة الشامية اهتمام الخليفة أبوبكر الصديق بعد الانتصارات التي أحرزها خالد ابن الوليد في دومة الجندل، فرتب الخليفة خطة للتحرك نحو بلاد الشام في السنة الثانية عشر للهجرة فعقد الألوية الأربعة لكبار القادة:

جهز لواء بقيادة يزيد بن أبي سفيان لغزو بلاد الشام، واشتركت معه قبائل يمينية من حمير ومذجح، وأمده أبو بكر بقوات عددها سبعة آلاف مقاتل، وحدد لها طريقًا للزحف علىٰ بلاد الشام: سالكا طريق وادىٰ القرىٰ- تبوك - الجابية - دمشق.

ولواء كان تحت قيادة شرحبيل بن حسنة وجهته بصرىٰ عاصمة حران سالكا طريقا أوصاه به الخليفة يبدأ من معان - الكرك - مأدبا - البلقاء - بصرىٰ.

أما اللواء الثالث :- فكان يرأسه أبي عبيدة بن الجراح وجهته حمص علىٰ أن يسير في طريقه من وادىٰ القرىٰ - الحجر - ذات المنار- زيزاء- مآب - الجابية - حمص.

واللواء الرابع: وجهته فلسطين وعهد بقيادته لعمرو بن العاص.

تعيين خالد بن الوليد قائدا لقوات احتياطية تحت إمرة أبو عبيدة الجراح وأمره بالمسير إلىٰ حمص.

استعدت جموع البيزنطيين لملاقاة المسلمين في بلاد الشام، ووقف القادة المسلمون في بلاد الشام علىٰ هذه التعبئة، فأشار عمرو بن العاص بضرورة توحيد القيادة تحت إمرة أبي عبيدة والتراجع إلىٰ بصرىٰ.

قاد هرقل ملك البيزنطيين جيش جرار لقتال المسلمين في بلاد الشام وما بين كر وفر فتحت المدن والحصون فيها، وقد اجتمعوا علىٰ كلمة واحدة فاصلة توحيد الصفوف والقيادة.

وكان قد أمر الخليفة أبوبكر الصديق في سنة (13 هـ/ 634 م) القائد خالد بن الوليد بالتوجه إلىٰ بلاد الشام، لنجدة الجيوش الإسلامية المرابطة، وتعيينه قائدا عاما لجيوش المسلمين.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

امتثل خالد لأمر الخليفة وجهز قواته للمسير إلىٰ بلاد الشام، وأعد خطة لاستدراج القوات البيزنطية بعيدا عن إقليم الجزيرة الفراتية، واستطاع خالد إخضاع مدينتي تدمر وحواريين.

واصل خالد وجيشه مسيره حتىٰ وصل لغوطة دمشق، واشتبك مع ملك الغساسنة الحارث بن الأيهم واجبره علىٰ التراجع إلىٰ حصون دمشق.

فتح بصرىٰ ببلاد الشام: كان فتح بصرىٰ يمثل نقطة انطلاق نحو مدينة انطاكية التي تجمع بها البيزنطيون وأمدوا وردان حاكم حمص بالأسلحة والعتاد لمحاربة المسلمين، ولذلك شدد المسلمون الحصار علىٰ المدينة مما اضطر سكانها إلىٰ طلب الصلح، وقبلوا بدفع الجزية.

معركة أجنادين (13 هـ/ 346 م):

هي من المعارك المهمة التي جرت وقائعها في بلاد الشام، كان عمرو بن العاص وصل إلىٰ أجنادين الواقعة بين الرملة وبيت جبرين، وبدأ ثيوذور البيزنطي بالزحف نحوها، مطمئنا لجموعه الكثيرة.

شعر المسلمون بخطورة الوضع في أجنادين، فقرر خالد بن الوليد رص الصفوف وحث الجنود علىٰ التصدي لهجمات البيزنطيين في أجنادين، وجرت معركة كان النصر فيها حليف الجيش الإسلامي.

نتائج المعركة:

1. فتحت أغلب المدن دون مقاومة.
2. شل حركة البيزنطيين ومنعهم من الانتقال إلىٰ المدن الأخرىٰ للتحصن فيها.
3. أدرك البيزنطيون وهرقل خاصة خطورة الجيش الإسلامي الزاحف نحو دمشق، فأمر سكانها بإقفال أبوابها والدفاع عنها.
4. انتصار المسلمين في معركة أجنادين أكسب الجيش الإسلامي خبرة قتالية في مواجهة الأعداء، وارتفعت الروح المعنوية وكانوا أكثر اصرار علىٰ نشر الإسلام في بلاد الشام.

وفاة خليفة المسلمين أبي بكر الصديق سنة (13 هـ/ 634 م)

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

وصل خبر وفاة الخليفة أبي بكر الصديق إلىٰ أبي عبيدة بن الجراح وكان يرابط بجيشه في بلاد الشام.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
(13 – 23 هـ/ 634 – 644 م)

اسمه ونسبه: هو أبي حفص عمر بن الخطاب، ينسب إلىٰ عدي من أشراف قريش.

نشأ عمر بن الخطاب في مكة وكان في أول أمره شديد الأذىٰ للرسول ﷺ والمسلمين، حتىٰ من الله عليه بالإسلام في دار الأرقم بن أبي الأرقم، كان رجلا شجاعا زاهدا حازما لايخشىٰ في الحق لومة لائم،حتىٰ أنه سمي بالفاروق لعدله وشدة بأسه.

بيعة عمر بن الخطاب: أوصىٰ الخليفة أبو بكر الصديق أثناء مرضه، بالخلافة من بعده لعمر بن الخطاب، وقد استشار كبار الصحابة من أهل الحل والعقد، فلم يجد معارضة لديهم.

تمت مبايعة عمر بن الخطاب في المسجد، وكان قد أوصاه أبوبكر الصديق باستكمال الفتوحات الإسلامية.

عمل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على تنظيم الدولة:

1. **إنشاء العديد من الدواوين:** والديوان بمثابة الجهاز الإداري، وهو أول أنموذج وشكل من أشكال الإدارة العربية الجديدة، اتسعت الدولة الإسلامية وازدادت مواردها المالية.

   أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بإنشاء الدواوين حتىٰ يتمكن المسلمين في كل الأمصار من الاستفادة منها، كما أنشا ديوان الخراج، وديوان الجند، وديوان العطاء، وقد ظلت هذه الدواوين تستخدم اللغة المحلية في كل إقليم من أقاليم الدولة الفتية حتىٰ عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، الذي قاد حركة التعريب وأمر باستعمال اللغة العربية في كل الدواوين.
2. **تنظيم الولايات:** نظرا لاتساع الدولة الإسلامية بعد استكمال الفتوحات الإسلامية فقد وجد الخليفة عمر بن الخطاب في تقسيمها إلىٰ ولايات وتعيين ولاة يتولون شؤونها، ضمانا لسير العدالة وسهولة الإشراف عليها.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

3. **ديوان القضاء:** اهتم الخليفة ابن الخطاب بالقضاة ووضع لهم نظامًا صارمًا، وكان حريصا علىٰ مراقبة ولاته. شديدا في محاسبتهم، وكان قدوة لهم في العدل والإحسان
4. **السكة الإسلامية:** سك الخليفة عمر بن الخطاب دراهم عليها نقش كسروية، كما ضرب عملة عليها كتابة عبارات عربية لا إله إلا الله محمد رسول الله.
5. **تنظيم الضرائب:** اهتم عمر بتنظيم الضرائب وتقديرها حتىٰ يمكن معرفة موارد الدولة المالية، وما يصل إلىٰ بيت المال ومنها ضريبة الخراج والضريبة العشرية والجزية وأعشار السفن.
6. **إنشاء المدن الإسلامية:** صاحب الفتح الإسلامي إنشاء مدن إسلامية مثل البصرة والكوفة في العراق والفسطاط في مصر، وقد غدت هذه المدن مراكزًا للحكم والفكر والحضارة فيما بعد.

استمر أمير المؤمنين عمر في بذل جهوده لتنظيم الدولة إلىٰ أن قتله غيلة أبو لؤلؤة المجوسي بعد أن استمر في الخلافة لمدة عشر سنوات.

لقد قدم أمير المؤمنين أنموذجًا أخلاقيا وسياسيا، جمع بين القيم الإسلامية والشهامة العربية حيث أرسىٰ مبدأ الحرية والعدل في دولته، فقد ساس الناس وفق هذه المبادئ السامية التي جسدها في أقواله وأفعاله، «متىٰ استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهم أحراراً»

الفتوحات الإسلامية في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب:

كانت سياسة عمر الخارجية امتدادا لسياسة أبي بكر الصديق، فقد مضىٰ في نشر الإسلام وانتزاع الأقاليم خارج شبه الجزيرة العربية، والتي كانت خاضعة لدولتي الفرس والروم، في بلاد الرافدين وبلاد الشام.

الفتوح في بلاد فارس:

واجه المثنىٰ بن حارثة الشيباني في الحيرة في بلاد العراق، حشود الفرس في أعلىٰ نهر الفرات، وقد تحالفوا مع بعض القبائل الموالية لهم، للنيل من المسلمين في هذه المنطقة، وأبلغ الخليفة أبي بكر بحشود الفرس ومعاونيهم العراق، فطلب الخليفة في أواخر أيامه من عمر بن الخطاب بحشد الحشود والدعوة لنصرة المثنىٰ وجيشه في العراق.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

معركة القادسية:

استعد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لمحاربة الفرس في العراق، وخرج بحشد كبير من كافة القبائل من المدينة النبوية إلىٰ (صرار موضع يبعد ثلاثة أميال من طريق العراق) ثم استشارهم فيمن يوليه قيادة الجيش، فتوافقوا علىٰ تولية سعد بن أبي وقاص الزهري القرشي والذي يلقب بفارس الإسلام.

خرج مع سعد ثلاثين ألفا إلىٰ زرود قريبة من الكوفة فنزلوا بها ثم رابط في سهل القادسية وفي ذلك الوقت توفي المثنى بن حارثة الشيباني. وكان قد أوصىٰ سعد بن أبي وقاص «أن يقاتل الفرس علىٰ حدود أرضهم».

كان الفرس بقيادة رستم أعظم قوادهم قد أعد عدته لمحاربة المسلمين، وخرج في جيش جرار قوامه مائة وعشرين ألفا، وصحب معه ركبان الفيلة.

كان يزدجرد قد أمر قائد الجيش رستم بأن يعبر الفرات ويهاجم المسلمين. ونفذ ما طلب منه فوجد جيش المسلمين مرابط. وجرت معركة شرسة استمرت ثلاثة أيام وفي اليوم الثالث حقق المسلمون نصرا مؤزرا، وهزم الفرس وقتل منهم نحو ثلاثين ألف فارس.

نتائج معركة القادسية:

1. هي من المعارك الفاصلة في تاريخ الفتوحات الإسلامية.
2. تمكن المسلمون من السيطرة علىٰ المدائن عاصمة الفرس.
3. اعتناق كثير من القبائل العربية في العراق الدين الإسلامي.
4. فتحت خزائن كسرىٰ وغنم المسلمون غنائم وفيرة وأسلاب.

اليوم الثالث

يعرف هذا اليوم بيوم عماس والعماس كسحاب الحرب الشديدة وتعرف ليلته بليلة الهرير.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

فتح نهاوند:

اجتمع بنهاوند فلول الفرس بقيادة يزدجرد، في محاولة منه لاستعادة ملكه وطرد المسلمين من بلاد فارس.

بعث الخليفة عمر بن الخطاب بكتاب إلىٰ النعمان بن مقرن، يوليه قيادة الجيش لمحاربة الفرس.

أمر النعمان القعقاع بن عمرو أن يبدأ الهجوم ففعل، وأثناء القتال قتل النعمان فاستلم بدلا منه حذيفة بن اليمان الذي هزم الفرس ودخل القعقاع همذان ونهاوند وتوالت الفتوح بفتح أصبهان وأذربيجان والري وفتح الباب.وسميت بفتح الفتوح.

كذلك أمر الخليفة عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص بالمسير إلىٰ المدائن وكان بها إيوان كسرىٰ، فلما وصلها بجيشه ونزل سعد في القصر الأبيض. ترك يزدجرد المدينة ولاذ بالفرار فما كان من سعد إلا أن قبل من سكان المدينة الجزية والخراج. وكان قد صلىٰ بالمسلمين في أول جمعة بالمدائن سنة (16 هـ/ 637 م). ثم ولىٰ عليها سلمان الفارسي وبقي في منصبه حتىٰ وفاته عام (36 هـ/ 656 م).

وصل نبأ انتصارات الجيش الإسلامي في بلاد فارس إلىٰ الخليفة عمر بن الخطاب، فقد أرسل سعد بن أبي وقاص كتابا يبلغه بفتح مدائن كسرىٰ وهزيمة جيش الفرس.

فتح خراسان:

تقع شرق بلاد فارس وتضم مرو ونيسابور وهراة وبلخ وطالقان ومدن وقرىٰ عند نهر جيحون، وقد اجتمع فيها فلول الفرس يحرضهم يزدجرد لقتال المسلمين.

سار الأحنف بن قيس إلىٰ خراسان بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب، فدخلها واستبشر أهل خراسان بالمسلمين وقد أمنوهم علىٰ أموالهم وديارهم، ثم واصل سيره نحو هراة وبلخ واتخذ من مرو مقرا له.

نشاط فكري

ما أهمية فتح المسلمين لبلاد فارس؟ ناقش هذه العبارة في ضوء المرتكزات والنتائج.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الفتوح في بلاد الشام:

علىٰ أثر انسحاب البيزنطيين بعد هزيمتهم في أجنادين إلىٰ مدينة دمشق وهروب ثيودور إلىٰ القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، حيث أمر ملك البيزنطيين هرقل قواته المنتشرة في نهر الأردن وفي فحل وبيسان ودمشق وحمص بالتوجه للقضاء علىٰ المسلمين من الجنوب والشمال في بلاد الشام.

وكان المسلمون قد استعدوا لقتال البيزنطيين في معركة انتهت بانتصارهم، ففتحت أغلب المدن في فحل وبيسان وطبرية، بعد أن قبل السكان الصلح مع المسلمين.

فتح دمشق (14 هـ/ 356 م)

جاء فتح دمشق بعد معركة مرج الروم والتي اسفرت علىٰ تقهقر البيزنطيين أمام المسلمين وقتل قائدهم ثيودور. وغنم المسلمون دوابهم وسلاحهم.

فرض أبو عبيدة بن الجراح حصارًا علىٰ دمشق دام لمدة سبعين يوما، مما اضطر الحامية البيزنطية إلىٰ الانسحاب منها، فدخلها المسلمون عنوة من باب الجابية، ودخل خالد بن الوليد من الباب الشرقي صلحا دون قتال، وأقروا علىٰ أهلها دفع الجزية.

واصل خالد بن الوليد مسيره للسيطرة علىٰ حصن بعلبك، واشتبك مع البيزنطيين في معركة سنة (15 هـ/ 636 م)، فقد فيها البيزنطيون الحصن لصالح المسلمين، وتمكن خالد بن الوليد من عقد صلح مع سكان بعلبك مقابل أن يدفعوا الجزية.

كان أبو عبيدة بن الجراح يتأهب لمحاصرة مدينة حمص وهي إحدىٰ المراكز البيزنطية المهمة في بلاد الشام، اتخذها امبراطور بيزنطة قاعدة عسكرية لقواته في بلاد الشام.

لقد فضل سكان حمص دفع الجزية للمسلمين وعقد صلح معهم، علىٰ أن تبقىٰ مدينتهم رهينة بيد البيزنطيين الذين حاصروهم وأحكموا قبضتهم علىٰ المدينة.

وقد حرص أبو عبيدة بن الجراح علىٰ تأمين حمص قبل خروجه منها، فاستخلف عبادة بن الصامت مكانه، واتجه بجيشه صحبة خالد بن الوليد لفتح انطاكية وحلب، وحماة ومعرة النعمان، ووجدت هذه المدن في قبول الجزية والخراج ضمان لأمنهم والبقاء في أراضيهم، فقبل منهم المسلمون ذلك وعاشوا في ديارهم ينعمون بخيراتهم فيما احتفظ بعضهم بمعتقداتهم الدينية. وقد كفلت لهم الدولة حق ممارسة طقوسهم العقائدية في كنائسهم وأديرتهم.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

عاد أبو عبيدة إلي حمص، وكلف خالد بن الوليد في دمشق، وعهد لعمرو بن العاص بفلسطين. أمر الخليفة عمر بن الخطاب أبا عبيدة بن الجراح بعدم مواصلة الفتوحات في بلاد الشام لعام كامل.

فتح جلولاء (16 هـ/ 637 م)

تجمع فلول الفرس بقيادة يزدجرد في مفترق طرقهم إلىٰ أذربيجان والباب وإلىٰ الجبال وفارس، وأرادوا محاربة المسلمين.

وكان المسلمون أكثر تصميم علىٰ محاربة الفرس والاستيلاء علىٰ ما تبقىٰ لديهم من مدن وحصون في بلاد فارس، تقدم القعقاع بن عمرو التميمي للهجوم علىٰ جلولاء، ولما رأىٰ الفرس شجاعته وصمود وقوة جيشه.آثروا ترك المدينة فدخلها المسلمون.

توالت انتصارات المسلمين فتم فتح الكوفة سنة(14 هـ / 636 م) في بلاد العراق وفتح جلولاء. وفي سنة (16 هـ/ 638 م)، تم تمصير الكوفة وبنىٰ فيها المسلمون مسجدا، وكان أميرها سعد ابن أبي وقاص.وفي نفس السنة بنيت مدينة البصرة، و فتحت الجزيرة الفراتية وكان يسكنها عرب تنوخ وربيعة، وفتحت الأهواز مرتين صلحا.

معلومات

- منطقة الأهواز تتاخم مع حدود البصرة، وتضم عدة مدن وقرى من نواحي الجبال قرب همذان
- الباب ثغر عظيم على بحر طبرستان بحر الخزر
- يسمى المسلمون فتح نهاوند بفتح الفتوح.
- كان فتح الكوفة والبصرة حجر أساس لتثبيت أقدام المسلمين في العراق، حيث حلت الكوفة محل الحيرة والبصرة محل الأبلة.

معركة اليرموك (15 هـ/ 636 م)

وصلت أخبار استعداد امبراطور بيزنطة هرقل للهجوم علىٰ الجيش الإسلامي في بلاد الشام للمسلين، فاتفق القادة الأربعة علىٰ توحيد الصفوف وخوض معركة حاسمة ضد البيزنطيين في اليرموك، وزاد من اصرارهم وصول إمدادات كبيرة بقيادة خالد بن الوليد (سيف الله المسلول) قادمة من جبهة العراق.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

استطاعت الجيوش الأربعة خوض معركة في اليرموك وبفضل التنسيق المنظم وكفاءة القيادة ألحقت الهزيمة بالبيزنطيين، بعد قطع الامدادات عنها، وضرب حصار حولهم ففتحت دمشق وبقية المدن في بلاد الشام.

وكان من أهم نتائجها:

1. إخراج البيزنطيين من أغلب مدن وحصون بلاد الشام.
2. حصار المسلمين مدينة القدس استعدادا لفتحها.
3. أصبح الطريق مفتوحا أمام المسلمين للتقدم تجاه مصر.

حصار المسلمين لمدينة القدس:

رفض بطريق المدينة تسليمها وبعد حصارها من قبل المسلمين أذعن البطريق لمطالب أهلها وكانوا قد طلبوا منه قبول الصلح مع المسلمين.

فاشترط البطريق أن يكون المتولي لكتابة عقد الصلح الخليفة عمر بن الخطاب نفسه.

كتب عمرو بن العاص إلىٰ عمر بن الخطاب كتابا يطلعه فيه علىٰ ما جرىٰ بينه وبين بطريق القدس، فخرج أمير المؤمنين من المدينة النبوية إلىٰ الجابية، وهناك جاءته رسل أهل ايليا يطلبون السلام فسالمهم وأمنهم علىٰ أرواحهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم، وبنىٰ مسجدا فيها وقفل عائدا إلىٰ المدينة النبوية (16 هـ/ 637 م).

وبذلك أتم المسلمون فتح بلاد الشام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب.

نشاط

- استعرض مع زملائك أهم الأحداث التي صاحبت فتح بلاد الشام.
- كتبت عهود الصلح في أغلب مدن بلاد الشام ومنح الأمان للسكان على أرواحهم وأموالهم وكنائسهم وأماكن عبادتهم مقابل الجزية.
- بلاد الشام تضم مكونات اجتماعية متنوعة في معتقداتها وثقافاتها أشبه ما يكون بقطعة من الفسيفساء المعبرة على ألوان متناسقة جميلة.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

انتشار الإسلام في شمال أفريقيا

فتح مصر (19 هـ/ 640 م):

بعد أن تسلم الخليفة عمر بن الخطاب مدينة بيت المقدس عقد مؤتمر الجابية مع قادة الجيوش الإسلامية في الشام وهم خالد بن الوليد، أبو عبيدة بن الجراح، عمرو بن العاص، شرحبيل بن حسنة، يزيد بن أبي سفيان وأخوه معاوية، الوليد بن عقبة وخالد بن سعيد بن العاص وغيرهم من المسلمين، وذلك لتدارس الموقف والتشاور في أمور الفتوحات الإسلامية، واستقر الرأي على الاستمرار في هذه الفتوحات في اتجاه الغرب لتأمين ما تم فتحه من البلاد.

توجه جزء من الجيوش الإسلامية بقيادة عمرو بن العاص نحو مصر مخترقة سيناء فاستولى على العريش والفرما وسقطت بعدها بلبيس وعين شمس وحصن بابليون. وسارت بعدها إلى الإسكندرية ففتحت المدن والحصون التي في الطريق إليها. وقد أدى حصار الإسكندرية إلى قبول الروم بالصلح وجلائهم عنها، وأصبحت مصر بذلك ولاية إسلامية.

دخل المسلمون إلى مدينة الإسكندرية صلحا وعقد المقوقس معاهدة مع عمرو بن العاص من شروطها:

1. خروج القوات البيزنطية منها.
2. حرية ممارسة الأقباط المصريين لطقوسهم في كنائسهم، والمحافظة على أرواحهم وأموالهم.

ولما كانت سياسة الفتح الإسلامي لشمال أفريقيا تقوم على أرسال الجيوش إلى أكثر من منطقة فقد أرسل عمرو بن العاص جيشا إلى بلاد النوبة والتي تقع في الجنوب الشرقي لمصر، وكانت قد استعصت على جيش المسلمين، ولم يتمكنوا من دخولها حتى عهد الخليفة عثمان بن عفان، بعد أن تم عقد صلح بين المسلمين وأهلها النوبيين.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

فتح ليبيا (22 هـ/643 م):

فتح برقة وزويلة وودان مابين (22 - 46 هـ/ 643 - 669 م):

توجه عمرو بن العاص بعد فتح مصر بجيشه لفتح مدينة برقة سنة (22 هـ/ 642 م). وكان قد دخلها صلحا وتعهد سكانها علىٰ دفع مبلغ من المال تحمل لمصر سنويا. واشترطوا لايدخل صاحب خراج لمدينتهم. وكانت الأوضاع فيها مستقرة، مما ساعد الجيش الإسلامي في عمليات الفتح في شمال أفريقيا.

كان عمرو بن العاص يهدف من وراء فتح الأراضي الليبية تأمين حدود مصر الغربية من الهجمات البيزنطية المحتملة من مدينتي برقة وطرابلس، الواقعتين تحت السيطرة البيزنطية.

وكان عمرو بن العاص عازمًا علىٰ مواصلة تقدمه في الأراضي الليبية، بعد فتح برقة فوصل إلىٰ مدينة اجدابيا، وعقد صلحا مع سكانها علىٰ أن تُؤدّي المدينة 5 آلاف دينار جزية سنويا.

فيما اتجه عقبة بن نافع إلىٰ الجنوب الغربي حتىٰ وصل لمدينة زويلة، وكانت طريق تجاري يربط بين أوجلة واجدابيا، وفيها سوق تجاري مفتوح للتجارة الصحراوية القادمة من الجنوب والمتجهة إلىٰ الشمال والشرق والغرب، وتمكن عقبة من ضم زويلة وبقية المدن القريبة منها كما دخل مدينة جرمة صلحا.

وصلت الفتوحات في الأراضي الليبية بقيادة بسر بن أبي أرطاة إلىٰ ودان سنة (23 هـ/ 634 م) وكانت قد نقضت العهد الذي أبرم بينها وبين المسلمين فعاد إليها عقبة بن نافع سنة (49 هـ/ 669 م) بجيشه وأعاد فتحها من جديد.

أرسل بكتاب إلىٰ الخليفة عمر بن الخطاب يعلمه بتطورات الأحداث المتعلقة بعمليات الفتح الإسلامي في الأراضي الليبية، **يقول فيه**: «إن من بين زويلة وبرقة سلم كلها، حسنت طاعتهم، قد أدىٰ مسلمهم الصدقة، وأقر معاهدهم بالجزية».

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

فتح مدينة طرابلس الغرب في سنة(23 هـ/ 634 م):

أطرابلس[1] مدينة حصينة ساحلية علىٰ البحر المتوسط استعصم فيها البيزنطيون واحتموا بأسوارها وبسفنهم الراسية علىٰ ساحلها. قدم إليها عمرو بن العاص بقواته بعد أن ضم سرت ولبدة، فلما وصلها عسكر بجيشه شرقي المدينة.

حاول البيزنطيون ولأكثر من شهر صد جيش المسلمين ومنعهم من اقتحام أسوار مدينة طرابلس، وطال أمد الحصار فأرسل عمرو بن العاص فرقة من جيش المسلمين للاستطلاع وتقصي الأخبار. تقدمت الفرقة عندما انحسر البحر ووجد رجل من بن مدلج مسلكا بين البحر والمدينة. حيث تمكن من فتح أحد أبوابها، ودخل صحبة فرقته مكبرين، ولم يكن أمام البيزنطيين ملجأ سوىٰ سفنهم القريبة والراسية علىٰ شاطئ البحر فدخلها عمرو بن العاص وجنوده فاتحا، بعد أن فر منها الحراس البيزنطيون.

وما إن انتهىٰ ابن العاص من فتح طرابلس وتنظيم أمورها، حتىٰ أرسل جيشه بقيادة عبد الله بن الزبير لفتح صبراتة، وكان قد أقام فيها البيزنطيون حامية للدفاع عنها، فكان وصول الجيش لصبراتة مفاجئا لكل من البيزنطيين وسكانها. فقد تمكن من أخذها عنوة وغنم غنائم وفيرة.

كان عمرو بن العاص يستعد بعد فتح صبراتة للسير قاصدا مدينة شروس أحد أهم مدن جبل نفوسة وعندما وصلها ظل ملازمًا لها حتىٰ تم فتحها.

استبشر الفاتحون بقيادة عمرو بن العاص بهذه الانتصارات التي تحققت بفتح أغلب الأراضي الليبية، فأرسل كتابًا إلىٰ الخليفة عمر بن الخطاب يطلعه علىٰ رغبته في مواصلة مسيره غربا لفتح بقية مدن إفريقية، إلا أن أمير المؤمنين في المدينة أمره بالتريث حتىٰ تستقر له الأمور في مصر.

امتثل عمرو بن العاص لأمر الخليفة. وعاد إلىٰ مصر وقد عينه واليا عليها، وظل في منصبه حتىٰ وفاته سنة (43 هـ/ 644 م) وكانت في عهد معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية.

دفعت هذه الانتصارات التي حققها الجيش الإسلامي في طرابلس وصبراتة إلىٰ تراجع البيزنطيين تجاه إفريقية (تونس الحالية).

وأضحت ليبيا هي الحد الغربي في صدر الإسلام عهد الخلفاء الراشدين، وقد

1 ذكرت طرابلس في المصادر التاريخية والجغرافية القديمة برسم (أطرابلس).

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

ظلت كذلك إلىٰ أن أسست مدينة القيروان سنة (50 هـ/ 670 م) وقد صار لها وال خاص بها، هو عقبة بن نافع الفهري.

وفاة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سنة (23 هـ/ 644 م):

توفي عمر بن الخطاب غيلة وعمره ثلاثة وستين عاما. اغتاله رجل فارسي يدعىٰ بأبي لؤلؤة المجوسي، ووري جثمانه الثرىٰ إلىٰ جانب صاحبيه :الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه وأبي بكر الصديق رضي الله عنه.

نشـــاط

تعرفنا على الفتوحات الإسلامية في بلاد الشام ما الدوافع التي دفعت القيادة الإسلامية إلى التحرك تجاه مصر وليبيا ؟.

لماذا اتجه المسلمون بقيادة عقبة بن نافع وبسر بن أبي أرطاة لفتح المناطق الداخلية في ليبيا كزويلة وودان؟

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه
(23 - 35 هـ/ 644 - 656 م)

- **نسبه:** عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية رضي الله عنه، ولد بعد مولد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم سنة 47 قبل الهجرة/ 577 م)، من صحابة رسول الله عرف بالكرم ورقة القلب وبالحياء.
- لقب بذي النورين لأنه تزوج بنتي رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم رقية وكانت قد هاجرت معه إلى الحبشة، ولما توفيت تزوج من شقيقتها أم كلثوم وتوفيت في السنة التاسعة من الهجرة.
- استعان النبي محمد صلى الله عليه وسلم به في صلح الحديبية حين أرسله ليتفاوض مع كفار قريش.
- روى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر وعمر، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة

قبل وفاة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب طلب الصحابة منه أن يستخلف من بعده خليفة للمسلمين كما فعل من قبله أبو بكر الصديق.

رشح عمر بن الخطاب ستة من الصحابة السابقين بإسلامهم لاختيار أحدهما لخلافة المسلمين بعد وفاته وهم:

عثمان بن عفان - علي بن أبي طالب- سعد بن أبي وقاص- عبد الرحمن بن عوف - الزبير بن العوام- طلحة بن عبيد الله، وأوصى علىٰ أن يكون حاضرا عند الاختيار ابنه عبد الله بن عمر دون أن يكون له حق تولىٰ الخلافة.

وتقرر اختيار عثمان بن عفان خليفة للمسلمين بالإجماع في المدينة النبوية. وحصل علىٰ البيعة العامة.

أهم أعماله:

قضىٰ الخليفة عثمان معظم فترة خلافته في توطيد أركان الدولة، وقد اتسعت حدودها نتيجة لحركة الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء السابقين.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

ومن أجلّ الأعمال التي قام بها في عهده أنه قام بنسخ مصحف أبي بكر الصديق ثم قام بتوزيع النسخ على الأقاليم الإسلامية، خوفا من ضياعه وتحريفه. ولذلك عرف بالمصحف العثماني.

وكان أول من قام بتوسعة للمسجد الحرام والمسجد النبوي في المدينة النبوية.

جعل عثمان بن عفان دارا للقضاء يجلس فيها القاضي ليقضي فيها بين الناس، إذ كان يتم التقاضي بين الناس في المسجد.

حرص الخليفة عثمان على اتباع سياسة عمر النقدية، فقد قام بضرب عملة إسلامية عبارة عن دراهم نقشها الله أكبر.

اهتم الخليفة الراشدي الثالث بتأمين حدود الجبهة الغربية في مصر وليبيا، وكان البيزنطيون يستعدون لمعاودة الهجوم على الإسكندرية عن طريق البحر، لعلمهم بعدم قدرة المسلمين على مقارعتهم بذات السلاح، لعدم امتلاكهم أسطول بحري.

طلب والي مصر عبد الله بن أبي سرح من الخليفة عثمان بن عفان السماح له بإنشاء دار لصناعة السفن في مصر، فأذن له بذلك وبدأ في بناء أسطول إسلامي في البحر المتوسط بمساعدة أمير بلاد الشام معاوية بن أبي سفيان، وفي فترة وجيزة استطاع الأسطول الإسلامي السيطرة على بعض جزر البحر المتوسط، كجزيرة قبرص.

وتوجت انتصارات الأسطول الإسلامي بقيادة عبد الله بن أبي السرح وبسر بن أبي أرطاة، في موقعة ذات الصواري سنة (34 هـ/ 654 م) التي جرت وقائعها عند الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى، حيث سيطروا على جزيرتي قبرص ورودس. وبذلك صار للدولة الإسلامية قوة بحرية ناشئة في مصر وبلاد الشام، تمكنت من التغلب على الأسطول البيزنطي في الجزء الشرقي في البحر المتوسط.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

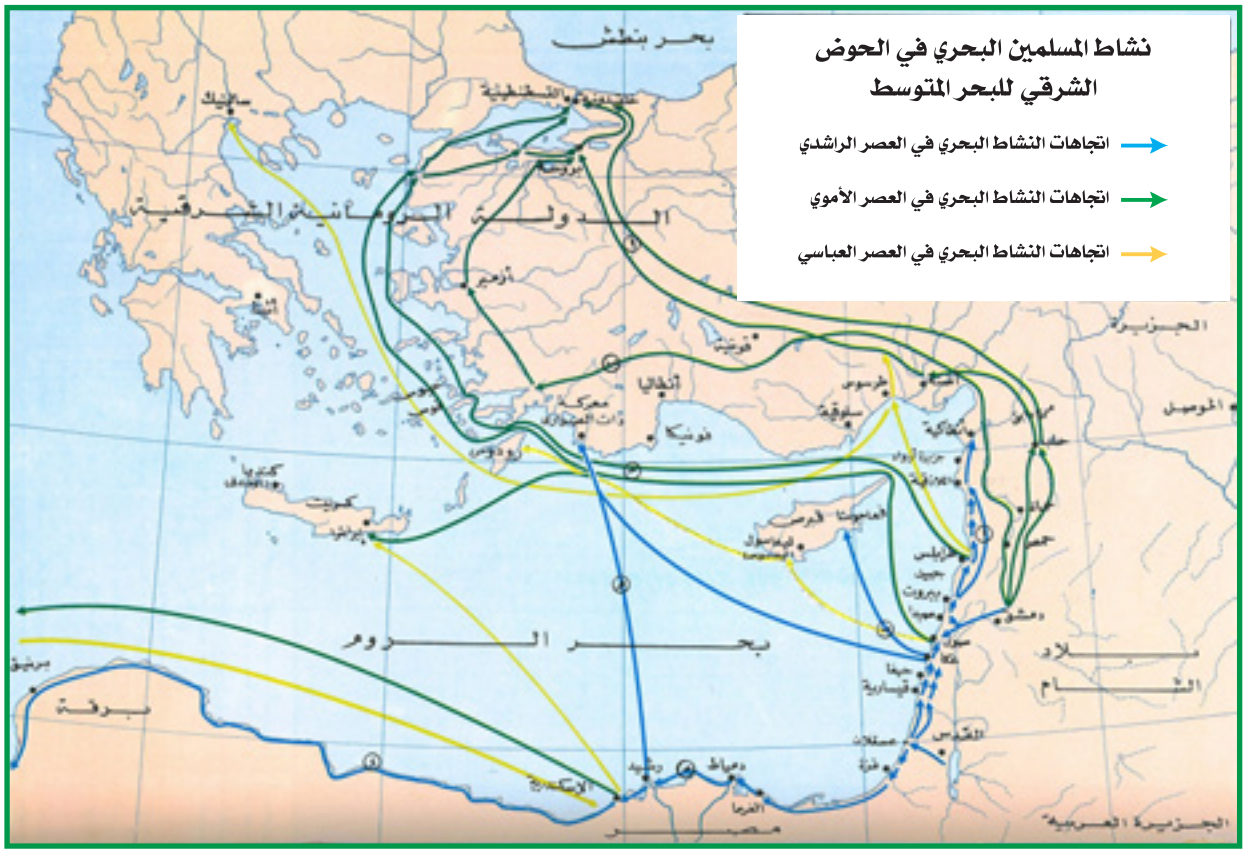

خريطة تبين نشاط المسلمين البحري في الحوض الشرقي للبحر المتوسط

الفتوح الإسلامية في عهد الخليفة عثمان بن عفان:

كانت حركة الفتوح في عهده امتداد لحركة الفتح التي بدأت في عهد أبي بكر وعمر بن الخطاب.

فتح إفريقية:

كلف الخليفة عثمان بن عفان عبد الله بن أبي سرح بغزو إفريقية، وأمده بجيش يضم أعيان الصحابة سمي بجيش العبادلة سنة (27 هـ/ 647 م). خرج عبد الله بن أبي السرح بعد أن انضم إليهم عقبة بن نافع في برقة في قوة قاصدا إفريقية قاعدة البيزنطيين في الجزء الغربي في البحر المتوسط، وكان قد نزل في عقوبة مكان قريبة من سبيطلة وهناك اشتبك الجيشان البيزنطي والإسلامي في مدينة سبيطلة. رجحت فيها كفة المسلمين. وأصاب فيها جيش العبادلة غنائم كثيرة.

رجع عبد الله بن أبي السرح إلىٰ إفريقية سنة (29 هـ/ 649 م) وواصل تقدمه حتىٰ وصل إلىٰ قفصة ومنها اتجه لفتح حصن الأجم. فيما تمكن عبد الله بن الزبير بالظفر

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

بقائد جيش البيزنطيين جرجير وقتله في (29 هـ/ 649 م)، وبذلك أحكم الجيش الإسلامي سيطرته على سبيطلة وبقية المدن والقرى القريبة منه، واتفق سكانها على طلب الصلح مع عبد الله بن أبي سرح مقابل مال يدفعونه ويرحل عن مناطقهم.

عاد عبد الله بن أبي سرح لمقر اقامته في مصر، وبعث بكتاب إلى الخليفة يعلمه بذلك وقد حالت حادثة حصار الخليفة عثمان بن عفان في المدينة دون استكمال فتح بقية مناطق شمال أفريقيا، وكانت أحد الأسباب التي أدت إلى توقف حركة الفتوحات الإسلامية.

وفاة الخليفة عثمان بن عفان (35 هـ/ 656 م):

اضطربت أحوال الأقاليم الإسلامية خاصة في مصر وبلاد العراق في نهاية عهد الخليفة عثمان بن عفان، مما دفعه لإرسال بعض رجاله لتقصي الحقائق والوقوف على الأسباب التي أدت إلى تأزم الوضع في هذه البلاد، إلا أن الأمور تأزمت أكثر حتى وصلت إلى حد خروج الناس عن الطاعة، وإرسال وفود إلى المدينة مطالبة بعزل الولاة المعينين من قبله.

وقد تطورت الأحداث بشكل كبير وخطير في المدينة النبوية، خاصة بعد قدوم الوفود إليها من مصر والعراق وبقية الأقاليم الإسلامية، وتم حصار بيت الخليفة وقتله في يوم الجمعة(18، من ذي الحجة 35 هـ/ 656 م).

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

خلافة عَلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
(35 - 40 هـ/ 656 - 661 م)

- نسبه: علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن عبد مناف الهاشمي القرشي وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمه فاطمة بنت أسد ولد قبل الهجرة المحمدية (23 / 600 م)،نشأ وتربى في بيت ابن عمه محمد صلوات الله وسلامه كان أول من أسلم من الفتيان، زوجه رسول الله من ابنته فاطمة، تولى خلافة المسلمين بعد وفاة عثمان بن عفان وبذلك فهو آخر الخلفاء الراشدين الأربعة.
- تمت البيعة له في المدينة النبوية بعد خمس ليال من مقتل الخليفة عثمان بن عفان.
- صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم خطب في المسلمين قائلا لهم: «إن الله عز وجل أنزل كتابا هاديا بين فيه الخير والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر.....».
- خصاله: اشتهر بشجاعته وورعه وكان عالما بالقضاء خطيبا بليغا حسن البيان.
- روي الإمام علي بن أبي طالب (586) حديثا عن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم

أعمال علي بن أبي طالب:

بدأ عهده بعزل الولاة السابقين ممن اتهموا في أمانتهم وعدم قدرتهم علىٰ إدارة الولايات، وكانوا سببا في خروج الناس علىٰ الخليفة عثمان بن عفان وتعيين ولاة جدد علىٰ الأمصار الإسلامية. يتمتعون بثقة الخليفة والرعية.

أما قصة خلافه مع معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمير دمشق منذ عهد الخلفاء السابقين أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم. يرجع سبب الخلاف إلىٰ امتناع معاوية عن مبايعة علي بن أبي طالب، وحجته الزام علي بمعاقبة قتلة عثمان، عمل أمير المؤمنين

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

جاهدا علىٰ اتقاء الفتنة التي ظهرت بعد مقتل ذي النورين، وقد عارضه الكثيرون في سياسته الرامية لتهدئة النفوس؛ وخاصة في بلاد الشام. وكان علي بن أبي طالب قد خرج من المدينة النبوية إلىٰ الكوفة التي اتخذها دارا لخلافته.

حاول أمير المؤمنين حسم الخلاف مع معاوية، والمؤيدين له من أهل الشام سلما، ولم تُجْدِ محاولاته نفعا. مما أدىٰ إلىٰ نشوب صراعات وصدامات، كادت أن تعصف بأمن واستقرار الدولة الإسلامية.

وقعة الجمل (36 هـ/ 657 م):

خرجت السيدة عائشة رضي الله عنها تطلب القصاص من قتلة الخليفة عثمان بن عفان. وقدم الزبير بن العوام وطليحة بن عبيد الله إلىٰ مكة المكرمة، واتفقوا علىٰ الخروج إلىٰ البصرة، وكتبوا إلىٰ زعمائها الأحنف بن قيس و المنذر بن ربيعة، يطلبون منهم انضمامهم إلىٰ صف بن الزبير، وأخذوا بسياسة استمالة الخصوم وتحريضهم علىٰ قتال علي بن أبي طالب، ولم تسفر جهود الإمام علي في رأب الصدع مع خصومه ومعارضيه، فكانت وقعة الجمل، وقد ظفرأمير المؤمنين بعدد كبير من المنشقين.

وقعة صفين (37 هـ / 658 م):

قرر عليا بن أبي طالب عزل معاوية بن أبي سفيان من ولاية بلاد الشام، فعصاه معاوية ورفض التسليم له، وتنازع الرجلان واشياعهم حتىٰ وصل إلىٰ اقتتال في سهل صفين، وقد زهقت دماء من الطرفين، وكادت أن تنته لصالح علي بن أبي طالب، لولا تدبير من عمرو بن العاص، إذ أشار علىٰ أهل الشام برفع المصاحف علىٰ أسنة السيوف وتحكيم القرآن بينهم وبين انصار علي بن أبي طالب وجلهم من أهل العراق وقبل علي قبول التحكيم وهو مدرك أنها خديعة من عمرو.

حادثة التحكيم:

جاءت علىٰ إثر وقعة صفين في سنة (38 هـ/ 658 م)، واختار أهل العراق أبا موسىٰ الأشعري. وقدم أهل الشام عمرو بن العاص، واتفقا علىٰ أن يتم خلع الرجلين أمير المؤمنين في المدينة النبوية علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان أمير دمشق.

التزم أبو موسىٰ الأشعري بما اتفق عليه مع ابن العاص، فخلع صاحبه علي، وخالفه عمرو الذي أقر معاوية أميرا.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

انقسم المسلمون بعد هذه الحادثة وقد رأوا في ذلك مخالفة لتوجهم، ففريق وقف مع معاوية وآخر رأىٰ عزل الرجلين علي ومعاوية، وآخر أقر مبايعة علي بن أبي طالب وهم أهل الكوفة.

وقعة النهروان (39 هـ/ 659 م):

اتسعت دائرة الخلاف بين علي بن أبي طالب وخصومه السياسيين، ممن رفضوا نتائج حادثة التحكيم القبول بها، وكانوا قد خلعوا عليا واجتمعوا علىٰ قتاله، فقاتلهم وانتصر عليهم. وهم الذين عرفوا بالخوارج بعد ذلك.

قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي في (17 رمضان – 40 هـ/ 611 م).

الخوارج:

هم جماعة خرجوا على الأمويين وكانوا من شيعة علي بن أبي طالب في بادئ الأمر، ثم خرجوا عليه بعد حادثة التحكيم وحاربوه في النهروان.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

عام الجماعة

بايع جند العراق الحسن بن علي بن أبي طالب، بعد مقتل أبيه علي بن أبي طالب.

امتنع جند بلاد الشام عن مبايعته بتأثير مباشر من أميرهم معاوية بن أبي سفيان، وكان قد أفصح عن رغبته في تولىٰ خلافة المسلمين، عقب مقتل آخر الخلفاء الراشدين أبو الحسن.

ولما رأىٰ الحسن بن علي قوة جند الشام واصرارهم علىٰ تغليب معاوية عليه، أيقن أن من مصلحة الأمة أن يسلم لمعاوية بالخلافة حتىٰ يمنع الشقاق بين المسلمين في العراق والشام. ويحقن الدماء فتنازل له في ربيع الأول سنة (41 هـ/ 661 م)، قبل أهل العراق بالتسليم لمعاوية، بينما رفض الخوارج التسليم له.

أما الحسين بن علي فقد قبل بما عقده أخيه واتفق عليه الحسن مع معاوية، وآثر علىٰ نفسه أن يطلب شيئا لنفسه وأخوه كان زاهد فيه إلىٰ أن قرر معاوية توريث الخلافة لابنه يزيد من بعده. عندها صمم الحسين علىٰ الخروج ورفض أن يبايع له بالخلافة وهذا ما سيتم تناوله لاحقا.

عام الجماعة الأول (41 هـ/ 661 م)

هو العام الذي اتفق فيه عامة المسلمين في بلاد الشام والعراق على حقن الدماء واخماد الفتنة عقب مقتل الإمام على بن أبي طالب، ومنعا لحدوث صدام بين مناصري معاوية بن أبي سفيان من أهل الشام ومؤيدي الحسن بن علي، تنازل الأخير له عن خلافة المسلمين ليعلن معاوية بن أبي سفيان عن قيام الدولة الأموية ومقرها دمشق في بلاد الشام.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

انتشار الإسلام في بلاد الشام والعراق وبلاد فارس

العوامل التي دفعت المسلمين للفتح:

بعد أن حقق المسلمون الانتصار على المرتدين وإعادة الوحدة والقوة إلى الجزيرة العربية وإثبات قوتهم لأعدائهم خارج الجزيرة بانتصارهم في حملة أسامة بن زيد توجهوا بعد ذلك لفتح كل من الشام والعراق تدفعهم إلى ذلك عوامل من أهمها:

أ. رغبة المسلمين في نشر الإسلام وتبليغ الرسالة التي أصبحت من أول واجباتهم بعد أن اعتنقوا الإسلام وفق ما جاء في القرآن الكريم: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿28﴾ ﴾ سورة سبأ.

وقد حارب حكام البلاد المجاورة الإسلام ومنعوا وصول الدعوة الإسلامية إلى رعاياهم مما دعا المسلمين إلى محاربتهم.

ب. ضعف الدولتين المجاورتين الروم البيزنطيين والفرس مما ساعد وشجع على غزوهما ونشر الاسلام في المناطق التي كانوا يسيطرون عليها.

الصراع مع الفرس:

كان يجاور البلاد العربية دولتان عظيمتان: هما دولة الفرس في الشرق ودولة الروم البيزنطيين في الغرب وكانت الدولتان في نزاع مستمر، وكان ميدان هذا النزاع هو الجزء الشمالي من المنطقة العربية (العراق) حيث كانت نار الحرب لا تخمد في هذه المنطقة. وأضعف هذا النزاع الدولتين في الوقت الذي كان فيه الإسلام قد وحّد كلمة العرب وألف بينهم وأصبح الإسلام قبلتهم وغدت حربهم الجهاد في سبيل الله وابتغاء مرضاته ونشر مبادئه.

لم يكن العراق غريباً عن سكان الجزيرة بل كان امتدادة المنازل قبائلها ودار هجرة كانت تنتقل إليه وتسكنه. وكان الفرس يجدون في هذه القبائل أداة من أدواتهم التي تكفيهم اعتداء القبائل العربية التي تقيم على حدودهم فأقامت منهم دويلات وإمارات تأتمر بأمرهم. ومهما يكن من أمر هذه الصلات فقد كان العراق من أهداف حركة الفتوح الإسلامية وخاصة بعد أن أخذت أنظار القبائل العربية النازلة بأطراف العراق والشام تتجه نحو الدولة الإسلامية الجديدة التي قامت في المدينة، وأخذت تخصها بإعجابها، بل لقد

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

بلغ الأمر ببعض هذه القبائل أن طلبت من الخليفة أبي بكر أن يعينها على غزو العراق والشام وطرد الروم والفرس منهما.

أرسل الخليفة أبو بكر الصديق جيشة بقيادة خالد بن الوليد والمثنى بن حارثه الشيباني إلى جنوب العراق وتم إخضاع المنطقة وهزيمة الفرس والأستيلاء على الحيرة والأنبار، ثم أمر الخليفة بعد ذلك خالد بالتوجه إلى الشام لمساعدة الجيوش الإسلامية التي تحارب الروم.

أسباب انتصار المسلمين على دولتي الفرس والروم:

استطاع المسلمون الأنتصار على أكبر دولتين في ذلك الوقت وهما دولتا الفرس والروم البيزنطيين ولعل أهم أسباب هذا الانتصار:

أ) ضعف دولتي الفرس والبيزنطيين نتيجة للحروب الطويلة بينهما وانتشار الفساد والتفكك السياسي داخلهما.

ب) نقمة سكان المناطق المحتلة على الدولتين للاضطهاد الديني وكثرة الضرائب وترحيبها بالفتح الإسلامي للتخلص من استبداد المستعمرين.

ج) إحساس المسلمين بالانتماء لدينهم وشدة إيمانهم بمبادئهم والحرص على الاستشهاد في سبيل الله ونشر الاسلام.

د) ظهور قادة أكفاء بعيدي النظر، قادوا الجيوش نحو الانتصارات.

ه) وجود قبائل عربية يمنية في العراق والشام كانت على اتصال مع عرب شبه الجزيرة العربية، وقد دفعتهم رابطتهم الجنسية والعرقية للوقوف مع الجيوش الإسلامية.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

بلاد الحجاز بعد ظهور الإسلام في العصر الوسيط

ارتفع شأن بلاد الحجاز وعلا شأنها بعد ظهور الإسلام وتأسيس الدولة الإسلامية التي استطاعت أن توحد شبه الجزيرة العربية كلها تحت سلطانها، ثم اندفع العرب في عهد الخلفاء الراشدين في حركة الفتوح، فقامت الدولة العربية الإسلامية الكبرىٰ التي كان مركزها المدينة النبوية، حتىٰ مقتل الخليفة عثمان بن عفان سنة(35 هـ/ 655 م)، وما حدث بعد ذلك من خلاف بين الخليفة علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان والي الشام.

أثبتت تلك الوقائع أن بلاد الحجاز لم تعد المركز الذي تدار منه شؤون الدولة الإسلامية بعد أن اتسعت رقعتها نتيجة لحركة الفتوح الإسلامية، وهاجرت منها أكثر القبائل عددا ونفوذا إلىٰ المناطق المفتوحة في العراق وبلاد الشام ومصر وشمال أفريقيا.

وحينما انتقلت الخلافة إلىٰ معاوية بن أبي سفيان سنة(41 هـ/ 661 م)اتخذ من الشام مركزاً له ومن دمشق عاصمة للدولة الأموية، وأصبح الحجاز إقليماً مرتبطاً بالخليفة مباشرة، وانقسم الحجاز إلىٰ ثلاث مناطق إدارية مراكزها المدينة ومكة والطائف. وكانت مكة والطائف تجمع أحياناً لوالي المدينة وأحياناً كان لكل منطقة إدارية واليها، وبقيت المدينة مركز ولاية الحجاز في العصر الأموي. باستثناء فترة خلافة عبد الله بن الزبير (64-73 هـ/ 683-692 م) الذي اتخذ مكة مركزاً له.

احتفظت بلاد الحجاز بمكانتها الدينية، وازدهرت الحياة العلمية وخاصة علم الحديث والفقه والخبر والتفسير، ولها في نفوس المسلمين مكانة روحية كبيرة، فكان يقصدها طلبة العلم من كل مكان لتلقىٰ العلم وصنوفه والاجتماع بعلمائها

لم يختلف وضع الحجاز بعد انتقال الخلافة إلىٰ العباسيين، فقد بقي الحجاز إقليماً مرتبطاً بالعاصمة بغداد، ويرسل إليه الولاة من أمراء بني العباس أو من شخصيات لها صلة وثيقة بالعباسيين.

أصيبت بلاد الحجاز بنكبات في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي كان أشدها وقعا غارات القرامطة الذين أخذوا يتعرضون لقوافل الحجيج، وفي سنة(318 هـ/ 930 م) أغاروا علىٰ مكة وقتلوا سكانها وحملوا الحجر الأسود إلىٰ البحرين، ولم يعيدوه إلا سنة (339 هـ/ 951 م).

وفي أثناء هذه الفترة العصبية التي مرت بها الخلافة العباسية وقد أصابها الضعف

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

والتفكك انتشرت الفوضىٰ واختل الأمن في معظم الأقاليم الإسلامية. حدثت مجاعة ونقص كبير في المؤن و غلاء في الأسعار في بلاد الحجاز.

شهد الحجاز في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري زيادة في نفوذ العلويين من آل الحسن، وظهرت شخصيات حاكمة تنتهي كلها في نسبها إلىٰ موسىٰ بن عبد الله بن موسىٰ بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وارتبط ولاء هؤلاء الأمراء بحكام مصر من فاطميين وأيوبيين ومماليك، فلما سيطر العثمانيون علىٰ مصر سنة(923 هـ/ 1517 م) أُلحق أقليم الحجاز بالدولة العثمانية، وصار أمر إدارتها في يد الولاة الموفدين من الاستانة.

ترك سلاطين آل عثمان أمراء مكة من بني قتادة الحسنيين (569-1343 هـ/ 1200 - 1924 م) بمواقعهم.

نشاط فكري

قم بتجميع مادة تاريخية تظهر أهم المراحل التاريخية التي عاشتها بلاد الحجاز.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

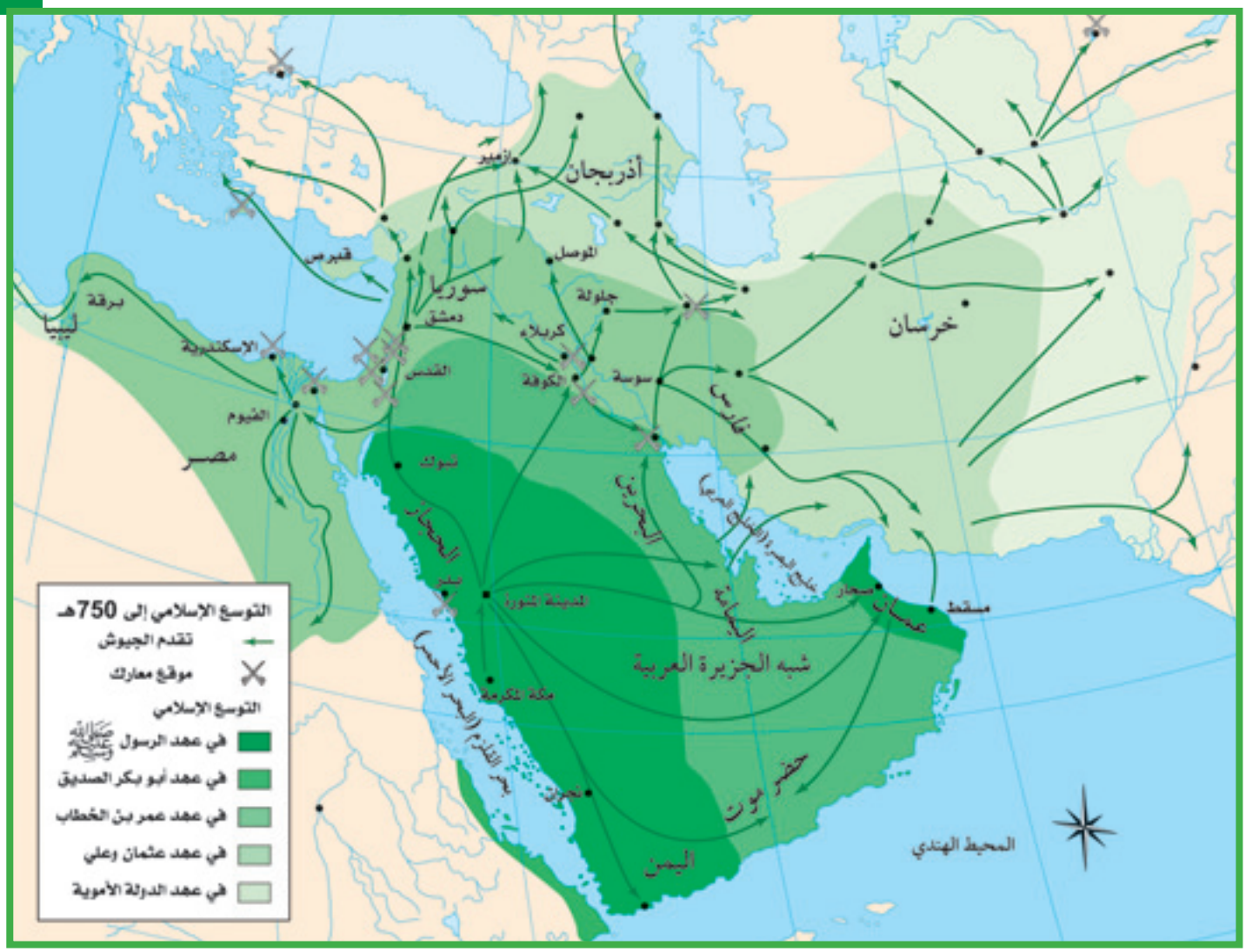

خريطة تبين التوسع الإسلامي في بلاد المشرق منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وحتى عهد الدولة الأموية

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

أسئلة تطبيقية

س1/ ناقش ما يأتي:عدد الأسباب التي دعت إلىٰ:

أ) وقعة صفين.

ب) حادثة التحكيم.

س2/ علل لما يأتي:

أ) فتح المسلمين لمصر.

ب) انتصار المسلمين علىٰ دولتي الفرس والروم.

ج) توجه خالد بن الوليد من العراق إلىٰ الشام.

د) ترحيب سكان المناطق الخاضعة للفرس والروم البيزنطيين بالإسلام.

س3/ تكلم عن انتشار الإسلام واللغة العربية بعد الفتوحات الإسلامية.

س4/ أكمل العبارات الاتية:

أ) أمر الخليفة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنسخ _____ _____ .

ب) أنشأ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عدة دوواوين: _____ ، _____ ، _____ .

ج) عام الجماعة هو: _____ .

س5/ «يعتبر فتح ليبيا مكملا لفتح مصر» وضح ذلك.

س6/ تكلم عن:

أ) موقعة اليرموك.

ب) معركة ذات الصواري.

ج) موقعة القادسية.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

د) أهم المدن التي اختطها المسلمون بعد الفتوحات.

هـ) تاريخ بلاد الحجاز.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الفصل الثالث

قيام الدولة الأموية في بلاد الشام

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الفصل الثالث: قيام الدولة الأموية في بلاد الشام

(41 هـ – 132 هـ/661 – 750 م)

1. معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وتأسيس الدولة الأموية (41 – 60 هـ/ 661 – 680 م):

بدأت معالم دولة جديدة في الظهور وهي الدولة الأموية التي استمرت في قيادة المسلمين حوالي تسعين سنة بأسس ونظم جديدة لعل من أهمها توارث الخلافة في الأسرة الأموية حيث بلغ عدد هؤلاء الخلفاء (14) خليفة، وقد امتدت الدولة الإسلامية في عهدهم من الصين شرقا إلىٰ المحيط الأطلسي غربـًا وحدود فرنسا الفاصلة بين بلاد الأندلس ومملكة الفرنجة.

2. التطور السياسي والإداري في الدولة الأموية:

وصل معاوية إلىٰ سدة الحكم بعد تنازل الحسن وتسليم أهل العراق له، حرص علىٰ نقل مركز الخلافة من الكوفة إلىٰ دمشق ببلاد الشام وذلك للأسباب التالية:

1) إن دمشق كانت مقر ولايته لمدة عشرين سنة في عهدي الخليفة عمر بن الخطاب والخليفة عثمان بن عفان حيث أصبح له فيها أتباع ومؤيدون كثيرون ناصروه وساعدوه علىٰ تولي الخلافة.
2) بعدها عن مركز المعارضة ضد معاوية في الحجاز والعراق.
3) وقوعها في وسط بادية الشام عند مفترق الطرق التجارية التي تربط شمال الدولة بجنوبها وشرقها بغربها فأعطاها هذا الموقع أهمية كبيرة في التحكم في الطرق التجارية والاتصال بين الأقاليم الاسلامية.
4) قربها من حدود الدولة البيزنطية التي كانت تمثل أكبر خطر علىٰ الدولة الإسلامية وضرورة الاهتمام بهذه المنطقة للتصدي لأعداء الأمة وبذلك غدت دمشق أكبر المدن الإسلامية، وشيد بها معاوية قصر الخضراء، وبنىٰ الخليفة الوليد بن عبد الملك المسجد الأموي الذي يعد آية في فن العمارة، كما اهتم خلفاء الدولة الأموية بداية من الخليفة معاوية بن أبي سفيان بتجميل دمشق

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

والعناية بها كعاصمة لدولتهم وأصبحت قصور الخلفاء الأمويين غاية في الرفاهية والعظمة وأقيمت فيها الحدائق والنافورات واتخذ الخلفاء الحجاب والحرس.

تغيير نظام الحكم:

بعد أن استقرت الأمور لمعاوية بن أبي سفيان في قيادة الدولة الإسلامية ووفر لها الاستقرار والاستمرار في أداء رسالتها وتوطيد فتوحاتها بدأ في التفكير بالتخلي عن نظام الشورىٰ الذي كان متبعًا في اختيار الخلفاء الراشدين فسعىٰ لتوريث ابنه يزيد الخلافة من بعده وهو أمر لم يكن سائدا من قبل في الدولة ولم يعتد العرب عليه وانتهىٰ الأمر بالحصول له علىٰ البيعة، وبذلك تحولت الخلافة إلىٰ نظام وراثي وصارت قاعدة لخلفاء الدولتين الأموية و العباسية.

السياسة الداخلية للدولة الأموية في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان:

اشتهر معاوية بالدهاء وقوة العزيمة، وعمل علىٰ وحدة الدولة وأنهىٰ المعارضة، واستعان بعدد من العرب ذوي الكفاية مثل عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وغيرهما فساعدوه علىٰ توطيد الأمور واستئناف حركة الفتوح. كما اهتم معاوية بالتنظيم الإداري للدولة فقد أعاد تنظيم ديوان الخراج، وأنشأ ديوان الرسائل الذي يمثل قسم الشئون الإدارية في الوقت الحاضر للإشراف علىٰ الولايات، وديوان الخاتم لنسخ أوامر الخليفة وايداعها في هذا الديوان. وأدخل نظام البريد. وبعد وفاة معاوية تولي ابنه يزيد الخلافة فقامت في وجهه معارضة، وذلك نتيجة تحويل نظام الخلافة من مبدأ الشورىٰ إلىٰ نظام وراثي وتمثلت هذه المعارضة في:

1) مبايعة أهل العراق الحسين بن علي بن أبي طالب. وقد تمكنت جيوش يزيد من القضاء علىٰ هذه المعارضة وإنهائها.
2) معارضة أهل المدينة لتولية يزيد الخلافة فأرسل قواته لضرب المعارضين لحكمه في المدينة.
3) بايع أهل الحجاز عبد الله بن الزبير، سنة (64 هـ / 683 م) وسمي بعام (الجماعة الثاني).

توفي معاوية بن ابي سفيان بدمشق سنة (60 هـ / 680 م). وكانت وصيته تولية إبنه يزيد بن معاوية السلطة خلفا له من بعده.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

عهد عبد الملك بن مروان (65-86 هـ/ 684-705 م)

تولىٰ عبد الملك بن مروان السلطة بعهد من أبيه مروان بن الحكم، وأمور الدولة مضطربة، في عهد يزيد بن أبي معاوية بن أبي سفيان وفي بلاد الحجاز كان عبد الله بن أبي الزبير من أشد الخصوم لخلفاء معاوية بن أبي معاوية ابنه يزيد ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان، وقد بايع أهل العراق أخوه مصعب بن الزبير. وشيعة في الكوفة تطالب بالخلافة لأبناء علي بن أبي طالب وخوارج خرجوا عن الجميع ولم يبايعوا لأحد منهم.

تمكن عبد الملك بن مروان القضاء علىٰ خصوم آل بيته ومعارضيه. حيث نجح في اخضاع المناطق الثائرة بما فيها الحجاز وبلاد العراق لسلطانه. وقد اختار لهذه المهمة الصعبة الحجاج بن يوسف الثقفي للقضاء علىٰ ثورة عبد الله بن الزبير بن العوام في بلاد الحجاز وتم قتله في سنة (70 هـ/ 689 م). وأخوه مصعب بن الزبير في بلاد العراق.

عبد الله بن الزبير بن العوام

- ولد في العام الأول للهجرة 622 م أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق (ذات النطاقين).
- شهد فتح إفريقية وشارك فيها ضمن جيش العبادلة من خطباء قريش وفرسانها المعدودين.
- روي 33 حديثا عن الرسول الكريم محمد صلىٰ الله عليه وسلم كان له وقائع كبيرة مع الأمويين.

استطاع أن يعيد للدولة وحدتها ولذلك سمي هذا العام بعام الجماعة الثاني سنة (73 هـ/ 692 م).

اختار المهلب بن أبي صفرة للقضاء علىٰ حركة الخوارج وقد استفحل خطرهم بعد أن سيطروا علىٰ كرمان. فقاتلهم قتالا شديدا لمدة سنة كاملة حتىٰ كان يوم البستان وعند كرمان انتصر عليهم وظل يطاردهم حتىٰ أبعدهم عن فارس كلها.

تمَّ في عهد عبد الملك بن مروان إعادة بناء ماتهدم من الكعبة إبان ثورة عبد الله بن الزبير سنة (65 هـ/ 684 م) والذي كان قد قام بهدمها ثم أعاد بنائها من جديد، فلما

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

قتل ابن الزبير علىٰ يد الحجاج بن يوسف، وأمر بهدم البناء الذي أحدثه عبدالله وأعاده علىٰ ماكانت عليه في عهد قريش.

سياسة عبد الملك بن مروان:

استمر في سياسة الفتوح وتأمين حدود الدولة الأموية في الشرق والغرب. ولي المهلب بن أبي صفرة علىٰ خراسان وتمكن من فتح بلخ وكانت تأتيه فدية أهل كس.

انتهز البيزنطيون حالة الاضطراب التي اصابت الدولة الأموية، وأغاروا علىٰ منطقة الثغور المتاخمة لأراضيهم، وقد دفعوا بالجراجمة إلىٰ التحرك من جبال اللكام نحو رومانيا وتراقية وأسية الصغرىٰ. مما اضطر عبد الملك إلىٰ مصالحتهم خوفا علىٰ المسلمين القاطنين بالقرب من حدودهم، حتىٰ أنه قبل شرط امبراطور بيزنطة جستنيان الثاني ودفع إتاوة أعلىٰ من قيمة الإتاوة التي كان يدفعها معاوية بن أبي سفيان. وقد فرض إمبراطور بيزنطة علىٰ دمشق أن تتقاسم مع القسطنطينية العائدات التي تجبىٰ من قبرص وأرمينيا.

ولما استقرت الأمور في دمشق وعادت هيبة الدولة الأموية في عهده. استطاع الخليفة عبد الملك ضم قيسيرية وقاليقلا. ونظمت الشواتي والصوائف.

اهتم الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بالسياسة النقدية، فأمر الحجاج بن يوسف والي العراق بسك دراهم ودنانير إسلامية وقد نقش عليها نقش إسلامي في سنة (84 هـ/ 703 م).بدلا من الدينار البيزنطي والدراهم الفارسية. وتوزيعها في كل الأمصار الإسلامية.

حركة التعريب:

كانت دواوين الدولة تدار من قبل فرس وأقباط وروم، وتكتب بلغاتهم الفارسية والقبطية والرومية إلىٰ أن قام عبد الملك بتعريب الدواوين ونقلها إلىٰ اللغة العربية.

بدأت حركة التعريب في الكوفة علىٰ يد صالح بن عبد الرحمن، وفي بلاد الشام كان أول من قام بهذا العمل سليمان بن سعد الذي كافأه الخليفة بمنحه خراج الأردن كامل.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

ولاية العهد :

قام عبد الملك بعزل ولي عهده عبد العزيز بن مروان، وتولية الوليد بن عبد الملك ومن بعده سليمان وكتب ببيعته لهما من بعده إلىٰ كافة الأمصار ليبايع الناس.

الثورات التي واجهها عبد الملك بن مروان

- كانت حركة التوابين قضي عليهم في معركة الخازر سنة (67 هـ/ 686 م).
- حركة المختار من بني ثقيف وكان قد استمال عدد من الشيعة في الكوفة قتل علىٰ يد مصعب بن الزبير سنة (67 هـ/ 686 م).
- ثورة مصعب بن الزبير في بلاد العراق وكان مقتله سنة (72 هـ/ 691 م) قتله رجالات من بني أمية منهم مروان بن محمد وعبد الملك بن مروان وعبد الله بن يزيد بن معاوية.

استهل الخليفة فترة حكمه بفتح بلاد ماوراء النهر.عيَّن الحجاج بن يوسف الثقفي قتيبة بن مسلم الباهلي واليا علىٰ خراسان. وقام ببعض الحملات الحربية في مرو وبخارىٰ منذ سنة (90 هـ/ 708 م).

امتدت فتوحات قتيبة بن مسلم إلىٰ دلتا نهر جيحون عند خوارزم، وقد تمكن من ضم الممالك الواقعة قرب نهر سيحون المتاخمة لبلاد الترك فغزا الشاش وفرغانة سنة (95 هـ/ 713 م).

وفتحت بلاد السند بقيادة محمد بن القاسم الثقفي كما فتح الديبل (كراتشي اليوم) وهو كان عبارة عن مرفأ ينتهي عنده دلتا نهر الديبل.

في عهد الوليد بن عبد الملك شيد جامع دمشق، ويعد آية من آيات العمارة الإسلامية. وكان قد أعاد بناء مسجد الرسول الكريم في المدينة النبوية وتوسعته.

اعتنىٰ بتشييد البيمارستانات، وخص المجذومين بمكان خاص بهم وكذلك المقعدين وفاقدي البصر فقد أمر بتكليف أشخاص يقومون علىٰ خدمتهم ومساعدتهم نظير راتب يدفع لهم من بيت المال في كل شهر.

اهتم الوليد بن عبد الملك بإصلاح الطرق وتسهيل السبل أمام المسافرين واعتنىٰ

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

بتوفير الماء عن طريق حفر الآبار في طريق الحج وخاصة في بلاد الحجاز.

توفي الوليد بن عبد الملك في دمشق ودامت مدة حكمه إحدىٰ وعشرين سنة، قضاها في حكم دولة بلغت أقاصي الأرض في ذلك الزمان.

دواوين بني أمية ثلاث

1) ديوان الجنـــد
2) ديوان الخـــراج
3) ديوان الرسـائل

عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز بن مروان من بني أمية (99-101 هـ/717-719م)

تولىٰ عمر بن عبد العزيز الحكم بعد وفاة سليمان بن عبد الملك فقد عهد له بالخلافة من بعده. وبايعه بني أمية في مسجد مرج دابق.

عرف بزهده وعدله وورعه. وكان يشبه جده لأمه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. فقد نشأ عمر بن عبد العزيز في المدينة النبوية فاكتسب حسن الخلق والرأفة وكان من فقهاها.

استهل عهده بكتاب بعثه إلىٰ عماله في كل الأمصار يلخص فيه سياسته ورؤيته الثاقبة في شؤون الحكم جاء فيه «.....وإن الذي ولأني الله من ذلك وقدر لي ليس علي بهين ولو كانت رغبتي في اتخاذ أزواج واعتقال أموال كان في الذي أعطاني من ذلك ما قد بلغ بي أفضل ما بلغ بأحد من خلقه وأنا أخاف فيما ابتليت به حسابا شديدا ومسألة غليظة إلا ما عافىٰ الله ورحم وقد بايع من قبلنا فبايع من قبلك».

أشاع الخليفة عمر بن عبد العزيز الأمن في ربوع الدولة وأمر عماله بسياسة العدل والتسامح ونبذ سياسة العنف والتعالي مع الرعية. ومما يذكر له أنه أبطل مغارم كثيرة كانت قد فرضها الحجاج بن يوسف الثقفي. ومن مآثره أمر زوجته فاطمة بنت عبد الملك بأن تعيد إلىٰ بيت المال جميع الجواهر والهدايا التي كانت قد تلقتها من أبيها وأخوتها، فأطاعته

عمل عمر بن عبد العزيز علىٰ نشر اللغة العربية وترسيخها في منطقة الشمال الإفريقي.أرسل عشرة رجال من التابعين وكلفهم بتعليم المغاربة لغة القرآن الكريم.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

كان قد أمر برد المظالم لأهلها، وأعاد إلىٰ المسيحين واليهود كنائسهم وكنسهم، ورد أرض فدك إلىٰ ما كانت عليه في عهد محمد صلىٰ الله عليه وسلم، وآبىٰ أن يأخذ لنفسه ولأهله شيئا من بيت مال المسلمين. كان عمر بن عبد العزيز رجل يخشىٰ الله في جميع أموره، ترك سب علي بن أبي طالب وكتب إلىٰ عماله علىٰ الأقاليم بذلك.يأمرهم بعدم النيل من آخر الخلفاء الراشدين علىٰ المنابر.

توفي عمر بن عبد العزيز(101 هـ/ 719 م) بدير سمعان، وكانت مدة ولايته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام.

فدك من أرض خيبر خصبة، كان أهلها يرسلون بخراجها لرسول الله صلى الله عليه وسلم سنويا.

3. الفتوحات الإسلامية في عهد الأمويين:

توقفت حركة الفتوحات التي بدأها الخلفاء الراشدون قبل عام الجماعة الأول، ولما تولىٰ معاوية الخلافة وخلصت له مقاليد الأمور استأنف الفتوح ونشر الإسلام ومتابعة الجهاد، ولم يتوان خلفاء بني أمية من بعده علىٰ ذلك.

الفتوحات في عهد بني أمية:

أ) استكمال الفتوحات في المغرب والأندلس:

بعد أن تم للمسلمين فتح مصر وما والاها من بلاد المغرب حتىٰ إفريقيّة – كما عرفت – في عهد كل من الخليفة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، توقفت الفتوحات إلىٰ أن تقلد الخلافة معاوية بن أبي سفيان فأمر باستمرارها في بلاد المغرب. فوجه جيشاً بقيادة عقبة بن نافع الذي قام بإنشاء مدينة القيروان عام (50 هـ/ 670 م) والتي أصبحت عاصمة المسلمين في إفريقيّة، ثم واصل بعد ذلك فتوحاته غرباً وطرد الروم البيزنطيين من المنطقة حتىٰ وصل إلىٰ شاطئ المحيط الأطلسي، واستشهد في أثناء عودته إلىٰ القيروان.

وحين ولي حسان بن النعمان ولاية إفريقية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان واصل الفتوحات وطرد الروم البيزنطيين من هذه المنطقة وأخضع المنطقة للمسلمين وأدخل تنظيمات إدارية جديدة فيها، وزاد في تعمير مدينة القيروان، فشيدت المساجد ودور السكن ومرافق أخرىٰ.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

وتولىٰ بعد ذلك موسىٰ بن نصير علىٰ إفريقيّة فأكمل فتح المنطقة، وتطلع إلىٰ فتح شبه جزيرة ايبريا التي أصبحت تعرف فيما بعد بالأندلس.

فتح الأندلس:

بعد استقرار المسلمين في شمال إفريقيا أصبحت المنطقة في معظمها تدين بالإسلام وتعمل علىٰ نشره في مناطق أخرىٰ فكانت شبه جزيرة أيبيريا هي أقرب المناطق. فوجه القائد موسىٰ بن نصير اهتمامه إلىٰ فتحها وأرسل الحملات المتتالية إليها.

1. عهد موسىٰ بن نصير بفتح الأندلس إلىٰ طارق بن زياد الذي عبر بحر زقاق علىٰ رأس جيش إسلامي سنة (92 هـ/ 711 م) من المنطقة التي عرفت باسمه فيما بعد بمضيق (جبل طارق).
2. ولما علم ملك القوط بهذا العبور استعد لمقاومته، واتجه بقواته نحو الجنوب والتقىٰ بالمسلمين في معركة شُريش (وادي الطين) قتل فيها ملك القوط لذريق.
3. واصل طارق بن زياد فتوحاته في بلاد الأندلس، فاستولىٰ علىٰ قرطبة وملقا وطليطلة وعبر بعد ذلك موسىٰ بن نصير لمساعدته في استكمال الفتوحات فسارا معا نحو الشمال، واستكملا فتح بلاد الأندلس (إسبانيا الحالية) حتىٰ حدود فرنسا.
4. توالت فتوحات المسلمين في عهد ولاة الأندلس نحو الغرب.

ووصلت إلىٰ نهايتها بقيادة عبد الرحمن الغافقي إذ عبر جبال البرانس الفاصلة بين الأندلس وفرنسا وواصل زحفه (نحو قلب فرنسا علىٰ مقربة من باريس) حيث التقي مع ملك الفرنجة (شارل مارتل) في موقعة بلَاط الشهداء (تور بواتيه) سنة (114 هـ/ 732 م). واستشهد القائد عبد الرحمن الغافقي في هذه المعركة وانسحب المسلمون إلىٰ الأندلس وبذلك توقف الفتح.

ب) الفتوحات الشرقية (آسيا):

عرفنا فيما سبق زوال دولة الفرس علىٰ يد المسلمين بعد معركة نهاوند حيث أصبحت جزءا من الدولة الإسلامية، وأصبحت منطلقاً للفتوحات في عهد الدولة الأموية وخاصة في عهد الخليفة عبد الملك ابن مروان وابنه الوليد وأهم المناطق التي تم فتحها:

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

1. فتح بلاد ما وراء النهر:

عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك ابن مروان إلىٰ القائد قتيبة بن مسلم الاستمرار في الفتوحات الإسلامية في اتجاه الشرق فانطلق من مدينة (مرو) سنة (86 هـ / 706 م) إلىٰ الجهات التي تقع شمال نهر جيجون (نهر أمودايا الآن) فاستولىٰ علىٰ المدن الكبرىٰ وفي مقدمتها مدينة (بلخ) و (بخاري) ودخل سكان تلك المناطق أفواجاً متلاحقة في الاسلام. وعبر قتيبة نهر (جيجون) وفتح البلاد فيما وراءه. واتصل المسلمون بعنصر جديد وهو العنصر المغولي، واستولىٰ قتيبة علىٰ إقليم (الشاش) وهو طشقند الحالية. وأنهىٰ فتوحاته بالاستيلاء علىٰ (كاشغر) في تركستان الصينية سنة (96 هـ/ 715 م)، وبذلك أصبحت الدولة الاسلامية تجاور حدود الصين وهي مركز حضاري مهم في العصور القديمة.

وكان لهذه الفتوحات نتائج مهمة في التاريخ والحضارة إذ أكسبت الدولة الإسلامية عناصر جديدة أسهمت في إعلاء كلمة الإسلام وبناء حضارة زاهرة في تلك المناطق. وأصبحت مدينة بخارىٰ وسمرقند من مراكز هذه الحضارة في قلب آسيا وفتح الطريق إلىٰ الشرق الأقصىٰ لانتشار الإسلام.

2. فتح شمال الهند (باكستان وبنجلاديش):

غزا المهلب بن أبي صفرة إقليم السند في خلافة معاوية ابن أبي سفيان واستولىٰ علىٰ المناطق الواقعة بين كابل والملتان، وواصل الأمويون فتح تلك الجهات حتىٰ وصلوا الديبل بقيادة محمد بن القاسم سنة 89 هـ/ 707 م. وقد كانت أعظم موانئ إقليم السند وتابع المسلمون زحفهم فاستولوا علىٰ إقليم (النيرون) وهو حيدر أباد الحالية.

وسلك المسلمون مسلكاً طيباً لنشر الإسلام في تلك المناطق فعاملوا سكانها معاملة حسنة مما دفعهم إلىٰ اعتناق الإسلام عن إيمان واقتناع وحماسة شديدة، وأصبحت مناطقهم مركزاً من مراكز انتشار الإسلام وازدهار الحضارة، كما استفاد المسلمون من الحضارة التي كانت سائدة في المنطقة.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

خريطة تبين التوسع الإسلامي في بلاد المغرب والأندلس في العصر الوسيط

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

4. العلاقات بين المسلمين والبيزنطيين:

حاول البيزنطيين مراراً استرداد أقاليم الشام ومصر وبقية شمال إفريقيا من إيدي المسلمين لكن جهودهم باءت بالفشل، مما دعا الدولة الأموية إلىٰ المبادرة في عهد أول خلفائها معاوية بن أبي سفيان إلىٰ إعداد الحملات وشن حرب شاملة هدفها تحطيم الإمبراطورية البيزنطية وفتح عاصمتها القسطنطينية فوجهوا اليها ثلاث حملات:

أ) الحملة الأولى:

جهز معاوية بن أبي سفيان هذه الحملة بقيادة ابنه يزيد واشترك فيها عدد من الصحابة مثل أبي أيوب الأنصاري وعدد من أبناء الصحابة. واتجهت هذه الحملة نحو القسطنطينية سنة (49 هـ/ 669 م) وحاصرتها بعد أن داهمت الحصون والقلاع البيزنطية في آسيا الصغرىٰ، واشتركت مع الأسطول الإسلامي في حصار المدينة. وأظهرت الجيوش الإسلامية شجاعة في حصارها وأنزلت الرعب في قلوب سكانها، ولكنها فكت الحصار دون فتحها، وذلك لما تمتعت به تلك المدينة من مناعة في أسوارها وحصونها.

ب) الحملة الثانية:

كانت هذه الحملة أيضا في عهد معاوية بن أبي سفيان وتُعرف بحرب السنوات السبع وذلك لاستمرار حصار القسطنطينية لمدة سبع سنوات من سنة (54 هـ / 674 م) إلىٰ سنة (60 هـ / 680 م) ولم تتمكن هذه الحملة أيضا من دخول المدينة.

ج) الحملة الثالثة:

أعد هذه الحملة الخليفة الوليد بن عبد الملك لكنه توفي قبل الشروع في غزو القسطنطينية، فتولىٰ المهمة من بعده أخوه سليمان الذي سير الحملة في اتجاه عاصمة الدولة البيزنطية وبدأ حصارها في سنة (98 هـ/ 717 م). استمر الحصار مدة اثني عشر شهراً، انسحب المسلمون بعدها دون فتحها، وقد حقق هذا الحصار وما واجهته الدولة البيزنطية من مشاكل داخلية شلَّ النشاط الحربي للروم البيزنطيين ضد الدولة الإسلامية ومحاولاتهم إعادة احتلال الشام ومصر وأصبح المسلمون علىٰ أبواب عاصمتهم. وأدرك البيزنطيون قوة الدولة الإسلامية وقدرتها علىٰ حماية حدودها.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

قادة الفتوحات الإسلامية في العهد الأموي:

- **محمد بن القاسم الثقفي** أمير السند.
- **قتيبة بن مسلم الباهلي** فتح مدائن خوارزم الشاش «فرغانة» سمرقند.
- **موسى بن نصير** فتح بلاد الأندلس صحبة **طارق بن زياد**.
- **حسان بن النعمان** تولىٰ فتح شمال أفريقيا.
- **مسلمة بن عبد الملك** كان يتولىٰ منطقة الثغور، فتح حصن عمورية وهرقلة وقمونية وطرسوس في بلاد الشام.

خريطة توضح نشاط الدولة الإسلامية في البحر المتوسط خلال القرون الثلاثة الهجرية الأولى

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

5. ضعف الدولة الأموية وسقوطها:

أخذت الدولة الأموية في الضعف عقب وفاة الخليفة هشام بن عبد الملك إذ يعتبر عهده حداً فاصلاً بين عهد ازدهار الدولة وبين عهد اضمحلالها، وانتشار عوامل الضعف فيها. فقد خلفه أربعة خلفاء عجزوا عن إدارة شئون الدولة، وأفلت منهم زمام الحكم وأتاحوا لعوامل الضعف الظهور في الدولة. وتمثلت هذه العوامل في:

أ. الصراع على السلطة بين أفراد الأسرة الأموية:

أدىٰ ضعف الخلفاء الأمويين في آخر عهد الدولة – بعد أن بلغت أقصىٰ اتساع لها – إلىٰ انصرافهم عن شئون الحكم إلىٰ لهوهم وتنافسهم علىٰ السلطة، وانحاز بعضهم لبعض القبائل العربية مثل القيسية أو اليمانية ومناصرتها مما ساعد علىٰ اشعال نار العداوة والعصبية بين هذه القبائل التي كانت تكون المجتمع العربي المتماسك.

ب. ظهور آراء ومذاهب كثيرة

أدىٰ التطور الثقافي والفكري وحرية الرأي إلىٰ ظهور آراء ومذاهب كثيرة مثل الخوارج والمعتزلة وغيرهم مما استنفذ جانباً كبيراً من نشاط الخلفاء وأتاح الفرصة لنشر الدعوة العباسية في أنحاء من بلاد العراق.

ج. اختلال الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية :

عرفت فيما سبق أن الوحدة السياسية كانت سائدة بين عناصر المجتمع الإسلامي في عهد الدولة الأموية، لكن هذه الوحدة اختلت في آخر عهد الدولة خاصة عندما تعصّب الخلفاء لفئة من المجتمع دون سواها. ممّا أدّىٰ ذلك إلىٰ التنافس والصراع واتباع بعض الآراء المذهبية دون سواها وشاع مبدأ ضرورة الإصلاح والعودة بالدولة إلىٰ سيرتها الأولىٰ في عهد الخلفاء الراشدين، وانتهىٰ الأمر بسقوط الخلافة الأموية في عصر مروان بن محمد – آخر خلفاء الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية سنة (132 هـ / 750 م).

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الخلفاء الأمويون

#	الخليفة	ولايته	
		الهجري	الميلادي
1	معاوية بن أبي سفيان	41 هـ	661 م
2	يزيد بن معاوية	60 هـ	680 م
3	معاوية بن يزيد	64 هـ	683 م
4	مروان بن الحكم	64 هـ	683 م
5	عبد الملك بن مروان	65 هـ	685 م
6	الوليد بن عبد الملك	86 هـ	705 م
7	سليمان بن عبد الملك	96 هـ	715 م
8	عمر بن عبد العزيز بن مروان	99 هـ	717 م
9	يزيد بن عبد الملك	101 هـ	720 م
10	هشام بن عبد الملك	105 هـ	724 م
11	الوليد بن يزيد بن عبد الملك	125 هـ	734 م
12	يزيد بن الوليد بن عبد الملك	126 هـ	744 م
13	إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك	126 هـ	744 م
14	مروان بن محمد	127 – 132 هـ	745 – 750 م

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

أسئلة تطبيقية

س1/ اكتب مذكرات تاريخية عن:

أ. عام الجماعة الثاني.

ب. عمر بن عبد العزيز.

ج. محاولات فتح القسطنطينية في العهد الأموي.

س2/ لماذا استمر المسلمون في فتح شمال إفريقيا ؟ مع توضيح مراحل هذه الفتوحات.

س3/ ضع علامة (✓) أو علامة (✗):

أ. اتخذ معاوية بن أبي سفيان مدينة دمشق عاصمة للدولة الأموية. (___)

ب. بني عقبة بن نافع مدينة القيروان واتخذها عاصمة للمسلمين في المغرب. (___)

ج. غزت الجيوش الإسلامية بلاد القوط وضمتها للدولة الإسلامية. (___)

د. انتشرت اللغة العربية بانتشار الإسلام وتعريب الدواوين. (___)

ه. فتحت عاصمة البيزنطيين القسطنطينية في عهد معاوية بن أبي سفيان. (___)

س4/ ارسم خريطة توضح عليها الفتوحات الإسلامية في عهد الدولة الأموية.

س5/ تميزت الدولة الأموية بعدة خصائص. وضح ذلك.

س6/ تكلم عن الأسباب التي أدت إلىٰ ضعف الدولة الأموية.

س7/ علل:

أ. تأييد أهل الحجاز لثورة عبد الله بن الزبير ضد الأمويين.

ب. اهتمام الأمويين بتأسيس دار لصناعة السفن.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الفصل الرابع

قيام الدولة العباسية

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الفصل الرابع: قيام الدولة العباسية
(132 – 656 هـ/ 750 – 1258 م)

أولاً: الدعوة ومراحلها

أ) المرحلة السرية:

ينتسب العباسيون إلىٰ جدهم العباس عم النبي محمد صلىٰ الله عليه وسلم نأىٰ العباس وأبنائه عن المطالبة بالخلافة بعد وفاة رسول الله محمد صلىٰ الله عليه وسلم وحتىٰ العهد الراشدي. ومن الثابت إن العباس عم رسول الله كان أول من بايع لابن عمه علي بن أبي طالب بعد وفاة الخليفة عمر بن الخطاب إذ قال له «أبسط يدك لنبايعك».

غير أن علي بن أبي طالب آثر التخلي عن المطالبة بالخلافة لنفسه، احتراما لرغبة المسلمين في تقديم عثمان بن عفان لتولي خلافة المسلمين.

توفي العباس في عهد عثمان بن عفان سنة (32 هـ/ 653 م).وفضل ابنه عبد الله بن العباس التفرغ لطلب العلم والعبادة وترك أمور السياسة والحكم، دون أن يتخلىٰ عن مساندة ابن عمه علي بن أبي طالب في فترة خلافته.

اتبع علي بن عبد الله بن العباس، سياسة اسلافه في مؤازرة العلويين، حيث وقف إلىٰ جانب الحسين بن علي وكذلك محمد بن الحنيفة بن علي في مطالبتهما بحقهما في خلافة المسلمين.

محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب

- أمه من بني حنيفة وهو أخ للحسن والحسين أبناء فاطمة بنت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم.
- عرف عن محمد بن الحنيفة ميله إلىٰ الاشتغال بالفقه والابتعاد عن أمور السياسة، حتىٰ بعد وفاة الحسن ومقتل أخيه الحسين في كربلاء. عاش معظم حياته بين المدينة النبوية ومكة المكرمة.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

العباس بن عبد المطلب

- من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام، وهو جد الخلفاء العباسيين، وعم رسول الله، ولد سنة (55 ق هـ/ 569 م).
- أسلم العباس ويُكنىٰ بأبي الفضل.
- كان العباس حريصًا في أن تؤول الخلافة إلىٰ علي بن أبي طالب ابن عم الرسول. وأن جدهم جميعا هو عبد المطلب بن هاشم، الذي آلت إليه سيادة مكة قبل الإسلام.
- صحابي من صحابة رسول الإسلام، وهو ثاني من أسلم من أعمامه العشرة إذ لم يسلم منهم سواه وحمزة.
- من أبنائه الصحابي الجليل عبد الله بن العباس يلقب بترجمان القرآن وذلك لأنه كان أكثر الصحابة علماً بالقرآن الكريم وأحكامه، كما كان مفسراً للقرآن الكريم، ولعلمه الغزير أطلق عليه ألقاب كثيرة منها حبر الأمة وفقيه الأمة.
- روي عبد الله بن العباس عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم 1660 حديثا عن رسول الله.

معارضة أبي هاشم بن محمد بن الحنفية للأمويين:

كان الأمويون يخشون من تحركات العلويون ضدهم حتىٰ أنهم اقنعوهم بالخروج من بلاد الحجاز والإقامة في أحد قرىٰ بلاد الشام في قرية الحميمة شرق نهر الأردن، وفي هذه القرية عاش أبا العباس إلىٰ جوار أبناء عمومتهم العلويين.

انصرف أبو هاشم بن محمد إلىٰ تنظيم الدعوة سرا لآل بيته من العلويين، ونجح في بث دعوته واستمالة عدد كبير من الدعاة، الذين عملوا تحت إمرته وأرسلهم سرا إلىٰ الكوفة مهد التشيع لآل البيت العلوي خاصة بعد مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب، وكذلك إلىٰ خراسان بأرض فارس، حيث الموالي الحاقدين علىٰ البيت الأموي.

كان الأمويون يتوجسون من تحركات أبي هاشم بن محمد، دون أن يعلم أحد منهم بحقيقة نشاطه ضدهم، حتىٰ عهد الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك سنة (98 هـ/ 716 م) الذي ساورته الشكوك حوله، فأرسل في طلبه فقدم أبو هاشم إلىٰ دمشق ملبياً طلب الخليفة، وتظاهر سليمان بحسن نوايه حيال ضيفه، غير نه دبّر مؤامرة لقتله بينما هو في طريقه إلىٰ الحميمة.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

قرر أبو هاشم بن محمد التنازل عن حقه في الخلافة:

ولما شعر أبو هاشم بدنو أجله أسرع إلىٰ ابن عمه علي بن عبد الله بن العباس، وسلمه أسرار دعاة الشيعة في الكوفة وفي غيرها من الأقاليم في بلاد فارس وأعطاه كتابا ليقدمه لأولئك الدعاة ضمانا لطاعتهم له، ودفع إليه الكتب التي كتبوها إليه، وقال له: أنت صاحب هذا الأمر، وهو في ولدك، فقام بهذا الأمر ابنه محمد العباسي، وكان ذلك في خلافة سليمان بن عبد الملك سنة (99 هـ/ 718 م).

وجاء تنازل أبو هاشم عن حقه في الخلافة إلىٰ علي العباسي نقطة تحول مهمة في التاريخ الإسلامي، إذ بدأ العباسيون يعملون علىٰ نقل الخلافة إلىٰ بيتهم، بعد أن اقتصر نشاطهم من قبل علىٰ مناصرة أبناء علي بن أبي طالب.

دور الدعاة في بث الدعوة العباسية:

شعارات الدعوة لآل محمد
الرضا من آل محمد
إعادة الدين الحق.

قام الدعاة من الموالي بدور مهم في تثبيت حق الخلافة لآل بيت النبي وتحديدا لآل العباس في الكوفة وخراسان، ومن أشهرهم باكير بن ماهان داعي دعاة الكوفة.

وكان لباكير بن ماهان داعي العباسيين بالكوفة دورٌ كبيرٌ في خدمة الدعوة العباسية بفضل ثرائه وغناه. فَيُروىٰ أنه سلم لمحمد العباسي أربعة قضبان من فضة وآخر من ذهب وكل ماله. وأوصاه بتكثيف جهوده لنشر الدعوة بالخلافة "لآل البيت النبيّ" والعمل علىٰ إسقاط الدولة الأموية التي لم تكفل حق المساواة بين العرب والموالي وخاصة الفرس وابتعدت بما ارتكبته من مفاسد عن روح وتعاليم الإسلام حسب زعمهم.

وقد توفي محمد بن علي العباسي سنة (125 هـ/ 742 م) بعد أن أتم تنظيم الدعوة السرية العباسية، وتركها ثابتة الأركان لإبنه إبراهيم من بعده، كما استطاع الزعيم العباسي الجديد أن يخطو خطوات واسعة نحو تحقيق أهداف العباسيين. فتلقب بلقب الإمام دلالة علىٰ زعامته الجديدة، ثم أعاد تنظيم صفوف الدعاة استعداداً للثورة علىٰ البيت الأموي.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

وبعد وفاة باكير بن ماهان جعل أبو سلمة الخلال أحد الموالي علىٰ الكوفة.

وفي سنة (128 هـ/ 746 م) جعل علىٰ خراسان شخصا آخر من دهاة الموالي الشبان، وهو عبد الرحمن بن مسلم الذي صار يعرف باسم أبي مسلم الخراساني.

وفي سنة (129 هـ/ 747 م)، أمر الإمام العباسي إبراهيم بن محمد أن يكون أبو مسلم الخراساني هو رئيس الدعاة جميعاً، وأمره بأن يجهر بالدعوة للعباسيين حصراً، وأن يعمل علىٰ جعل خراسان قاعدة للإنطلاق بقواته الحربية ضد البيت الأموي.

ب) المرحلة العلنية:

جاء التحول في الدعوة العباسية من العمل سرا إلىٰ العمل علنا في عهد مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين. وقد استطاع أبو مسلم الخراساني أن يجتذب إليه الموالي في خراسان، وأن يوسع الفرقة بين سكان خراسان من العرب. ولم يلبث أن استولىٰ علىٰ مرو عاصمة خراسان. وأسرع الوالي الأموي علىٰ خراسان وهو نصر بن سيار إلىٰ إرسال استغاثة إلىٰ الخليفة مروان بن محمد، يشرح فيها خطورة ما يجري في ولايته ويطلب الإمدادات. وجاءت هذه الإستغاثة في شعر بليغ، يقول فيه:

أرىٰ خلال الرماد وميض نار ... ويوشك أن يكون لها ضرام

فإن النار بالعودين تذكي ... وأن الحرب مبدؤها كلام

فقلت من التعجب ليت شعري ... أأيقاظ أمية أم نيام؟

كان الخليفة الأموي في غفلة عن ما يجري من تحركات في بلاد خراسان تستهدف القضاء علىٰ حكم الأمويين. حتىٰ أنه اعتذر عن مساعدته لانشغاله بمقاتلة الخوارج وفتن أخرىٰ في بلاد الشام، حتىٰ وقع في يد الخليفة مروان بن محمد كتابا من الإمام إبراهيم العباسي يحمل بعض التعليمات الخاصة بالدعوة وتنظيمها، فأرسل مروان إلىٰ السلطات بدمشق أن تقبض علىٰ الإمام إبراهيم بالحميمة، وإلقائه في السجن، ولما علم الإمام إبراهيم ألاّ نجاة له من قبضة مروان، أوصىٰ إلىٰ أخيه أبي العباس بالإمامة، وأمره أن يرحل مع أهله من الحميمة إلىٰ الكوفة.

نزل أبو العباس علىٰ داعي العباسيين بالكوفة، وهو أبوسلمة الخلال، وبقي مختفيا عن رقابة السلطات الأموية.

حاول أبوسلمة الخلال، الذي اشتهر باسم (وزير آل محمد)) أن ينتهز فرصة

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

اختفاء أبي العباس، ويعمل على تحويل الخلافة إلى أحد العلويين. لكن أبو حميد محمد مولى إبراهيم الإمام أخبر قادة الجيش الخراساني ومنهم أبو جهم ومولى بن كعب وغيرهم بأن إبراهيم الإمام أوصى لأخيه أبي العباس، فقدموا معه إلى الإمام وبايعوه، وكان أبو مسلم قد استطاع السيطرة على مرو عاصمة خراسان، وصار القائد الأعلى للجيوش العباسية هناك. أرسل أبو مسلم إلى الكوفة نفرا من قادة العباسيين لمقابلة أبي العباس ومبايعته بالخلافة. مما اضطر أبو سلمة الخلال إلى أن يبايع هو أيضاً لأبي العباس بالخلافة.

خلافة أبي العباس عبدالله
(132-136 هـ/ 750-754 م)

اسمه ونسبه: هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس. ولد سنة(105 هـ / 723 م) بالحميمة هو أول خليفة عباسي دامت فترة حكمه أربعة سنوات وتوفي بمدينة الأنبار في سنة (136 هـ/ 754 م).

بايع العباسيون أول خليفة عباسي وكان أبو العباس عبد الله بن محمد. الذي استفتح عهده بخطبة في الناس في الكوفة كانت بمثابة الإعلان عن قيام الخلافة العباسية، وإقراراً بأحقية العباسيين في الخلافة وأن مطالبتهم بها هو حق شرعي لا ينافسهم فيه منافس حتى أنه وصف نفسه «بالسفاح المبيح والثائر المنيح»، فكني بالسفاح. وقد فسره بعض المؤرخين والاخباريين إنه كان يقصد به الرجل الذي يكثر الذبح لضيوفه، وهناك من فسره على أنه أراد به النيل من خصومه من الأمويين وتعقبهم.

سياسة أبي العباس: نقل مركز الخلافة من الكوفة إلى الحيرة ثم انتقل إلى مدينة الأنبار ونقل فيها دواوينه، وغير اسمها لتكون الهاشمية بعد أن بنى فيها دار لأقامته.

الوزارة في عهده: كان أبي سلمة الخلال الفارسي أول وزير للعباسيين، حتى أنه لقب بوزير آل محمد، ثم عين وزير بعده خالد بن برمك. وبذلك يكون هو أول خليفة يستحدث منصب الوزير ويعهد له ببعض الاختصاصات كأن ينوب عن الخليفة،

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

وحرص على أن يكونوا من الفرس.

اعتمد العباس على ثلاث رجال عرفوا بشدة سلطانهم وسطوتهم ونفوذهم الواسع في تدعيم أركان دولته وهم:

1. أبي مسلم الخراساني بالمشرق أي بلاد فارس وخراسان.
2. أخوه أبي جعفر المنصور بالجزيرة وأرمينية والعراق.
3. عبد الله بن علي وكان بالشام ومصر.

ولاية العهد:

عقد أبا العباس السفاح لأخيه أبي جعفر بالخلافة من بعده، وولاه العهد ثم عيسى بن موسى بن محمد بن علي وكتب العهد بذلك وختم عليه بخاتمه وخواتيم أهل بيته.

ارتكب السفاح خطأ كبير عندما كتب ولاية العهد لاثنين من العباسيين، وكانت من أسباب الفرقة والخلاف بين أبناء البيت العباسي.

وقد وجه أبو العباس السفاح جهوده عقب مبايعته بالخلافة للقضاء على مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين.إذ التقت جيوش العباسيين بقيادة عم الخليفة عبد الله بن علي، بجيوش الأمويين بقيادة مروان بن محمد، عند أحد روافد نهر الفرات بالقرب من الموصل شمال العراق والتقيا في معركة الزاب الأصفر في سنة (132 هـ/ 750 م) انتهت بهزيمة مروان بن محمد وفراره إلى دمشق.

تعقب الجيش العباسي فلول الأمويين الفارين بعد هزيمتهم فسقطت في أيديهم بقية المدن الشامية. ورفع فوق حصونها شعار العباسيين وهو العلم الأسود فوق حصونها، إيذانـًا بسقوط مُلك الأمويين ومغيب شمسهم.

فر مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين من بلاد الشام إلى مصر، حيث ألقي القبض عليه وتم قتله في أحدى قرى الصعيد قرب بويصير في الفيوم. وأرسل بشارات الخلافة، البردة والقضيب والمخصر إلى أبي العباس في العراق.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

جـ) خلافة أبي جعفر المنصور (المؤسس الحقيقي للدولة العباسية) (136 – 158 هـ/ 750 – 775 م)

- اسمه: أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي العباسي، ولد سنة(101 هـ/ 719 م)وهو أكبر سنا من أخيه أبو العباس أول خليفة عباسي.
- طلب العلم وخاصة علم الحديث واهتم بالأدب وكان فصيحا، على دراية بسير الملوك اتصف بالحزم واليقظة والبأس والثبات.
- خلف أخاه أبا العباس في خلافة الدولة العباسية.
- شارك أخاه السفاح في القضاء على خصومه من الأمويين، وأحبط محاولات أبو سلمة الخلال في تحويل الدعوة للعلويين.

يعتبر أبو جعفر المنصور المؤسس الحقيقي للدولة العباسية، فقد استطاع أن يجمع بين السلطتين الدينية والمدنية.وأن يعمل علىٰ تدعيم أركان دولته بعد أن تمكن من القضاء علىٰ خصومه من بني العباس وفي مقدمتهم عمه عبد الله بن علي، ومن الناقمين عليه من الفرس في طليعتهم أبو مسلم الخراساني.

تمكن من إحباط محاولات بعض أبناء البيت العلوي في الظفر بالسلطة فقتل كل من محمد ذي النفس الزكية وأخيه إبراهيم وكانا من أشد الخصوم له.

تعد ثورة محمد بن عبد الله بن الحسن وكنيته محمد ذي النفس الزكية، وأخوه إبراهيم من أشد الثورات التي واجهها الخليفة المنصور. فقد دعا محمد بن النفس الزكية لنفسه بالخلافة وجمع من حوله أنصار في الحجاز والعراق وخراسان، وامتنع عن مبايعة العباسيين وبقي مختفيا عن أعين أبي جعفر المنصور في الحجاز ومعه أخوه إبراهيم.

وكان يظن في بادئ الأمر إن شعار الدعاة في خراسان هو (الرضا من آل محمد) بالخلافة لهم دون بقية أبناء آل البيت، والمقصود به الدعوة لآل علي بن أبي طالب وقد عرفوا بالطالبيين، فاستغل وجوده في الحجاز واعلن عن أحقيته في الخلافة في(رجب 145 هـ/ 762 م)، وحصل علىٰ مبايعة بني هاشم وتلقب بأمير المؤمنين، بينما توجه أخيه إبراهيم إلىٰ البصرة ليقود الانتفاضة فيها ضد العباسيين، وكان أنصار العلويين فيها يرتدون البياض في مخالفة لشعار العباسيين السواد.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

جمع إبراهيم المؤيدين له في الكوفة والبصرة، وتمكن من بسط سيطرته على دار الإمارة وبيت المال فيها. وقبض على والي البصرة ويدعى سفيان بن معاوية وأمر بحبسه..

كلّف الخليفة أبي جعفر المنصور عيسى بن موسى بتجريد جيش للقضاء على الأخوين الثائرين محمد ذي النفس الزكية في المدينة النبوية وإبراهيم في الكوفة والبصرة وبالفعل تم القضاء عليهما في سنة (145 هـ/ 662 م).

هذا وقد أمعن بني العباس في النيل من العلويين والتنكيل بهم وقد أودعوهم السجن، حتى عهد الخليفة العباسي المهدي الذي أطلق سراحهم واستوزر يعقوب.

تأسيس مدينة بغداد:

أختار الخليفة المنصور قرية لتكون مقرا لدولته على الضفة الغربية لنهر دجلة. وشرع في بناء عاصمة جديدة اسماها دار السلام ثم تحولت إلى بغداد في سنة (145 هـ/ 662 م) وعرفت بالمدينة المدورة.

بالغ المنصور في تحصين مدينته بغداد وأحاطها بسورين داخلي وخارجي واشتمل السور الخارجي على أربعة أبواب لكل باب وجهة، باب الكوفة – وباب البصرة – وباب الشام – وباب خراسان – وكان يقع على نهر دجلة وخصص لاستقبال الوفود الرسمية.

شهدت مدينة بغداد تطور عمراني وحضاري في العصر العباسي، حيث ضمت معظم دواوين الحكومة وكان بها دار لسك العملة وقصر الخلافة ومساجد، كما اشتملت على مرافق عامة وخُص صاحب الشرطة وصاحب الحرس بسقيفة كبيرة مبنية على عمد.

قسمت ضواحيها إلى أربعة أقسام، انتشرت فيها المساجد والحمامات والمنازل، وجعل للمدينة شوارع رئيسية وفرعية. أجرى فيها الماء من قناة.

عين أبي جعفر المنصور وزيرا له خالد بن برمك، وفي عهده عظم شأن البرامكة، واحتفظ الخليفة لنفسه بسلطاته فكان يتولى محاسبة ومراقبة الولاة ومراجعة الأمور المالية للدولة، كما أهتم بتحصين الحدود البرية مع البيزنطيين بما يعرف بالعواصم والثغور.

ولاية العهد: كرس أبو جعفر المنصور سياسة تهدف إلى أخذ البيعة لأبنه المهدي في حياته وخلع أخيه عيسى بن موسى من ولاية العهد.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

التخلص من أبي مسلم الخراساني:

قام أبو جعفر المنصور بالقضاء علىٰ أبي مسلم الخراساني الذي حاول الاستبداد لشخصه لما كان له من دور في قيام الدولة العباسية وفي الإطاحة بثورة عبدالله بن علي.

شعر أبو جعفر المنصور بغرور أبي مسلم الخراساني وعدم مبالاته بأبناء البيت العباسي، وذلك حين خرجا سويًّا إلىٰ الحج قبيل وفاة الخليفة أبي العباس السفاح، كان أبي مسلم يتقدم علىٰ ركب الخليفة أبي جعفر، دون الإلتزام بالآداب السلطانية.

أوفد الخليفة المنصور رسولا من عنده ليحصي الغنائم التي حصلت بيد أبي مسلم إثر مقتل عبد الله بن علي، فاعتبر أبو مسلم هذا العمل إهانة له، وشعر أنه لم يعد موضع ثقة الخليفة، وقال: ((أنا أمين علىٰ الدماء، خائن في الأموال))، فأعلن أبو مسلم بعد ذلك عن عزمه علىٰ العودة إلىٰ وطنه خراسان.

وازدادت مخاوف الخليفة من تلك الخطوة التي صمّم أبو مسلم علىٰ القيام بها، وكان يري خلافته وخلافة أسرته من بعده مهددة بالزوال طالما كان أبو مسلم حرا طليقًا. واجتهد في دعوته إلىٰ مقابلته، ازدادت مخاوف الخليفة المنصور من سطوة ونفوذ منافسة أبي مسلم الخرساني فقرر التخلص منه وقتله سنة (137 هـ / 755 م).

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

خلافة المهدي بن أبي جعفر المنصور
(158–169 هـ/ 775 – 785 م)

- اسمه: هو أبو عبد الله محمد المهدي ابن أبي جعفر المنصور، بويع بالخلافة في سنة (158-169 هـ/ 775 - 785 م) في مكة المكرمة.
- اختار وزيراً له يحيى بن خالد البرمكي.

تولىٰ المهدي الخلافة خلفا لأبيه أبي جعفر المنصور، وقرر عزل عمه من ولاية العهد، وأخذ البيعة لولديه الهادي وهارون الرشيد.

سياسته: اتسمت سياسة الخليفة المهدي بميزتين:

أولهم: اتبع سياسة اللين لكسب ثقة الرعية، وخاصة مع أهل الحجاز، كنوا من حاشيته، حتىٰ أنه اختار منهم رجال في حرسه الخاص وشرطته وأحسن لآل عُلي بن أبي طالب.

ثانيهما: حارب أصحاب البدع والحركات المارقة التي ظهرت في عهده، منها الحركة المانوية، فقد نادت بأفكار مخالفة للطبيعة الإنسانية ومنافية لتعاليم الدين الإسلامي، حارب المهدي هذه الحركة المارقة ومثيلاتها كحركة المقنع والذىٰ ادعىٰ الألوهية، واجتهد في تعقبهم والتنكيل باتباعهم.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

خلافة هارون الرشيد
(170 – 190 هـ/ 775 - 809 م)

- اسمه هارون بن محمد بن أبي جعفر المنصور خامس الخلفاء العباسيين. قيل أنه كان عالما بالأدب وأخبار العرب وشاعر، يجالس العلماء ويناظرهم.
- لقب بغازي حاج لأنه كان يغزو سنة ويحج سنة أخرى.
- كلفه أبوه المهدي غزو بيزنطة، فصالحته الملكة ايريني على دفع مبلغ من المال قدره سبعون ألف دينار تبعث بها إلى بيت المال في كل عام.

يعتبر عهد الخليفة الرشيد من أزهىٰ العصور العباسية ورث عرش الدولة وقد وصلت إلىٰ أوسع رقعة جغرافية وامتدت حدودها السياسية شرقا وغربا.

حتىٰ أنه خاطب سحابة «أيتها الغمامة أمطرىٰ أني شئت فإن خراجك سيأتي إلي».

انصب اهتمام هارون الرشيد في أول عهده بالخلافة علىٰ العناية بالنواحي الحضارية كتشجيع العلماء وفتح ميادين العلم والأدب وترجمة علوم الشعوب الأخرىٰ كالفارسية والهندية وغيرها إلىٰ العربية، وازدهرت الحركة الأدبية في الكوفة والبصرة وبغداد.

ومن السياسات التي سلكها هارون الرشيد ترك أمور الدولة بيد البرامكة فقد قلد يحيىٰ بن خالد البرمكي مقاليد الوزارة وفوضه بجميع السلطات، وميز البرامكة عن سائر حاشيته، وكان من آثار ذلك اشتعال نار الفتنة بين الأخوين الأمين والمأمون، وإذكاء روح العصبية بين الفرس والعرب.

لم تدم حالة استقرار الدولة طويلا في عهد الرشيد، إذ بدأت وحدة الدولة السياسية تتلاشىٰ وأخذت الدويلات المستقلة تتشكل في الشرق والغرب مستغلةً بُعدَها عن مركز الخلافة في بغداد.

تأمين حدود الدولة العباسية ضد الإمبراطورية البيزنطية:

غلبت العدائية علىٰ العلاقات بين الدولة الإسلامية ودولة الروم البيزنطية منذ ظهور الإسلام، وزاد من حقد الإمبراطورية البيزنطية، ما قام به المسلمون من فتوحات حملت راية الإسلام إلىٰ كثير من بقاع العالم القديم، وانتزعت من الإمبراطورية أهم أقاليمها في الشام ومصر وشمال أفريقيا. وكان الخط الحدودي الفاصل بين الدولة

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية حتىٰ سقوط الخلافة الأموية يقع عند منطقة الأطراف التي تفصل جنوب أسيا الصغرىٰ، التابعة للبيزنطيين عن شمال الشام والعراق من أملاك الدولة الإسلامية.

وكانت جبال طوروس والجبال التي تليها تشكلان الحاجز الحدودي الفاصل بين الدواتين العباسية والبيزنطية، وما إن استتب الأمر للعباسيين، حتىٰ بادر الخلفاء العباسيون إلىٰ تنظيم حملات عديدة، استطاعت من خلالها أن تعبر هذا الخط الدفاعي، وأن تهدد عاصمة البيزنطيين نفسها القسطنطينية، واضطرت السلطات البيزنطية إلىٰ دفع الجزية سنوياً للدولة العباسية طلبا للسلام.

اعتنىٰ الخليفة هارون الرشيد بالمناطق المتاخمة مع البيزنطيين، فأصلح الثغور والمعاقل المواجهة مع البيزنطيين وسدّ الثغرات التي ينفذ منها العدو من جبال طوروس، ثم جعلها منطقة حاجزة عرفت بـ (منطقة الثغور)، واشتملت تلك المنطقة علىٰ قسمين أحدهما صار يسمي باسم (الثغور الشامية)، ويتولىٰ الدفاع عن شمال الشام، والآخر (الثغور الجزرية)، ويتولىٰ الدفاع عن إقليم الجزيرة بشمال العراق.

وعمل الخليفة الرشيد علىٰ تحصين المدن التي تقع خلف إقليم الثغور، وجعلها وحدة حربية سماها (العواصم)، لأن الجند الإسلامي كان يعتصم بها إذا اشتدت هجمات البيزنطيين علىٰ إقليم الثغور في عهد الخليفة هارون الرشيد..

- العواصم والثغور مناطق مُتاخمة لحدود الدولة البيزنطية العدو الأول للخلافة العباسية، وكان يتم شحنها بالرجال والعتاد لاستطلاع ومُراقبة تحركات العدو عن كثب .
- اهتم هارون الرشيد بتنظيم حدوده المواجهة للبيزنطيين وتحصينها، ففي سنة (170 هـ / 776 م) فصل الثغور كلها عن الجزيرة وقنسرين وسماها العواصم, وجعل عاصمتها منبج تقع في الشمال الشرقي من مدينة حلب، اهتم بتحصينها، وعمّر مدينة طرسوس وكان يهدف إلى جعلها قاعدة عسكرية قوية من حدود بلاد الشام الشمالية.

كانت حروب الرشيد مع البيزنطيين بمستوىٰ واحد من حيث الاستعداد والنتائج، فكان يأمر بخروج الحملات بشكل منتظم سنويًّا، صيفاً وشتاء للإغارة علىٰ «بلاد

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الروم»، في آسيا الصغرىٰ وتهدد العاصمة البيزنطية القسطنطينية، واشتهرت تلك الحملات العباسية علىٰ الإمبراطورية البيزنطية باسم «الصوائف والشواتي».

وصارت سبيلا لإعلاء كلمة الدولة العباسية، ودعم مكانتها الخارجية لدي جيرانها، وحرص الخليفة هارون الرشيد علىٰ أن يتولىٰ قيادة تلك الحملات السنوية بنفسه، حتىٰ قيل أنه كان يغزو البيزنطيين عاما ويحج عاما آخر، وأنه ارتدىٰ لذلك قلنسوة، أي غطاء للرأس، كتب عليه «غازي حاج».

وكانت أهم الحملات التي قام بها هارون الرشيد علىٰ الإمبراطورية البيزنطية تستهدف تأديب الإمبراطور الجديد نقفور الذي رفض أداء الجزية التي كانت تدفعها بيزنطة سنويا لبغداد، وقد كتب كتاباً إلىٰ هارون الرشيد يطلب فيه إعادة الأموال التي كانت تدفعها الإمبراطورة إيرين، التي كانت قائمة علىٰ شؤون الإمبراطورية قبل نقفور. وجاء خطاب الإمبراطور نقفور إلي الرشيد شديد اللهجة فأعد الرشيد جيوشه لتأديب هذا الإمبراطور، وبعث إليه بهذا الكتاب الشهير: «بسم الله الرحمن الرحيم، من هارون أمير المؤمنين إلىٰ نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك... والجواب ما تراه دون أن تسمعه والسلام».

وانتهت إغارة الرشيد علىٰ الأراضي البيزنطية بحمل الإمبراطور علىٰ إعادة دفع الجزية. ونهج خلفاء العصر العباسي الأول نهج هارون الرشيد، فعندما قامت ثورة بابك الخرمي الفارسي زمن الخليفة المعتصم العباسي، انتهز الإمبراطور البيزنطي «ثيوفيل» الفرصة، وقام بحملة علىٰ مدينة «زبطرة» الإسلامية، بمنطقة الثغور، ونهبها وأساء إلىٰ أهلها. فأعد الخليفة المعتصم سنة (223 هـ/ 838 م) ثلاثة جيوش زحف بها علىٰ آسيا الصغرىٰ ودمر مدينة «عمورية» مسقط رأس الإمبراطور ثيوفيل، إمعانا في إذلاله، وتأكيدا علىٰ قوة بطش الخلافة العباسية، سجل وقائع هذه الحملة العباسية علىٰ عمورية الشاعر أبو تمام وذلك في قصيدته الرائعة التي جاء فيها:

السيف أصدق إنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب

يا يوم عمورية انصرفت ... عنك المني معسولة الحلب

غدت الدولة العباسية في عصرها الأول، وبفضل موقعها الجغرافي كذلك قوتها العسكرية البرية تتصدر دول العالم آنذاك.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

مؤامرات الوزراء الفرس:

اعتمد العباسيون اعتمادا كليا على الفرس عامة وعلىٰ والخراسانيين منهم بصفة خاصة خلال مرحلة الدعوة العباسية، ثم أثناء إقامة الدولة العباسية نفسها. فقرب العباسيون إليهم كبار رجال الفرس والطبقة المثقفة منهم، وأشركوهم في الحكم. فقد خص العباسيون الفرس بمنصب الوزراء، الذي نقلوه عن الدولة الساسانية وهي إشارة إلىٰ اشتراك الفرس مع العرب في الدولة الجديدة، فكان العباسيون العرب هم الخلفاء والفرس هم الوزراء.

وتجلت هذه الحقيقة منذ أيام الدعوة العباسية، حيث جعلوا أبا سلمة الخلال وهو فارسي، وداعي الدعاة في الكوفة، وزيرا، وأطلقوا عليه لقب «وزير آل محمد».

شعر العباسيون منذ قيام دولتهم أن الوزراء الفرس يرغبون في نقل السلطان الفعلي إليهم وانتزاعه منهم، تحت ستار الدعوة إلىٰ أحقية أبناء بيت علي بن أبي طالب بالخلافة، فالوزير أبو سلمة الخلال كان يميل إلىٰ العلويين حتىٰ أنه أخفي نبأ وصول أبي العباس إلىٰ الكوفة، فرارا من بطش الخليفة الأموي مروان بن محمد، وسعىٰ لنقل الخلافة إلىٰ أحد العلويين، مما أدىٰ إلىٰ مصرعه علىٰ يد رجال أبي مسلم الخراساني بإيعاز من الخليفة العباس، ومع كل ذلك استمرت الاستعانة بالفرس في عهد الخليفة هارون الرشيد، فقد استعان هذا الأخير بالبرامكة، وعهد إليهم بالوزارة.

البرامكة

أسرة فارسية سميت بالبرامكة نسبة إلى برمك والذي كان قبل إسلامه يشرف على أحد معابد المجوسية في مدينة بلخ، اتصل بعد إسلامه بالعباسيين وقدم لهم الطاعة وتفانى في خدمتهم، فأصبح خالد بن برمك وزير لأول خليفة عباسي أبي العباس، وبلغ آل خالد شأن كبير في عهد المهدي الذي عهد ليحيى بن خالد البرمكي بتربية ابنه الرشيد وكان يخاطبه "يا أبت....

ظل البرامكة محتفظين بمكانتهم علىٰ عهد العباسيين، وعلا شأنهم، وفي سنة (162 هـ/ 779 م)؛ اختار الخليفة المهدي أحد البرامكة وهو يحي بن خالد البرمكي ليكون مربيا لابنه هارون الرشيد، وخدم يحي الرشيد خدمات ممتازة، إذ استطاع أن يقنع

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الخليفة الهادي العباسي بألا يخلع هارون الرشيد من ولاية العهد، وعندما اعتلي الرشيد عرش الخلافة العباسية حفظ ليحي البرمكي خدماته، واعترف له بذلك قائلا له: ((يا أبت، أنت أجلستني هذا المجلس ببركة رأيك وحسن تدبيرك، وقد قلدتك أمر الرعية، وأخرجته من عنقي إليك، فاحكم بما تري)).

وأصبحت إدارة الدولة العباسية في السنوات الأولىٰ من عهد الرشيد في يد البرامكة، ولكن الرشيد لم يغفل مراقبتهم وارتاب في مسلك بعضهم تجاه العلويين الذين كانوا يتحينون الفرصة للقيام بالثورات علىٰ الخلافة العباسية، وساءه اتساع سلطانهم، الذي تطور إلىٰ درجة حجبت أمجاد البيت العباسي، فدبر الرشيد أمر التخلص من تلك الأسرة الفارسية في سرية تامة؛ فأمر سنة (187 هـ/ 802 م) بقتل جعفر ابن يحي البرمكي، وألقي ببقية أبناء أسرة البرامكة في السجن، وذلك بعد أن استفحل سلطانهم في الدولة العباسية مدة سبع عشرة سنة.

والسبب يعود إلىٰ التنافس والتداخل بين سلطة الخليفة وسلطة الوزراء لأن الوزارة لم تتبلور بعد ولم تتضح مساحات صلاحياتها وحدودها لظهورها حديثاً في العصر العباسي.

وفي عهد الأمين الذي حاول عزل أخيه المأمون من ولاية العهد، خلافا للاتفاق الذي سبق أن أقره والدهما الرشيد، كان المأمون في ذلك الوقت في مدينة مرو عاصمة خراسان لإخماد بعض الفتن، ويؤازره أحد كبار رجالات الفرس، وهو الفضل بن سهل، وأغرىٰ هذا الوزير الفارسي المأمون علىٰ رفض قرار أخيه الخليفة الأمين، والتمسك بحقه في الخلافة، وانتهي النزاع بين الأخوين بقتل الأمين سنة (198 هـ/ 813 م)، وإعلان المأمون خليفة، وكانت هذه آخر محاولات الوزراء الفرس للاستئثار بالسلطة في الدولة.

وازداد نفوذ الفضل بن سهل في بغداد، لاسيما أن المأمون كان لا يزال بمرو عاصمة خراسان يدبر أمر عودته إلىٰ بغداد، فكان يلقب بذي الرياستين، أي رياسة السيف ورياسة القلم، وأكثر هذا الوزير من اتخاذ المظاهر الفارسية وأبهة الحكم الفارسي.

وأثار اتساع سلطان هذا الوزير الفارسي مخاوف أبناء بيت الخلافة العباسية خاصة عندما تبين للمأمون مكائد الفضل بن سهل، ولم يتمكن الخليفة المأمون من التخلص من هذا الوزير الفارسي إلا بعد مغادرته مدينة مرو، ودخوله بغداد مقر الخلافة العباسية.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

خلافة أبي اسحاق المعتصم بالله

خلافة أبي اسحاق محمد بن هارون الرشيد بن المهدىٰ بن المنصور المعتصم بالله العباسي ولد سنة (179 هـ/ 795 م)، أمه ماردة من الترك تولىٰ الخلافة بعهد من أخيه المأمون في سنة (219 - 227 هـ/ 833-842 م) وهو ثامن الخلفاء العباسيين.

اعتمد الخليفة المعتصم بالله علىٰ العنصر التركي للحد من سطوة الفرس. وكان قد تم جلبهم من فرغانة ومناطق في آسيا الوسطىٰ حتىٰ امتلأت بغداد بهم. وضاق الناس بتصرفات الأتراك في العاصمة، مما اضطر الخليفة إلىٰ الانتقال بهم إلىٰ خارج بغداد فبنىٰ مدينة سامراء لتكون عاصمة له ومقرا لجيوشه التركية من المماليك الأحرار في سنة (221 هـ/ 636 م).

أرسل المعتصم الأفشين حيدر بن كاوس، للقضاء علىٰ أحد الحركات المارقة حركة بابك الخرمي، والذىٰ أدعىٰ الألوهية وجمع من حوله أعداد كبيرة من الخارجين علىٰ العقيدة، فتمكن من الانتصار عليهم وجي بزعيمهم بابك الخرمي إلىٰ المعتصم، فأمر بقطع يديه ورجليه، ثم جز رأسه. وبذلك تخلص المعتصم من أخطر الحركات المارقة التي كانت سبب في تهديد الدولة العباسية منذ عهد سلفه الخليفة المأمون.

علاقته بالبيزنطيين: بينما كان المعتصم وجيشه منشغل بمحاربة الحركات المارقة، وكان تيوفيل امبراطور بيزنطة مشغولا بما يجرىٰ في صقلية، وقد باتت تحت سيطرة الأغالبة وفشلت جميع محاولاته لاستردادها، إلا أنه عمل علىٰ فتح جبهة ضد العباسيين مستغل انشغالهم بحرب بابك الخرمي. وقام بإشعال نار الثورة في مدينة زبطرة مسقط رأس المعتصم، حتّىٰ أنّه حوَّلها إلىٰ ركام.

ولما سمع الخليفة بهذه الأفعال الشنيعة، أقسم علىٰ أن ينتقم من البيزنطيين في بلادهم، وجهز جيشا وسار به إلىٰ انقرة في أسية الصغرىٰ، هُزم تيوفيل في هذه الحرب مما اضطره إلىٰ ترك مدينته تحت قبضة المعتصم، وكان قد لحقه الأفشين بقواته فساروا جميعهم إلىٰ عمورية سنة (223 هـ/ 838 م) وكانت مسقط رأس تيوفيل فحاصرها ثم دخلها المعتصم بجيشه عنوة وأحدث فيها دمار كبير وقام بهدم أسوار عمورية. وقع في الأسر كبار الشخصيات البيزنطية في المدينة أرسل إلىٰ بغداد.

كان لانتصار المعتصم في عمورية صدي قوي في الدولة العباسية، لحد أن جعل اسمه نموذجا للبطولة عبر القرون اللاحقة.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

هدأت الجبهة البيزنطية بعد عمورية واستمرت حالة الهدوء عدا بعض الحملات الخاطفة والتي تشن على المناطق الحدودية.

وفاة المعتصم :أصيب بمرض عضال أدى به إلى الوفاة في سنة (227 هـ/ 842 م).

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

ثانيًا: السمات المميزة للدولة العباسية

1. اعتبار الخلافة مؤسسة دينية لا رئاسة دنيوية:

اعتمدت الأسرة العباسية في بداية الأمر على الموالي الفرس وفقد الجنس العربي مكانته المرموقة التي كانت له أيام الدولة الأموية، وكان الخليفة الأموي أشبه بشيخ القبيلة الذي يستمد سلطانه من القوى المادية ومن رضي رؤساء القبائل، أما الخليفة العباسي فقد اتسمت سلطته بالقداسة، وصار سلطانه مستمدة من الله سبحانه وتعالى ويتجلى ذلك في قول أبي جعفر المنصور «أنا سلطان الله في الأرض، أسوسكم بتوفيقه ورشده وخازنه على فئة أقمه بارادته وأعطيه بإذنه»[1].

لقد تأثر العباسيون بما كان سائداً عند الفرس من القول بنظرية «الحق الملكي المقدس»، وهذه السمة تخالف ما كان عليه الحال أيام الخلفاء الراشدين الذين استمدوا سلطانهم من الرعية، كما تبين من قول أبو بكر «إن أحسنت فشجعوني، وإن أسأت فقوموني».

وارتبط بنظرة العباسيين إلى قدسية الخلافة إحاطة أشخاص الخلفاء بشتى المراسم التي تبعث على الهيبة والجلال، فصار الخليفة العباسي يرتدي بردة النبي ويحمل في يده أيضا القضيب، وهو الصولجان عند خروجه في المواكب الرسمية أو حضوره المناسبات العامة.

وحرص الخليفة العباسي على أن يلقب بلقب «إمام» توكيدا للمعني الديني في خلافة العباسيين، بعد أن كان هذا اللقب يطلق زمن الراشدين والأمويين على من يؤم الناس في الصلاة.

2. الاتجاه الشرقي للخلافة والدولة:

تأثرت الدولة العباسية بالفرس في نظمهم وتقاليدهم، وكان السبب في ذلك هو اعتماد العباسيين في الوصول إلى الخلافة وتدعيم دولتهم على جماعات الفرس والقيادات الفارسية فأصبح نظام الحكم عند العباسيين مشابها لما كان عليه في بلاد الفرس أيام حكم آل ساسان، فاحتجب الخليفة عن الرعية، واتخذ وزيراً لمساعدته في شئون الإدارة ومخاطبة الناس، وأصبح الداخل على الخليفة ينحني أمامه، وإذا اقترب منه قبل رداءه،

1. أبو جعفر محمد الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مجـ (9) دار الفكر- بيروت، 1979، ص 297.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

وهو شرف لا يناله إلا كبار رجالات الدولة، وظهرت كذلك الأزياء الفارسية في البلاط العباسي، وكان الخليفة أبو جعفر المنصور أول من أمر بارتداء القلانس الفارسية، وهو غطاء للرأس، وجرت مجالس الخلفاء وحفلات الاستقبال أيضا على الأنماط الفارسية.

ويعتبر العهد العباسي نقطة تحول مهمّةواصطبغت الدولة بصبغة إسلامية عالمية، وهي سمة مميزة أيضا قوامها التجاوب المتبادل بين أبناء جميع الأقاليم، وهو ما يعطي انطباعاً على أن الدولة اتخذت سياسة شرقية على عكس الدولة الأموية التي اهتمت في سياستها العامة بالمغرب (شمال أفريقيا). وخير دليل على ذلك أن المغرب كانت أول البلاد التي خرجت على سلطان الخلافة العباسية.

3. تأكيد شرعية الخلافة العباسية:

رأى العباسيون أن تكون قيادة المسلمين بعد وفاة الرسول الكريم ﷺ في أهل بيت الرسول نفسه،فأظهروا في حماسة صلة القربي المباشرة التي تربطهم بصاحب الرسالة، وذلك للجعل تلك القرابة الأساس الشرعي المتين لمطالبة أسرتهم بحقهم في الرئاسة الأولى للمسلمين، في الوقت الذي كان الفرس يتآمرون على العباسيين للتخلص منهم وتحويل الخلافة إلى العلويين، والجدير بالذكر أن ميل الفرس للعلويين كان قديماً وهو يعود إلى أيام الحسين بن علي، كان على العباسيين ولتأكيد شرعيتهم في تولي منصب مواجهة قوتين كبيرتين، هما: قوة بيت علي بن أبي طالب وثوراته، وقوة الوزراء الفرس في الدولة العباسية ومؤامراتهم.

4. رعاية الحضارة الإسلامية:

كان الاستقرار الذي حققه خلفاء العصر العباسي الأول لدولتهم في الداخل والخارج هو القاعدة العريضة التي قامت عليها الحضارة الإسلامية، وما حفلت به من شتى معالم التقدم الفكري والمادي؛ فخلفاء هذا العصر الأول قد شملوا تلك الحضارة النامية برعايتهم، وقدموا لها كل ما يكفل لها الازدهار والانتشار، وتمثلت تلك الرعاية في النواحي الأربع التالية:

1) توفير المال اللازم لما يتطلبه التقدم العلمي والمادي في الدولة:

كانت واردات الدولة العباسية هي المعين الذي استمدت منه الحضارة الإسلامية نشاطها وقوتها للانطلاق.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

خريطة تطور الدولة العباسية في أقصى اتساعها شرقا حتى أيام الخليفة المأمون

كانت خزائن العباسيين تفيض بما يَرد إليها من أحمال الذهب والفضة من سائر أطراف الأرض. فقد خلف المنصور حين توفي أربعة عشر مليونا من الدنانير وستمائة مليون من الدراهم، وكان دخل بيت المال سنويا علىٰ عهد الرشيد نحو سبعين مليونا من الدنانير، وعندما حج الخليفة المهدي سنة (160 هـ/ 777 م)، وزع علىٰ أهل الحجاز ثلاثين مليون ونصف مليون دينار ومائة وخمسين ألف ثوب.

وقد انتظمت في السواد شبكة من القنوات والأنهار مما يسَّر زراعة الأراضي الأمر الذي زاد من واردات الدولة من ضريبة الخراج.

وأنفق بني العباس في عصرهم الأول قدراً كبيراً من تلك الأموال علىٰ العلماء الأطباء والشعراء، وغيرهم من القائمين علىٰ نهضة العلوم والآداب والفنون وأقاموا المساجد والمدارس والبيمارستانات والقلاع وغيرها من مظاهر العمران المنتشرة علىٰ امتداد رقعة الدولة الإسلامية، وإلىٰ إنتشار مظاهر الترف. وانعكست معالم هذا التقدم المادي في قصور الخلفاء وبيوت الوزراء وكبار رجال الدولة.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

وقد هيأ هذا التقدم المادي السبيل لنمو طبقة وسطىٰ في الدولة العباسية، من التجار والصناع، الذين قاموا علىٰ تلبية مطالب هذا الترف وأدواته. فكانت سفن التجار في البحر وقوافلهم في البر، غادية رائحة تجلب الطرف النفيسة من جميع أنحاء العالم أما الصناع فكانوا يتفننون في صوغ التحف الثمينة حيث كانت تتجمع حوانيت كل طائفة منهم في سوق خاص بالسلع.

وكانت بغداد علىٰ عهد الرشيد مثالا عاليا لهذا التقدم الحضاري بنوعيه العلمي والمادي، وذلك من حيث كثرة علمائها ودورها وأسواقها ومساجدها.

2) ممارسة الحرية الفكرية:

هيأ خلفاء العصر العباسي الأول للحضارة الإسلامية كافة أسباب ازدهارها ولعل من أهمها الحرية الفكرية أيضا، ذلك أن الدولة العباسية ضمت شعوبا ذات ماض عريق في الحضارة، ولها اتجاهاتها الفكرية الأصيلة، ووجد الخلفاء العباسيون أن أمثل السبل لاستيعاب هذه التيارات الفكرية العديدة هي إتاحة الحرية أمام أصحابها للتعبير عنها، واتخاذ تلك الحرية سبيلا للإطاحة بالفاسد منها.

كان الخليفة المأمون مهتمًا بالأمور العلمية والفلسفية، وكان حريصًا علىٰ عقد الندوات والمناظرات العلمية بين العلماء في كافة فروع المعرفة، فحرية التعبير مكفولة للجميع في دار الخلافة، وكان سلطان العقل هو الحكم علىٰ صحة الآراء ونبذ ما يتعارض منها مع الدين والعقيدة، أو ما يؤدي إلىٰ الضلال. لقد أتاحت هذه الحرية الفكرية للحضارة الإسلامية أن تقف علىٰ كنوز الحضارات القديمة، وأن تستفيد مما وصلت إليه من تقدم.

3) تيسير سبل المعرفة أمام الجميع:

ساهمت الحرية الفكرية في تيسير سبل المعرفة والثقافة وجعلها في متناول الجميع إبان العصر العباسي الأول. فكانت أبواب المساجد مفتوحة أمام الجميع لتلقي العلم، وكان التعليم مجانيا ومتاحًا للجميع.

وكان لذلك أعظم الأثر في بناء الحضارة الإسلامية. فظهرت في اللعصر العباسي الأول طبقة من أبناء العامة، الذين لم يكن بينهم وبين الثقافة والمعرفة حجاب، فبرزت صفوة من العلماء والأدباء من أبناء هؤلاء العامة قادت الحركتين العلمية والأدبية

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

واستطاعت أن تستسيغ كل ما نقل إلىٰ العربية من الثقافات المتباينة، وأن تضيف إليها من عقولها ما دعم الحضارة الإسلامية، وزودها بروائع الإنتاج الفكري، الذي مازال يُبْهِرُنَا إلىٰ اليوم.

4) سيادة اللغة العربية:

أسهمت عروبة الخلفاء العباسيين في جعل اللغة العربية هي لغة الحضارة الناشئة

خريطة تطور اتساع الدولة الإسلامية شرقا من العصر الراشدي إلى العصر العباسي الأول

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

خلفاء العصر العباسي الأول
(132 هـ - 232 هـ / 750 م - 847 م)

يشمل هذا العصر تسعة خلفاء أولهم السفاح وآخرهم الواثق، واستطاع العباسيون فيه تأكيد قوة خلافتهم، وهو العصر الذهبي للدولة.

	لقب	الخليفة	فترة الخلافة	مُلاحظات
1	السفاح، أبو العباس، المرتضى، القائم.	عبد الله بن محمد	132 - 136هـ 750 - 754م	ابن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب وأمه ورَيْطة بنت عبيد الله الحارثي. حكم حتّىٰ مماته. أطاح بالأمويين في معركة الزاب.
2	أبو جعفر المنصور.	عبد الله الثاني بن محمد	137 - 158هـ 754 - 775م	ابن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب وأمه سلامة البربرية. حكم حتّىٰ مماته.
3	أبو عبد الله، المهدي.	محمد بن عبدالله	158 - 169هـ 775 - 786م	ابن أبي جعفر المنصور وأمه أم موسىٰ بنت منصور الحميرية. حكم حتّىٰ مماته.
4	أبو محمد، الهادي.	موسى بن محمد	169 - 170هـ 786 - 787م	ابن محمد بن عبدالله وأمه الخيزران بنت عطاء . حكم حتّىٰ مماته.
5	الرشيد، أبو موسى، أبو جعفر.	هارون بن محمد	170 - 193هـ 787 - 809م	ابن محمد بن عبدالله وأمه أم ولد تسمىٰ الخيزران بنت عطاء . حكم حتّىٰ مماته.
6	الأمين، أبو عبد الله.	محمد بن هارون	193 - 198هـ 809 - 814م	ابن هارون الرشيد و زبيدة بنت جعفر. حكم حتّىٰ مماته.
7	المأمون، أبو العباس.	عبد الله بن هارون	198 - 218هـ 814 - 833م	ابن هارون الرشيد وأم ولد تدعىٰ مراجل. حكم حتّىٰ مماته.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

	الأمير الكبير، المبارك، أبو إسحاق، الخليفة الأسود، التنين.	إبراهيم بن المهدي	202 - 203هـ 817 - 819م	ابن أبو عبد الله محمد المهدي وشكلة. خرج على ابن أخيه المأمون في بغداد.
8	المعتصم، أبو إسحاق.	محمد بن هارون الرشيد	218 - 227هـ 833 - 842م	ابن هارون الرشيد وأم ولد تدعى ماردة. حكم حتّى مماته.
9	الواثق بالله، أبو جعفر.	هارون بن محمد	227 - 232هـ 842 - 847م	ابن المعتصم بالله وأم ولد تدعى قراطيس. حكم حتّى مماته.

نشاط فكري

اتبع خلفاء العصر العباسي الأول سياسة تقريب العناصر الغير عربية من سدة الحكم.

ناقش مع بقية الطلبة تداعياتها وآثارها.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

ثالثًا: العصر العباسي الثاني "مرحلة التراجع والانهيار"

232-656 هـ/ 847-1258 م

أ) عوامل التفكك السياسي:

كانت مقدمات ضعف الدولة العباسية، قد اتضحت في العصر العباسي الثاني، فاعتبر بداية هذا العصر حد فاصلا بين عصر القوة والازدهار، وبين عصر التفكك والانهيار. ويرىٰ بعض المؤرخين تقسيم تاريخ الدولة العباسية إلىٰ أربعة عصور هي:

1. عصر النفوذ التركي (232 - 334 هـ، 847 - 946 م) ويسمى العصر العباسي الثاني.
2. عصر النفوذ البويهي الفارسي (334 - 447 هـ، 847 - 1055 م) ويسمى العصر الثالث.
3. عصر النفوذ السلجوقي (447 - 656 هـ، 1055 - 1258 م) ويسمى العصر العباسي الرابع.

وقد تضافرت عدة أسباب عملت على ضعف الدولة العباسية وانهيارها منها:

1. ضعف شخصية الخلفاء وهيمنة العناصر الأجنبية على الحكم:

توالىٰ علىٰ عرش الدولة العباسية، في عمرها الثاني مجموعة من الخلفاء، كانوا يتفاوتون ضعفا من حيث صلاحياتهم لتحمل أعباء الدولة، نتيجة نظام تولية العهد لأكثر من واحد من أبنائهم أو أقاربهم، وأدىٰ ذلك إلىٰ كثير من النزاع الداخلي والشقاق بين الأخوة، الذي رأينا مثلا له في صراع الأمين والمأمون. وفي عهد الخليفة المتوكل سنة (232 هـ/ 847 م) جعل ولاية العهد لأبنائه من بعده. وهم المستنصر والمعتز والمؤيد. فناصر الأتراك المستنصر ضد أخويه وتآمروا معه علىٰ قتل أبيه عندما طال مرضه. وأوكل للمعتز الخطبة مكانه وذلك في سنة(247 هـ/ 286 م).

ومنذ ذلك الوقت سيطر الأتراك علىٰ الدولة وأصبح الخليفة في أيديهم كالأسير إن شاءوا أبقوه وإن شاءوا خلعوه أو قتلوه.

وترتب عن ضعف شخصية الخليفة، فقدان الخلافة العباسية هيبتها والخلافة

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

قوتها، وغدت الحياة غاية في الفوضىٰ والاضطراب، وبدأت العامة تعاني من قسوة الحياة بسبب ذلك.

أ) البويهيون في العراق (بني بويه) (334 - 447 هـ/ 946 - 1055 م):

جاء ظهور البويهين في بلاد فارس وسيطرتهم بعد ذلك علىٰ الخلافة العباسية كرد فعل مناهض للنفوذ التركي.

وبني بويه هم عنصر مختلط من الفرس والأتراك وشعوب أخرىٰ، كانوا يعيشون في بلاد الدَّيلم جنوب بحر قزوين.

وقد ظهر بنو بويه علىٰ مسرح الأحداث أوائل القرن الرابع الميلادي/ العاشر الميلادي وأسسوا إمارة مستقلة في فارس والأهواز وكرمان والري وأصفهان وهمذان، وشاركوا الخلافة العباسية في السلطة، وقد عظم نفوذ هذه الأسرة حتىٰ سمي عصرهم بعصر بني بويه.

دخل البويهيون تحت نفوذ العباسيين ببغداد في ظروف غاية في الصعوبة كانت تمر بها الخلافة العباسية التي يسيطر عليها الأتراك. وشعر الناس بفراغ سياسي وبعجز الخلافة العباسية عن بسط سيطرتها، خاصة إثر وقوع الخلفاء في ضائقة مالية شديدة. في هذه الأثناء كان البويهيون يزدادون قوة، وسيطروا علىٰ مناطق شرق الخلافة. فعمد الخليفة العباسي المستكفي إلىٰ استدعاء أميرهم (أحمد بن بويه)، لمساعدته علىٰ استتباب الأمر بها، وطلب منه دخول بغداد لوضع حد لهذه الحالة المتردية فدخلها عام (334 هـ/ 945 م)، واستقبله الخليفة العباسي المستكفي ولقبه بـ(معز الدولة)، وبذلك توسعت سلطة البويهيين إلىٰ العراق غربا.

كان من المتوقع أن يعيد البويهيون الاستقرار والوحدة إلىٰ أقاليم الخلافة بفرض سيطرتهم عليها، وإفساح المجال أمام الخلافة كي تضطلع بمسئولياتها، إلا أن ذلك لم يتحقق، حيث كان البويهيون كانوا يبطنون العداء للخلفاء العباسيين المخالفين لهم مذهبيًّا. كما حمل أميرهم معز الدولة أحمد البويهي فكرة إلغاء الخلافة العباسية نهائيا وإقامة خلافة شيعية زيدية مكانها، إلا أن مخاطر معارضة أهل العراق حالت دون تنفيذ الفكرة.

وأصبحت إدارة الخلافة بين أيديهم، فكانوا بذلك عنصرا أجنبيا وإن كان مسلما

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

قد تحكم في الدولة، مما أفسح المجال للشعوبية وتشجيع الحركات الأنفصالية، كل ذلك كان كفيلا بأن يؤثر على وحدة الخلافة ووحدة البلاد العربية فكان قيام دولة بني بويه سابقة خطيرة أدت إلى حدوث الإنفصال في وحدة الوطن العربي وتحول إلى مجرد كيانات قزمية هزيلة ليس لديها مقومات "الدولة".

وتتضح السيطرة البويهية على مقدرات الخلافة فيما يلي:

1. أصبحت الإمارة وراثية في البيت البويهي فقط.
2. أرغم الخليفة على تفويض بني بويه في إدارة الدولة تفويضا عاما وبصفة رسمية مما أضفى الشرعية على تصرفاتهم وأعمالهم.
3. وقوع الخلفاء العباسيون ضحية لتصرفات البويهيين وتم الاعتداء على شخصهم .
4. تدخل البويهيون في عزل بعض الخلفاء وتعيين آخرين أكثر من مرة.
5. تحديد نفقات الخليفة اليومية والشهرية بعد الحد منها.
6. أرغم الخلفاء العباسيون على الذهاب إلى دار الإمارة لتقليد الأمراء البويهيين الإمارة بدلا من ذهاب الأمير المراد تقليده إلى دار الخلافة.
7. أصبحت الطبول تضرب خمس مرات يوميا أمام دار الإمارة البويهية للدلالة على مكانتهم السياسية في حين أنها كانت لا تضرب إلا مرة واحدة أمام قصر الخليفة.
8. أصبح خطباء المساجد يذكرون الخليفة ومعه الأمير البويهي في خطبة الجمعة.
9. أرغم الخلفاء على نقش اسم الأمير البويهي على أحد وجوه العملة المالية (النقود).

وبالرغم من ذلك لم يستمر العهد البويهي طويلا، ذلك أن استعانتهم بالأتراك في بناء الجيش ووصول الكثير من هؤلاء إلى مناصب قيادية أوجد منافسا لهم. هذا إلى جانب عدد من العوامل الأخرى أدت جميعها إلى سقوط وانتهاء سلطان بني بويه عام (447 هـ/ 1055 م) على يد السلاجقة، وأسر آخر حكامهم المدعو الملك الرحيم على يد

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

قائد السلاجقة طغرل بك.

ب- السلاجقة في العراق (447 - 590 هـ/ 1055 - 1194 م):

ينحدر السلاجقة من قبيلة (قنق) الغزية التركية، وينتسبون إلىٰ جدهم سلجوق بن دقاق. وكانت منازلهم في الصحراء الأسيوية الواسعة والسهوب الممتدة من الصين حتىٰ شواطئ بحر قزوين. كان السلاجقة علىٰ المذهب السني.

وفي عام (375 هـ/ 985 م) نزحوا من موطنهم الأصلي إلىٰ بلاد ما وراء النهر وخراسان علىٰ حساب الغزنويين بسبب الظروف الاقتصادية السيئة التي شهدتها هذه المناطق، إضافة إلىٰ الحروب والنزاعات خاصة بين القبائل.

أسس السلطان السلجوقي (طغرل بك) إمارته في خراسان عام (432 هـ/ 1040 م) واعترف الخليفة العباسي القائم بها في العام التالي (433 هـ/ 1041 م).

وفي الفترة الواقعة بين عامي(433 – 447 هـ/ 1041 – 1050 م) توسعت إمارتهم لتشمل الري وجرجان وطبرستان وأذربيجان وأصفهان التي اتخذوها عاصمة لهم وأصبحوا علىٰ مشارف العراق.

كان الوضع في العراق عشية زحف القوات السلجوقية عليه عام (447 هـ/ 1055 م) في حالة من الفوضىٰ والاضطراب.

انقسم بني بويه علىٰ أنفسهم عقب وفاة جلال الدولة عام (450 هـ/ 1044 م) وكان آخر السلاطين الأقوياء.

سارت الجيوش السلجوقية إلىٰ بغداد عام (447 هـ/ 1055 م) واعترف الخليفة العباسي بالسلطان السلجوقي طغرل بك بسلطانه علىٰ المناطق التي تحت يده، وأمر أن يذكر اسمه في خطبة الجمعة مقابل القضاء علىٰ نفوذ بني بويه الشيعة في العراق وفارس وتحقيق الاستقرار والأمن في مركز الخلافة بالعراق.

أقام طغرل بك سلطان السلاجقة مدة ثلاثة عشر شهرا في بغداد، عمل خلالها علىٰ تدعيم النفوذ السلجوقي في عاصمة الخلافة وتوثيق الصلة بين السلاجقة والخليفة، كما عملت الخلافة من جانبها علىٰ تقوية الروابط بينها وبين هذه القوة الجديدة من خلال المصاهرة بين الطرفين.

لقد حالت الظروف السياسية خارج العراق دون استقرار طغرل بك في بغداد

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

بسبب الحركات المناهضة لحكمه وخاصة خروج أخيه إبراهيم عليه.

وخاصة بعد محاولات من بعض العناصر الشيعية من بقايا بني بويه العودة إلىٰ بغداد والإستيلاء عليها بمساندة الفاطميين بمصر، إلا أن هذه المحاولات باءت بالفشل لعل من أهمها عجز الخلافة الفاطمية بالقاهرة عن تقديم المساعدة.

ظلت العلاقة بين الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي طيبة مدة ثمانية عشر عاما، بعدها نشب الخلاف بينهما بسبب محاولة طغرل بك الإستيلاء علىٰ كافة صلاحيات الخليفة وقيامه بنقل موارد العراق المالية إلىٰ الخزانة السلجوقية وتكليفه نائبا عنه لإدارة العراق ووضعه حامية عسكرية ببغداد عملت علىٰ إرهاب العامة والاستهانة بالخلافة.

وفي العام (456 هـ/ 1063 م) تولىٰ رئاسة الإمارة السلجوقية السلطان (ألب أرسلان) فزادت حدّة الخلاف بين الطرفين، خاصة عندما قام هذا السلطان بتعيين إبنه ملكشاه وليا للعهد عام (459 هـ/ 1066 م) دون إذن من الخليفة، وأعطاه صلاحيات واسعة من بينها أن يخطب باسمه في جميع مساجد الخلافة العباسية.

وبعد وفاة السلطان ملكشاه عام (458 هـ/ 1092 م)، بدأ العد التنازلي لنهاية السلاجقة في العراق. فبالرغم من أن هذه الإمارة قد عاشت حوالي قرنا من الزمان بعد وفاة ملكشاه (485 – 590 هـ/ 1092 – 1194 م) فإنها عجزت تماما عن القيام بأي دور سياسي يكفل الاستقرار، اللهم إلا دورها الذي وقفت من خلاله ضد البيزنطيين عندما حاولوا غزو أراضي الخلافة العباسية.

وكان ذلك علىٰ أيام السلطان (ألب أرسلان) الذي انتصر علىٰ البيزنطيين انتصارا حاسما في موقعه مانزيكرت عام (464 هـ/ 1071 م).

فقد عاشت إمارة السلاجقة خلال المدة المذكورة واهنة القوىٰ تتجاذبها حركات العصيان والتمرد والخروج عن سيادتها في جميع الأراضي التابعة لها.

وكانت الخلافة العباسية عاجزة عن الانتصار لنفسها والخروج من سيطرة السلاجقة وإعادة هيبتها حتىٰ في بغداد.

وقد حاول بعض الخلفاء اتخاذ بعض الإجراءات التي من شأنها إعادة سيادة الخلافة العباسية نذكر من بينها محاولات الخليفة المسترشد (512 – 530 هـ/ 1118 – 1135 م) الذي دفع حياته ثمنا لذلك، ومحاولات الخليفة المقتفي (531 – 555 هـ/ 1136 – 1160 م) الذي نجح إلىٰ حد ما في جمع شتات أعوانه وعزل بعض الموظفين الموالين

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

للسلاجقة.

وإن أعتبر عام (543 هـ/ 1148 م) البداية الفعلية لانتعاش الخلافة العباسية عندما أخذت سلطة السلاجقة في التدهور والانهيار حتىٰ سقطت إمارتهم في بلاد فارس عام (552 هـ/ 1157 م) وصارت اسمية في العراق حتىٰ سقطت نهائيا عام (590 هـ/ 1194 م).

مثّل السلاجقة مرحلة من مراحل سيطرة العناصر الأجنبية علىٰ مقدرات الحياة السياسية في الوطن العربي، وكانوا أحد أسباب ضعف الخلافة وغزوها من قبل المغول الذين أزالوا الخلافة العباسية نهائيا عام (656 هـ/ 1258 م) بعد أن عاشت قرونا عديدة ساهمت خلالها في تقدم الحضارة والنظم الحضارية العربية الإسلامية.

2. اتساع الدولة وترامي أطرافها:

كانت الخلافة العباسية تسيطر علىٰ دولة مترامية الأطراف، لم يكن بمقدورها السيطرة عليها. فإن كانت القيادة الإسلامية في دار الخلافة قادرة علىٰ متابعة جيوشها في فارس والعراق والشام ومصر، فإنَّ الأمر يختلف في بلاد المغرب والبلاد النائية عن بغداد نظرا لبعد المسافة وصعوبة الاتصال، لذلك كانت الفرصة سانحة أمام ولاة البلاد البعيدة عن مركز الخلافة الاستقلال بولايتهم.

وشهدت الخلافة العباسية أول انفصال وتفكك في كيان الدولة الإسلامية منذ السنوات الأولىٰ لقيامها؛ إذ استقلت الأندلس علىٰ يد عبد الرحمن الداخل الأموي (صقر قريش)، كما استقل المغرب الأقصىٰ علىٰ يد الأدارسة العلويين، أما المغرب الأوسط فقد استقل به بنو رستم الإباضية، في حين قامت دولة الأغالبة في المغرب الأدنىٰ.

الشعوبية:

الشعوبية تيار فكري فارسي مناهض للعرب قامت به مجموعات قومية متعددة وطوائف دينية قديمة التكوين والأفكار تسودها الروح الانفصالية، وقد تطورت وظهرت في الحركات السرية التي تتظاهر بالإسلام وتعمل علىٰ هدم السلطان الإسلامي، وهي الدائرة الأوسع التي تمثل الزندقة إحدىٰ حلقاتها، وكلاهما يظهر الإيمان ويخفي الإلحاد ويحرف الأحاديث ويختلقونها.

فالعمل الشعوبي الثقافي والاجتماعي والسياسي ضد المسلمين، إنما كان يسعىٰ في نهاية المطاف إلىٰ سلب الدين الإسلامي عماده السياسي. ونلاحظ أن بعضاً من الفرس كانوا ينتهزون فرصة الشقاق بين بعض الخلفاء العباسيين لنشر دعوتهم، وبدا

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

ذلك واضحا أيام الخليفة المأمون العباسي الذي استعان بهم في القضاء علىٰ أخيه الأمين وأنصاره من العرب سنة (198 هـ/ 814 م) وكان ممن أشتهر منهم الفارسي طاهر بن حسين الذي عينه المأمون واليا علىٰ خراسان، الذي أسس الدولة الطاهرية (202-259 هـ/ 816 - 872 م) وهي أول دولة فارسية تستقل عن الخلافة العباسية.

ب) ضعف الموارد الاقتصادية:

تدهور الأوضاع الاقتصادية ونضوب خزانة الدولة، نتيجة الاضطراب السياسي وقيام الفتن كحركة الزنج في البصرة سنة (255 هـ/ 868 م) والتي استمرت خمسة عشر عاما وكلفت الدولة وتسببت في إخلاء الخزينة، وكذلك لإسراف الخلفاء فضلا عن استقلال الأطراف عن الخلافة العباسية. وفقدان الخزينة لموارد مالية كانت تأتيها من مختلف الأقاليم الإسلامية بسبب الأزمات الاقتصادية الناتجة عن الجفاف وقلة الأمطار.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

خلفاء العصر العباسي الثاني

#	الخليفة	ولايته	
		الهجري	الميلادي
1	المتوكل	233	847
2	المنتصر	247	861
3	المستعين	248	862
4	المعتز	252	866
5	المهتد	256	869
6	المعتمد	257	870
7	المعتضد	279	892
8	المكتفي	290	902
9	المقتدر	296	908
10	القاهر	320	932
11	الراضي	323	934
12	المتقي	329	940
13	المستكفي	333	944
14	المطيع	335	946

#	الخليفة	ولايته	
		الهجري	الميلادي
15	الطائع	364	974م
16	القادر	381	991
17	القائم	423	1031
18	المقتدي	468	1075
19	المستظهر	488	1095
20	المسترشد	512	1118
21	الراشد	530	1135
22	المقتفي	531	1136
23	المستنجد	556	1160
24	المستضئ	566	1170
25	الناصر	576	1180
26	الظاهر	622	1225
27	المستنصر	623	1226
28	المستعصم	-640 656	-1242 1258

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

رابعًا: جهاد العالم الإسلامي ضد الصليبيين والمغول

1. الحروب الصليبية:

هي حرب جامعة قام بها الغرب الأوروبي المسيحي ضد المنطقة العربية استجابة لنداء البابوية في روما وتحت إشرافها وبتوجيه منها للسيطرة علىٰ المنطقة العربية والقضاء علىٰ الدين الإسلامي.

وقد كانت هذه الحروب علىٰ شكل حملات استمرت لمدة قرنين من الزمن (429-690 هـ/ 1037-1291 م)وبلغ عددها حوالىٰ عشر حملات. وهي تمثل مظهرا من مظاهر التعصب الديني.

والمؤرخ ابن الأثير يرىٰ أنها حرب ثأرية أي انها ردة فعل للفتوحات الإسلامية وانتشار الإسلام (وذلك لأن تاريخ هذه الحروب إنما يرجع إلىٰ هزيمة هرقل في معركة اليرموك سنة (13 هـ/ 634 م) في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. حيث قام المسلمون من خلال الفتوحات التي انتصروا فيها علىٰ البيزنطيين بنشر الدين الإسلامي واستمروا في ذلك حتىٰ وصلوا جبال البرانس في أوروبا.

وظل المسيحيون في أوروبا ينتظرون الفرصة من اجل أن يشنوا حربا ضد المسلمين ولكنهم لم يستطيعوا القيام بها طيلة خمسة قرون وذلك بسبب قوة وهيبة المسلمين، مقابل حالة الفوضىٰ والتشتت التي كانت عليها الأوضاع في أوروبا.

وقد سنحت هذه الفرصة لأوروبا عندما بدأ الضعف يدب في الدولة الإسلامية نتيجة للصراع علىٰ السلطة فشنت أوروبا حربها علىٰ المسلمين تحت مسمىٰ الحروب الصليبية.

اكتسبت الحروب الصليبية هذا الاسم لأنها قامت باسم الدين المسيحي وكان رجال الكنيسة يقومون بتعليق اشارة الصليب علىٰ كتف المشارك في هذه الحملات أو يعلق في رقبته اشارة صليب أحمر مصنوع من القماش.

أسباب الحروب الصليبية:

أ) **العامل الديني:**

أوزعت البابوية أو الكنيسة أنها تريد تخليص الأماكن المقدسة في فلسطين من سيطرة المسلمين. ولذا اطلقت علىٰ هذه الحملات - الحروب المقدسة - واستخدمت

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

كل الوسائل لترغيب الأوروبيين علىٰ الانضمام والمشاركة في هذه الحروب، ومن هذه الوسائل قام البابا بإصدار قانونا وعد المشاركين في الحروب بمنحهم صكوك الغفران.

تطلع كنيسة روما إلىٰ فرض زعامتها الروحانية علىٰ العالم المسيحي الشرقي وذلك بالسيطرة علىٰ الكنيسة الشرقية بالقسطنطينية وتوحيد الكنيستين الرومانية والأرثوذكسية.

ادعت الكنيسة أنها تعمل علىٰ تأمين سلامة الحجاج المسيحيون بدعوىٰ كاذبة مفادها أن المسلمين يمنعونهم من الوصول إلىٰ الأماكن المقدسة ومن يصل منهم يلاقىٰ الاضطهاد والأذىٰ اثناء زيارته لبيت المقدس واتخذت من ذلك ذريعة لحرب المسلمين.

ب) العامل الاقتصادي:

كان غرب أوروبا يشكو من سوء الأحوال الاقتصادية، خاصة فرنسا في أواخر القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، حيث كانت تعاني مجاعة شاملة، وارتفاع في الأسعار، وزاد من سوء الأحوال، الحروب المحلية الكثيرة بين الأمراء الإقطاعيين، وزيادة عدد السكان، وازدياد عدد موجات القحط والجفاف وهذا ما جعل فرنسا تتبنىٰ فكرة المشاريع الصليبية.

ج) العامل السياسي والعسكري:

من الأمور التي شجعت علىٰ الزحف الصليبي نحو الشرق، الأوضاع الداخلية للسلاجقة واشتعال الحروب الأهلية في آسيا الصغرىٰ وسوريا منذ (485 هـ/ 1092 م)، والعداء بين الفاطميين والسلاجقة بالإضافة إلىٰ الانتصارات التي حققتها مملكة بيزا وجنوة والنورمانديين علىٰ القوىٰ الإسلامية في الجهات الغربية من البحر المتوسط.

وقد شارك في الحروب الصليبية كل من:

- الكنيسة البابوية باعتبارها صاحبة الدعوة لتلك الحروب،
- الفرق المسيحية المتطوعة مثل فرقة فرسان المعبد المعروفة بالجماعة الداوية،
- فرقة الإسبتارية التي اهتمت بالجرحىٰ في ميدان القتال،
- الملوك والأمراء الذين شاركوا خدمة لمصالحهم السياسية وبحثاً عن نصر خارجي يوطد حكمهم في أوروبا.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

- الإمارات البحرية الإيطالية من خلال المساعدة في تموين هذه الحملات والقيام بمهمة نقل المشاركين بعتادهم من أوروبا إلىٰ سواحل بلاد الشام وآسيا الصغرىٰ.
- الدول الأوروبية وعلىٰ رأسها فرنسا صاحبة الدعوة للحروب الصليبية علىٰ العالم الإسلامي.
- الدولة البيزنطية في أسية الصغرىٰ وذلك لقربها من المنطقة العربية، ولعدائها التاريخي للإسلام والمسلمين.

البابا أوربان الثاني هو أول من دعا إلى الحروب الصليبية وهو من وضع إشارة الصليب.

الغزو الصليبي للمشرق العربي وقيام الامارات الصليبية:

انتهت الاستعدادات الصليبية تحت اشراف الكنيسة وتقرر انطلاق الجيوش الصليبية علىٰ أن تكون مدينة القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية مكانا للتجمع والتزود بالمؤن قبل العبور إلىٰ أسيا الصغرىٰ وبلاد الشام.

وقد وقع الزحف الصليبي علىٰ اسيا الصغرىٰ وبلاد الشام.وليس فيهما قوة إسلامية تستطيع صد هذا الخطر القادم إليها من وراء حدودها. ذلك أن كلا من الدولة السلجوقية والدولة العباسية والدولة الفاطمية كانوا يعانون من تردي الأوضاع السياسية والعسكرية إضافة إلىٰ الصراع الداخلي علىٰ السلطة.

ولذلك استطاعت القوات الصليبية اجتياح بلاد الشام وبعض مناطق شمال أرض الجزيرة فيما يعرف بالحملة الصليبية الأولىٰ، والتي نتج عنها تكوين الامارات الصليبية الآتية:

1. إمارة الرها أسسها بلدوين (492 - 544 هـ/ 1098- 1149 م)
2. إمارة انطاكية أسسها بوهيمند الأول (492 - 667 هـ/ 1098 - 1268 م).
3. مملكة بيت المقدس أقامها جودفري (493-691 هـ/ 1099 - 1291 م)
4. إمارة طرابلس الشام أسسها ريموند (493 - 688 هـ/ 1109 - 1289 م).

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

خريطة وفيها الإمارات الصليبية التي ظهرت في بلاد الشام بعد الحملة الصليبية الأولى والثانية ودولة السلاجقة والدولة الفاطمية في مصر.

تصدى الدولة الإسلامية للغزو الصليبي:

مر جهاد الأمة العربية والإسلامية ضد العدوان الصليبي بثلاث مراحل خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر وهي:

أولا: جهاد الدولة الزنكية ضد الصليبيين:

بدأت حركة المقاومة بعد ظهور اتابك قوي من أمراء دولة الاتابكة هو عماد الدين زنكي أمير الموصل (511 – 541 هـ/ 1117 – 1146 م).

الأتابك هو مربي الأمير وكان يتم اختياره من كبار أمراء الدولة السلجوقية

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

استطاع عماد الدين زنكي أن يبسط نفوذه حتىٰ مدينة حلب وأسس بذلك الدولة الزنكية، وقام بحصار مدينة الرها وهي الإمارة الصليبية الأولىٰ.وبعد حصار دام اربعة أسابيع استولىٰ عليها سنة (539 هـ/ 1144 م). وسمي هذا الفوز بـ (نصر الأنصار).

وقد خلفه ابنه نور الدين محمود لإتمام دور الكفاح ضد الصليبين، فاصطدم نور الدين بالصليبين الذين جاؤوا بالحملة الصليبية الثانية في محاولة لاسترداد امارة الرها. ولكنها اتجهت إلىٰ حصار دمشق، فقام نور الدين بإرسال مدد لنجدة دمشق مما اضطر الصليبيون إلىٰ رفع الحصار والعودة إلىٰ أوروبا. ثم عمد نور الدين إلىٰ المسير إلىٰ دمشق لتوحيد الجهود بالشام مع الاستعداد لضم مصر لجعل العدو الصليبي بين جناحي المسلمين بمصر والشام وفي ذات الوقت أصبح واضحا لدىٰ الصليبين أن استيلاء نور الدين علىٰ دمشق أتاح له حصار بيت المقدس من الشمال وأنه سوف يتحول إلىٰ مصر لتطويق المملكة الصليبية من الناحية الجنوبية ولذا بدأت انظار الصليبين تتجه نحو مصر.

وكانت أحوال الدولة الفاطمية بمصر عاملا مساعدا لنور الدين علىٰ الفوز نظرا للصراع الداخلي بين الوزراء علىٰ السلطة، وانتهىٰ التسابق بين جيوش نور الدين وجيوش مملكة بيت المقدس الصليبية إلىٰ انتصار المسلمين والسيطرة علىٰ مصر،وبذلك غدت مصر محورا يوشك أن يكون قاعدة لقيادة مرحلة كفاح الأمة العربية الإسلامية ضد الصليبين.

والمؤكد هنا أن العبرة ليست بالعدد بل بالهدف والنتائج، فقد حدث العدوان فعلا، و استهدف كيان الأمة العربية والإسلام، وأن العرب والمسلمين قاوموه في صبر وجلد، وقدموا التضحيات المادية والبشرية، وكان لهم النصر.

وقد مر جهاد الأمة العربية و الإسلامية ضد العدوان الصليبي بثلاث مراحل خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر تزعمتها دول هي علىٰ التوالي الزنكية والأيوبية والمملوكية.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

ثانيا: جهاد الدولة الإيوبية ضد الصليبيين:

توفي نور الدين محمود تاركًا لصلاح الدين الأيوبي حاكم مصر مهمة توحيد القوى الإسلامية التي بدأها عماد الدين زنكي، واستطاع صلاح الدين أن ينهض بهذه السياسة فعمل على:

أ) أعلن استقلاله بمصر عام 542 هـ/ 1174 م) غداة وفاة نور الدين واعترفت له الخلافة العباسية بذلك ثم اتخذ منها قاعدة لتنظيم جهود المقاومة.

ب) تمكن من القضاء على الفتن الداخلية التي اعقبت وفاة نور الدين ودخل دمشق وحلب ثم الموصل عام (543 هـ/ 1175 م)، وبذلك أصبح سيد الموقف في مصر والشام.

ج) ضرب النقود باسمه في مصر وحماة، بعد أن كانت باسم نور الدين زنكي.

وبذلك تمكن من توحيد القوى الإسلامية المحيطة بالصليبيين وحصرهم بين شقي الرحى تمهيدا للمنازلة الكبرى.

موقعة حطين 583 هـ / 1187 م

أعد صلاح الدين الأيوبي قواته للمواجهة مع الصليبيين وكان يتحين الوقت المناسب لذلك إلّا أن تصرفات (ارناط) الصليبي حاكم حصن الكرك عجلت بتلك المواجهة إذ أنه قام بالإغارة على قافلة عربية كانت في الطريق بين دمشق ومصر، ناقضاً الهدنة المعقودة بين صلاح الدين ومملكة بيت المقدس، وقد سبق لأرناط أن أثار غضب صلاح الدين عندما هاجم موكب الحج إلى مكة، فلم يكن لصلاح الدين أن يسكت عن التهديد المستمر للطريق الرئيسي الذي يصل الشام بمصر، ويمر عبر شرق الأردن بالإضافة إلى تهديد أرناط المستمر للأماكن المقدسة في مكة والمدينة.

أعد أرناط عام (578 هـ/ 1182 م) سفناً، حمل أخشابها وقلاعها إلى خليج العقبة حيث جهز منها أسطولاً، ونقل جنود الصليبيين إلى البحر الأحمر ومنها إلى شواطئ الحجاز.

وكان صلاح الدين غائبًا في ذلك الوقت بالعراق فأسرع نائبه العادل ولحق بالصليبيين عند مرفأ الحوار شمالي ينبع واستطاع القضاء على المحاولة الصليبية.

أعد صلاح الدين حملته على مملكة بيت المقدس وعسكر بقواته قرب مدينة بصرى في شهر (مايو) (583 هـ/ 1187 م)، وقام بغزو المنطقة القريبة من حصن الكرك،

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

متحديـاً أرنـاط الـذي خـاف الخـروج لمواجهـة القـوات الإسـلامية. فتقـدم صـلاح الديـن واسـتولىٰ علـىٰ طبريـة، ثـم زحـف حتـىٰ بلـغ مـكان يسـمىٰ حطيـن. وقـد رأىٰ الصليبيـون وقتـذاك بإمـرة أرنـاط أن يخرجـوا لملاقـاة القـوات الإسـلامية بالقـرب مـن مدينـة الناصـرة. وقـد تجمـع مـن أجـل المعركـة الفاصلـة أكـبر جيـش أرسـله الصليبيـون إلـىٰ الميـدان، فقـد كان لديهـم حوالـي (18000) رجـل، منهـم (1200) مـن الفرسـان ذوي الـدروع، وحوالـي (4000) فـارس مـن حملـة السـلاح الخفيـف، بينمـا كانـت قـوات صـلاح الديـن حوالـي (12000) رجـل فقـط.

وفي صبـاح 2 مـن شـهر (يوليـو) (583 هـ/ 1187 م) بـدأ زحـف الصليبيـين نحـو طبريـة عـبر هضـاب الجليـل، إلا أن قـوات المسـلمين كانـت لهـم بالمرصـاد في حطيـن، حيـث أنزلـوا بهـم هزيمـة سـاحقة فقـدوا خلالهـا معظـم قواتهـم، بينمـا وقعـت بقيـة القـوات في الأسـر ومنهـم أرنـاط نفسـه، الـذي ضـرب صـلاح الديـن عنقـه بيـده بـاراً بقسـمه نتيجـة غـدره.

نتائج موقعة حطين:

تهـاوت القـلاع والحصـون والمـدن التـي أقامهـا الصليبيـون الواحـدة تلـو الأخـرىٰ فاتحـة بذلـك الطريـق أمـام المسـلمين لطـرد الصليبيـين.

د) دخـول المسـلمين إلـىٰ مدينـة القـدس يـوم 2 مـن شـهر (أكتوبـر) (583 هـ/ 1187 م) وتحريرهـا وإنهـاء مملكـة بيـت المقـدس الصليبيـة بالكامـل.

ه) أثـار هـذا الانتصـار العظيـم أوروبـا حيـث سـارعت بإرسـال الحملـة الصليبيـة الثالثـة فحشـدت لهـا الإمكانيـات وتسـلم قيادتهـا ملـوك كلاً مـن ألمانيـا وإنجلترا وفرنسـا.

صلح الرملة:

بعـد معركـة حطيـن، قـرر ملـك انجلـترا ريتشـارد قلـب الأسـد الدخـول في مفاوضـات مـع العـادل أخـو صـلاح الديـن الأيوبـي وولديـه الملـك الأفضـل وأخيـه الملـك الظاهـر، سـنة(588 هـ / 1192 م). وتـم تقديـم مقترحـات لعقـد اتفاقيـة عرفـت بصلـح الرملـة وافـق عليهـا صـلاح الديـن الأيوبـي.

وتضمنت عدة نقاط أساسية على أن يلتزم بها الطرفان:

1. تكون الهدنة عامة في البر والبحر، ومدتها ثلاث سنوات وثلاثة أشهر.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

2. أن يتخلىٰ الفرنجة الصليبيون لصلاح الدين عن عسقلان وغزة والداروم (دير البلح)، وأن يبقىٰ الساحل بيدهم من صور إلىٰ يافا بما فيها قيسارية وحيفا وأرسوف.
3. للنصارىٰ الحرية التامة في زيارة الأماكن المقدسة في القدس دون أن يؤدوا ضرائب للمسلمين، وتكون السيادة علىٰ أماكن العبادة حسب الاتفاقية من صلاحية المسلمين.
4. تكون مدينة الرملة واللد مناصفة بين المسلمين والصليبيين.

كان لقبول صلاح الدين توقيع صلح مع الصليبيين بعد انتصاراته في معركة حطين أسباب ودوافع، منها:

1) لم يكف الباباوات عن توجيه الدعوة مجددا لملوك أوروبا وجموع الناس القيام بحملة صليبية جديدة تسترد فيها بيت المقدس وتثأر للصليبيين.
2) العزلة وحالة الانكماش التي أصبحت عليها الممالك الصليبية في بلاد الشام. دفعت بجموع الصليبيين للقيام بحملة صليبية، وقد تجاوب ملوك أوروبا لدعوة البابا وهم (ريتشارد قلب الأسد- ملك انجلترا) و (فيليب الثاني أغسطس- ملك فرنسا) و (فردريك بربروسا- امبراطور المانيا)، وكان هذا الأخير قد اختار ان يسلك طريق البر حيث تعرض لمصاعب جمة انتهت بغرقه في أحد أنهار أسيا الصغرىٰ وتشتّت حملته.
3) أدرك صلاح الدين بحسه العسكري والسياسي، إن الدخول في مفاوضات مع الصليبيين لكسب الوقت وترتيب أوضاعه الداخلية هو من المصلحة العامة.

وذلك بعد سلسلة من المعارك التي خاضها ضد ريتشارد ملك انجلترا خلال السنوات (587 – 588 هـ/ 1191 – 1192 م) كان من أهمها معركة وأرسوف سنة(587 هـ/ 1191 م) التي أوشك فيها صلاح الدين أن يقضي علىٰ الصليبيين لولا اعادة ريتشارد تنظيم صفوفه.

توفي صلاح الدين الأيوبي في دمشق سنة (589 هـ/ 1192 م)، بعد سنة واحدة من عقد صلح الرملة تاركًا أخاه العادل لإدارة شؤون الدولة، والذي حاول الإبقاء علىٰ السيادة الإسلامية علىٰ المناطق المجاورة، والدخول في علاقات مع الصليبيين حتىٰ لا تتعرض مصر للهجمات الصليبية، ولكن الصليبيين أدركوا أن مصر هي قاعدة للمد

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

البشري العسكري للقوات الإسلامية بالشام، ولذلك تغيرت الاستراتيجية الصليبية إلىٰ مهاجمة مصر نفسها لقطع المد والعون علىٰ المسلمين ببلاد الشام، ولإحداث فجوة بين جناحي الدولة الإسلامية، ومن هذا المنطلق أعدت أوروبا حملة صليبية أخرىٰ.

خريطة تصفية الوجود الصليبي في بلاد الشام بعد صلح الرملة

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الحملة الصليبية الخامسة:

توجهت هذه الحملة إلىٰ مصر عام (613 هـ/ 1216 م) حيث استطاعت عام (614 هـ/ 1217 م) أن تحاصر مدينة دمياط علىٰ الفرع الشرقي لدلتا النيل.

حاول السلطان العادل الإسراع في العودة إلىٰ مصر من الشام إلا أنه توفي في الطريق قرب دمشق، تولىٰ من بعده ابنه الكامل مسؤولية الدفاع عن مصر، وحاول مقايضة الصليبيين بالجلاء عن مصر مقابل إعادة تسليم مملكة بيت المقدس لهم، إلا أنهم رفضوا هذا العرض الانهزامي لشعورهم بسهولة الاستيلاء علىٰ مصر، وإعادة بيت المقدس كذلك، إلا أن استماتة المسلمين في مصر في الدفاع عن أرضهم ودينهم، ومساعدة الطبيعة لهم بفيضان وادي النيل، أدىٰ كل ذلك إلىٰ هزيمة الصليبيين بعد عزل قواتهم عن مركز قيادتهم بدمياط واضطروا إلىٰ الجلاء عن مصر دون قيد أو شرط عام (618 هـ/ 1221 م)، بعد أن تكبدوا خسائر جسيمة في الأرواح والمعدات.

ولقد حاولت أوروبا إرسال حملة أخرىٰ عرفت بالحملة الصليبية السادسة التي قادها فريدريك الثاني إمبراطور ألمانيا، وكانت قليلة العدد والعدة وقد اتخذت طابعاً تفاوضياً في محاولة لإعادة بعض الممالك الصليبية بالشام بعد ما لمسوا ميلا لدىٰ السلطان الكامل للتفاوض.

أما الحملة الصليبية السابعة فقد جاءت أثناء حكم السلطان الصالح أيوب بن الملك الكامل، وذلك رداً علىٰ قيام جماعات من المسلمين بالاستيلاء علىٰ بيت المقدس رافضة المفاوضات التي أقر بموجبها السلطان الكامل تسليم بيت المقدس إلىٰ فردريك ملك ألمانيا.

وكانت الحملة الجديدة بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا المعروف بالقديس لويس، وكان معظم أفرادها من الفرنسيين، وكانت وجهتها مصر، حيث نزلت قريبة من دمياط فتم الاستيلاء عليها عام (647 هـ/ 1249 م) دون مقاومة. ثم توجهت الحملة للاستيلاء علىٰ مدينة المنصورة وكان السلطان الصالح غائباً بالشام، وعند سماعه بخبر الحملة أسرع عائداً إلىٰ مصر، لكنه توفي قبل أن يدركها، الأمر الذي دفع زوجته شجر الدر إلىٰ كتمان خبر وفاته حفاظاً علىٰ الروح المعنوية للجيش من ناحية، ولغياب الوريث الشرعي للحكم (توران شاه) ابن الملك الصالح من ناحية أخرىٰ، تمكن الجيش من انزال الهزيمة بجموع الصليبيين عند مدينة المنصورة، ثم تعقبهم وأنزل بهم هزيمة أخرىٰ

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

قرب مدينة فارسكور، وهم يحاولون العودة إلىٰ قاعدتهم الحربية في دمياط. وقد وقع خلال هذه المعارك الملك لويس التاسع أسيراً ولم يطلق سراحه إلا في عام (648 هـ/ 1250 م).

وتعتبر هزيمة الصليبيين بمصر في هذه الحملة بداية العد العكسي لهم لإخلاء الأراضي الإسلامية وإخراجهم من المنطقة علىٰ أيدي دولة المماليك كما سنرىٰ فيما بعد.

- الدروس المستفادة من معركة صلاح الدين ضد الصليبين
- كيف يتحقق الانتصار على الأعداء؟
- عندما تكون الدولة مستقرة متحدة متأهبة للدفاع عن وحدتها ووجودها.
- قدم أمثلة تبين أثر الأوضاع الداخلية المستقرة في احراز الانتصارات على الأعداء.
- وأمثلة تكشف انعكاسات الأوضاع الداخلية الغير المستقرة على حالة الجبهة الخارجية مع العدو.

ثالثا: مرحلة جهاد المماليك ضد الصليبيين:

بدأ المماليك جهادهم ضد الصليبيين زمن الظاهر بيبرس (659 - 676 هـ/ 1260 – 1277 م) الذي قام بجهود مكملة لأعمال صلاح الدين الأيوبي. وقد قام بيبرس بالتالي:

- تحول أولا لحرب إمارة أنطاكية الصليبية بعد أن أفادت الأخبار بأنها تحالفت مع المغول ضد المسلمين.
- مهد لتحرير أنطاكيا بزرع الفرقة بين الصليبيين.
- الاتجاه إلىٰ تحرير الحصون والمدن المهمة لكي يتخذها قاعدة له:
  - استولىٰ علىٰ حصن الكرك عام (662 هـ/ 1263 م).
  - استولىٰ علىٰ مدن قيصرية وأرسوف وصفد عام (664 هـ/ 1265 م).
  - حرر مدينة يافا عام (666 هـ/ 1267 م).
  - وأخيراً استطاع محاصرة إمارة أنطاكيا ثم الاستيلاء عليها وتحريرها عام (667 هـ/ 1268 م).

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

هـذا وقـد قـام السـلطان قـلاوون (678 هـ/ 1279 م) بمواصلـة حـرب التحريـر ضـد الصليبيين، فاستولىٰ علىٰ حصـن المرقـب، ثـم زحـف نحـو إمـارة طرابلـس الشـام عـام (688 هـ/ 1289 م) وتحريرهـا. وبهـذا فإنـه لـم يبـق للصليبيين بعدهـا بالشـام غيـر مدينـة عـكا حيـث بـدأت طلائـع السـلطان قـلاوون في حصارهـا تمهيـدا للاسـتيلاء عليهـا وتحريرهـا، إلا أنـه تـوفي قبـل أن يتـم ذلـك، واسـتطاع ابنـه الأشـرف خليـل بـن قـلاوون أن يقـوم بهـذه المهمـة ويحـرر مدينـة عـكا عـام (691 هـ/ 1294 م).

وقد أدى تحريرمدينة عكا إلى نتائج مهمة:

تم تحرير كافة المعاقل الصليبية بالشام بعد هذا النصر ومنها مدن صور وصيدا.

تحرير عـكا أسـدل السـتار علىٰ الحـرب الصليبيـة ضـد العـرب والمسـلمين بالمشـرق وعـادت كافـة الأراضـي إلـىٰ أصحابهـا الأصليـين بعـد حـروب طويلـة اسـتمرت قرنيـن مـن الزمـن.

فشـل الصليبيـين في تحقيـق أطماعهـم في المشـرق العربـي، فوجهـوا تلـك الأطمـاع شـطر المغـرب وخاصـة الأندلـس وشـمال أفريقيـا، وقـد تكللـت جهـود المقاومـة الإسـلامية بتحقيـق الانتصـارات وإفشـال المخطـط الصليبـي للنيـل مـن القـوىٰ الإسـلامية.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

2. الغزو المغولي:

المغـــــول:

نشأ المغول في هضبة منغوليا (وهي تمتد من أواسط أسيا جنوبي سيبيريا وشمال التبت وغربي منشوريا وشرق التركستان)، وكانت قبائل المغول تحيا حياة بدوية مستقلة بعضها عن بعض، لم تعرف الاستقرار وبناء المدن بل كانوا ينتقلون علىٰ ظهور الخيل وكأنهم في زحف حربي بحثا عن الرزق، وقد احترف المغول حرفتي الرعي في الغابات وصيد الأسماك من الأنهار حتىٰ زمن جنكيز خان.

جنكيز خان:

اسمه تموجين ثم لقب بلقب جنكيز خان ومعناه حاكم الحكام، وقد ولد في منغوليا عام (546 هـ/ 1155 م)، كان والده رئيسا لإحدىٰ القبائل المغولية قد استطاع أن يُخضع بعض القبائل المغولية التي كانت تجاوره، وبذلك رسم لابنه جنكيز خطة التشييد دولته علىٰ أساس محكم. وبعد أن ظهرت شجاعة جنكيز خان ومقدرته، اجتمع حشد كبير من القبائل علىٰ حدود نهر أوين، وأجمعوا علىٰ تتويجه إمبراطوراً عليهم، وذلك سنة (600 هـ/ 1203 م).

وقد وضع جنكيز خان دستوره الشهير المعروف بـ(الياسا) سنة (603 هـ/ 1206 م)، الذي يقضي بضرورة الخضوع التام لإرادته والانضواء تحت رايته، والعقوبة لكل من يخالف ذلك، كما قام في هذا الاجتماع بتعميم كلمة المغول بعد أن كان جزء منهم يعرف بالتتار والآخر بالمغول، وهكذا استطاع جنكيز خان بناء دولة محاربة، تطيع أوامره، وتحترم قراراته.

غارات المغول وأثرها على الدولة الإسلامية:

شن المغول غاراتهم علىٰ جميع الجبهات والاتجاهات وذلك لإثارة الرعب في قلوب كل من يحيط بهم، وهي سياسة "إعلامية" حربية اعتمدها المغول لتحقيق هدف عسكري مفاده أن المغول قوم لا يرحمون وما علىٰ الشعوب الأخرىٰ إلا أن تخلي أمامهم الطريق أو تتعرض للقتل الجماعي، وفي إطار هذه السياسة اندفعت جموع المغول في اتجاهات عدة هي:

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

أ) حملات المغول ضد الدول الإسلامية في أواسط أسيا وشرق إيران:

كانت الدولة الخوارزمية وبحكم موقعها الجغرافي هي الضحية الكبرىٰ للغزو المغولي المتجه غربـاً إذ أن الدولة الخوارزمية قامت علىٰ أنقاض دولة السلاجقة ولم يكن يربطها بالخلافة في بغداد سوىٰ ذكر اسم الخليفة في خطب الجمعة.

عندما اتضحت أطماع المغول عمل السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه (596 – 617 هـ/ 1199 – 1220 م) علىٰ إعلان التعبئة العامة علىٰ نهر سيحون إلا أن الأمور تتابعت بعد ذلك ما بين هجوم وانسحاب وكر وفر بين الفريقين إلىٰ أن وصل الجيش المغولي إلىٰ مدينة بخارىٰ بعد عبوره النهر مطاردا الجيش الخوارزمي وأعمل السيف في أهلها،

وقد كان لدخولهم بخاري أثر سيئ علىٰ التاريخ والحضارة الإسلامية إذ عمد المغول إلىٰ السلب والنهب والقتل وإحراق المساجد وكتب الحضارة الإسلامية وتراثها.

ومن بخارىٰ اتجه المغول إلىٰ سمرقند وبعد حصارها اجتاحت جموعهم المدينة وأعادوا ما فعلوه في بخاري من قتل ونهب، ثم استمرت جموعهم في الزحف علىٰ أراضي الدولة الخوارزمية فاستولوا علىٰ بلخ ومرو وطوس ونيسابور وهمذان وكلها من المدن الإسلامية ذات الشهرة العالية في العمارة والحضارة.

ب) حملات المغول على أسيا الصغرى والأناضول:

من مدينة همدان تفرع الجيش المغولي إلىٰ قسمين: قسم اتجه غربـاً باتجاه بغداد عاصمة الدولة الإسلامية ومركز الخلافة العباسية وهو أصل الجيش.

أما القسم الثاني فقد اتجه شمالاً متوغلا في سهول آسيا الصغرىٰ متتبعـاً بقايا جيوش دولة السلاجقة التي تعرضت للضغط المغولي من الشرق والدولة البيزنطية من الغرب مما أفقدها هيبتها وسيادتها.

الغزو المغولي للدولة العربية الإسلامية و التصدي له:

بعد الغارات العنيفة المدمرة التي شنها المغول في اتجاهات عدة، والتي طالت شعوبا وأمم مختلفة القومية والدين والحضارة والتاريخ، كان لزاما أن تؤثر هذه الغارات تأثير مباشرة علىٰ المنطقة العربية. فالساحة السياسية بالمنطقة العربية قد خلت من أي قوة يمكنها أن تخفف وطأة الزحف المغولي نحوها أو تقديم العون اللازم لجيوش الخلافة.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

1. الإعداد المغولي للزحف على بغداد:

خلال المؤتمر المغولي العام ومجلس الأمراء الذي عقد عام (649 هـ/ 1251 م) تقرر أن يتولىٰ هولاكو الأخ الأصغر لسلطان المغول النيابة عنه في إدارة بلاد فارس وما بعدها غرباً وأن يعمل علىٰ تحقيق الأهداف الآتية:

أ) القضاء علىٰ السلطة الروحية لطائفة الإسماعيلية في بلاد فارس ودك قلاعها حتىٰ لا تكون شوكة في ظهورهم عند مسيرهم إلىٰ بغداد.

ب) القضاء علىٰ الخلافة العباسية في بغداد وبسط السيطرة علىٰ المناطق التي ما تزال تدين لها بالولاء.

ج) اجتياح بلاد الشام وما حولها حتىٰ أطراف مصر وبسط السيادة المغولية عليها بغض النظر عن الطوائف أو العقائد الدينية الموجودة بها آنذاك. وتم تأكيد هذه الأهداف في نص الرسالة التي أرسلها إمبراطور المغول إلىٰ أخيه هولاكو (فلتقم بما لجنكيز خان من تقاليد وعادات وقوانين في كل الجهات الممتدة من نهر جيحون - أموداريا- حتىٰ أطراف مصر وكل من يعصي أوامرك فلتشتد في إذلاله).

ولقد حرص إمبراطور المغول علىٰ إعداد كل ما يكفل لحملته النصر سواء في إطار حشد الجيوش أو توفير العربات لنقل أدوات الحصار من الصين، إلىٰ الاهتمام بالطرق وإقامة الجسور وتوفير العلف الخيول العساكر.

هولاكو والإسماعيلية ببلاد فارس:

الإسماعيلية إحدىٰ فرق الشيعة التي كانت سائدة في ذلك العصر، وتنسب إلىٰ إسماعيل بن جعفر الصادق من سلالة الحسين بن علي بن أبي طالب، وقد كانت لهم عقائد مشبوهة، وقد أدخلوا في الإسلام أفكاراً غريبة أدت بالتالي إلىٰ انقسام المسلمين علىٰ أنفسهم. مارس أتباع هذه الطائفة سياسة العنف والتخلص من الخصوم بالاغتيال وإرغام أمراء الأقاليم ورجال السياسة والحكم علىٰ أن يرفعوا لهم لواء الطاعة ويدفعوا لهم الجزية وهم صاغرون. وقد فشلت الإسماعيلية في جمع المسلمين لمقاتلة المغول بسبب فقدان الثقة بينها وبين الرعية الذين أدركوا أن دعوة الإسماعيلية إنما هي من أجل البقاء وليس دفاعا عن الدين.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

اتصال الإسماعلية بالكنيسة المسيحية:

ولم ينته الأمر عند هذا الحد بل حاولت طائفة الإسماعيلية الاتصال بأوروبا والحصول منها علىٰ المساعدة ولكن تعليمات الكنيسة المسيحية أوعزت إلىٰ ملوك أوروبا بضرورة ترك المسلمين والمغول يتقاتلون وهذا نصر للمسيحية.

وعندما شعرت طائفة الإسماعيلية بعدم حصولها علىٰ أي مساعدة لجأت إلىٰ الاستسلام الكامل للمغول وتعاونت معهم في إخضاع كافة القلاع الحصينة ببلاد فارس خلال عام (654 هـ/ 1256 م)، ورغم هذا التخاذل من جانب الإسماعيلية لم يرض عنهم خان المغول وعاملهم معاملة قاسية، وأصدر تعليماته إلىٰ هولاكو بوجوب التخلص نهائياً من أنصار الإسماعيلية فتعرض بموجب ذلك الآلاف منهم للقتل ولم ينج منهم إلا من اعتصم بجبال بلاد فارس.

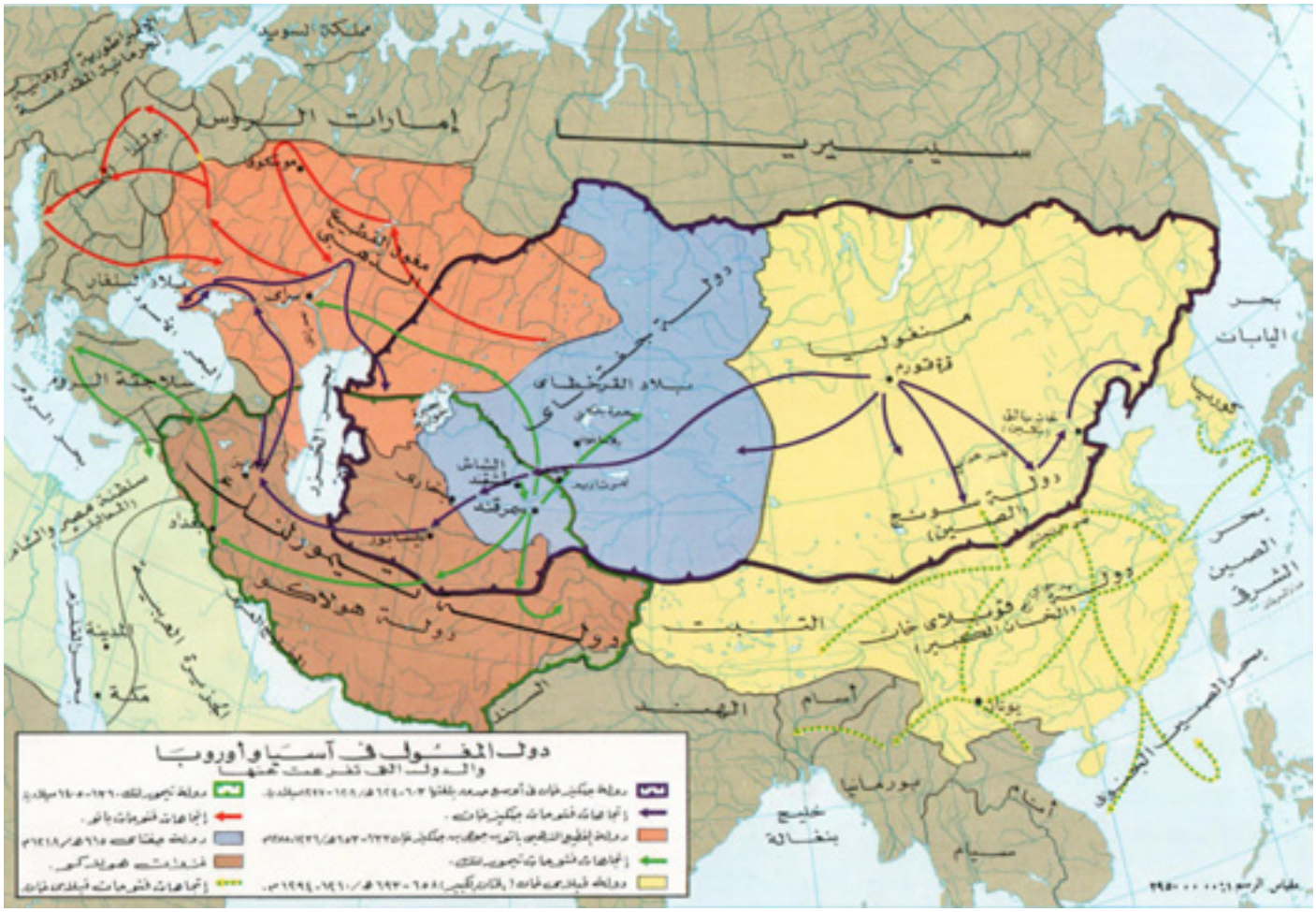

خريطة دول المغول في آسيا وأوروبا.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

2. محاولات التحالف المغولي/ الصليبي ضد الدولة الإسلامية:

كان لوجود جموع الصليبيين في بلاد الشام أثر كبير على الوضع السياسي للمسلمين الذين أصبحوا أمام خطرين داهمين في آن واحد. فالخطر الصليبي يسيطر على الإمارات الصليبية المعروفة ببلاد الشام وشمال العراق وبعض مناطق جنوب آسيا الصغرى، والخطر المغولي على أبواب العاصمة الإسلامية بغداد في الوقت الذي كانت دول المنطقة متفرقة مشتتة السياسة والاتجاهات.

إذ آلت جميع الجهود التي بذلت في هذا الصدد إلى الفشل، لأن الجانب الصليبي كان يسعى وبكل ثقل إلى نشر المسيحية في جموع المغول أصحاب القوة الجبارة بغرض تحقيق الأهداف التالية :

أ) إبعاد الخطر المغولي عن القارة الأوروبية.

ب) الإفادة من المغول في قتال المسلمين.

ج) بسط السيطرة المسيحية على الشرق عامة وامتلاك خيراته.

بينما كان الجانب المغولي يسعى من خلال نجاح التحالف إلى بسط نفوذه على مسيحي أوروبا والتسليم بتبعيتهم للإمبراطورية المغولية. وقد بدأت الاتصالات والمراسلات والسفارات بين الجانبين.

ومن أهم هذه المحاولات :

أ) أرسل البابا (أنوسنت الرابع) سفارة إلى خان المغول وصلت إليه عام (644 هـ/ 1246 م). ورغم المجاملة في حسن الاستقبال، إلا أنها كانت سفارة فاشلة إذ أصر خان المغول على أن تعترف الكنيسة وأوروبا عامة بسيادة المغول.

ب) في عام (646 هـ/ 1247 م) وجه الباب (أنوسنت الرابع) سفارة ثانية فشلت هي الأخرى بسبب التباين في الأهداف، مما أدى إلى تعطيل التحالف بين الطرفين.

ج) حاول ملك فرنسا لويس التاسع وهو في طريقه بحملته الصليبية المشهورة على مصر عام (646 هـ/ 1248 م) أن يتحالف مع المغول، حيث استقبل مندوبا عن خان المغول، ثم أوفد مندوبا عنه إلى بلاد المغول إلا أن المغول اعتبروا هذا التقرب إنما هو اعتراف من ملك فرنسا بالسيادة المغولية، وأن الهدايا المقدمة إليه ما هي إلا جزية يؤديها التابع لتابعه، وأن المغول يشكرون هذا التابع ويطلبون إليه أن يواظب على إرسال الهدايا كل سنة اعترافا بالسيادة المغولية

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

عليه.

د) حاول هيثوم الأول ملك أرمينيا الصغرىٰ ما بين عامي (645 – 648 هـ/ 1247 – 1250 م) أن يتحالف مع المغول، وقد نجح إلىٰ حد ما بسبب اعترافه رسمياً بالسيادة المغولية عليه وعلىٰ المنطقة عامة.

3. عوامل سقوط بغداد:

كانت الخلافة العباسية في بغداد تعاني من الضعف والتفكك بحيث لم تعد قادرة علىٰ حماية المدينة وأهلها وذلك نتيجة:

أ) ضعف سلطة الخليفة العباسي المستعصم (640 – 656 هـ/ 1242 – 1258 م) وانصرافه وأتباعه إلىٰ حياة واللهو. حيث أحاط نفسه بكل مظاهر الأبهة والعظمة وحرص علىٰ أن يقضي أكثر الوقت في سماع الأغاني ومشاهدة الملاهي.

ب) سوء حالة الجيش سواء من حيث التدريب والتجهيز أو من حيث طريقة تكوينه، فقد كان مرتزقة تهمهم مصالحهم الشخصية فقط.

ج) سوء الأحوال الاقتصادية وكساد الحياة الزراعية بسبب الخراج المرهق.

د) اندلاع الفتنة الطائفية بين الشيعة والسنة كالتي وقعت عام (655 هـ/ 1257 م)

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

زحف المغول على بغداد

زحف المغول علىٰ بغداد عاصمة العباسيين في عهد الخليفة العباسي المستعصم سنة (640 – 656 هـ/ 1242 – 1258 م) آخر الخلفاء العباسيين:

كان هولاكو يستعد للهجوم علىٰ بغداد بعد أن انتهىٰ من محاربة الإسماعيلية في معاقلهم، اتبع في بادي الأمر سياسة التهديد. وبعث برسالة من همذان وعيد للخليفة العباسي المستعصم في بغداد سنة (655 هـ/ 1257 م). جاء فيها:

«لابد أنه قد وصل إلىٰ سمعك علىٰ لسان الخاص والعام، ماحدث للعالم علىٰ أيدي الجيوش المغولية..فعليك أن تهدم الحصون وتطم الخنادق، وتسلم ابنك المملكة، ثم تتوجه لمقابلتنا.. فإذا أطعت أمرنا فلا حقد ولاضغينة... وأما إذا لم تنتصح.. فأعد جيشك وعين جبهة للقتال..فسوف لاتنجو مني، ولو صعدت إلىٰ السماء أو اختفيت في باطن الأرض».

رفض الخليفة العباسي ماجاء في الرسالة مما أغضب هولاكو، ووجه للخليفة رسالة انذار نهائي «... إني متوجه إلىٰ بغداد بجيش كالنمل والجراد لحصار بغداد».

وعلىٰ الفور أصدر هولاكو أمره بتحرك الجيوش المغولية من عدة أقاليم والتوجه صوب بغداد، ضرب هولاكو حصار حول المدينة من الجهتين الشرقية والغربية، فيما تولىٰ كيتوبوغا محاصرة الجناح الأيسر من بغداد.

أقام هولاكو علىٰ مجرىٰ نهر دجلة بأعلىٰ المدينة وبأسفلها جسرين قائمين علىٰ السفن لتضييق الحصار علىٰ المدينة منعا للفرار المحاصرين عن طريق النهر.

عسكر هولاكو بقواته في الجبهة الشرقية، وذلك بعد أن استلمت الكاظمية والكرخ.

شدد المغول في حصار بغداد منذ يناير (656 هـ/ 1258 م) واستخدموا المنجنيق في قصفها وتمكنوا من اقتحام أحد الأسوار من جهة برج الفرس في(5/ فبراير / 1258 م)، وفي صبيحة اليوم التالي الموافق (6/ فبراير / 1258 م) سيطرت القوات المغولية علىٰ السور الممتد من باب الحلبة إلىٰ ما وراء البرج الفارسي، فأصبحت المدينة تحت أيديهم.

وبعد أربعة أيام من دخول هولاكو وجيشه.قدم المستعصم إلىٰ معسكر هولاكو، وطلب منه أن يصدر أمر للسكان بالخروج من المدينة، وما إن خرجوا حتىٰ قامت القوات المغولية بقتلهم وإبادة كل من كان في بغداد من غير المغول، فكانت مذبحة جماعية

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

لـم يسـلم منهـا سـوىٰ المسـيحيين إذ احتمـوا بكنائسـهم بنـا علـىٰ تأثيـر مـن زوجـة هولاكـو المسيحية (قـوز خـان) بحسـب الاتفـاق المـبرم مـع مانكـو وهولاكـو.

هولاكو والمستعصم بالله:

دخـل هولاكـو بغـداد حاضـرة الخلافـة العباسـية في يـوم 15/ فبرايـر/ 1258 م، أمـر بإحضـار الخليفـة في دار الخلافـة وقـال لـه:

«نحـن الضيـوف وأنـت المضيـف، فمـاذا يليـق بنـا مـن ضيافتـك. وإذ صـدق الخليفـة هـذا القـول، وبلـغ بـه الاضطـراب والخـوف، إنـه لـم يسـتطع أن يتعـرف علـىٰ مفاتيـح خزائنـه، أمـر بكسـر الأقفـال وقـدم مـن الهدايـا مـا مقـداره ألفـان مـن الثيـاب، وعشـرة آلاف دينـار، ومقاديـر كبيـرة مـن الأحجـار الكريمـة والحلـي مختلفـة الأنـواع، علـىٰ أن هولاكـو تلقـىٰ هـذه الهدايـا بالامتعـاض والازدراء، وأمـر بتوزيعهـا علـىٰ أتباعـه، ثـم طلـب إلـىٰ الخليفـة أن يدلـه علـىٰ ماخفـي مـن الثـروة، فاشـأر الخليفـة إلـىٰ نافـورة بداخـل القصـر، وقـد امتـلأت بسـبائك الذهـب، كل منهـا تـزن مائـة مثقـال...».

لقـي الخليفـة المسـتعصم بـالله حتفـه مـع بقيـة آل بيتـه في (20/ فبرايـر/ 1258 م) وقـام هولاكـو وجيشـه بقتـل سـكان بغـداد والتنكيـل بهـم، فقـدرت بمـا يزيـد عـن المائـة ألفـا واسـتمرت عمليـات النهـب والقتـل والتدميـر مـدة أربعيـن يومـا.

اضطـر هولاكـو إلـىٰ تـرك المدينـة بسـبب روائـح جثـث القتلـىٰ، وخوفـه مـن انتشـار الأمـراض بيـن جنـده، وتـرك نائبـا عنـه في بغـداد مؤيـد الديـن بـن العلقمي وزيـر الخليفة العباسـي المسـتعصم بـالله وكان مـن غـلاة الشـيعة ممـن مكنـوا هولاكـو مـن دخـول بغـداد واسـتباحتها.

نتائج سقوط بغداد في أيدي المغول:

1. زوال الدولة العباسية التي حكمت العالم الإسلامي لأكثر من خمسة قرون.
2. فقدت بغداد مكانتها الحضارية وقد قتل فيها آلاف العلماء والشعراء، وأحرقت المكتبات، وأغرقت الكتب نهر دجلة.
3. خربت المساجد والمعاهد، وقضي علىٰ الآثار العربية الإسلامية.
4. ساعدت سقوط بغداد علىٰ توجه المغول لاحتلال الشام وتهديد وادي النيل.
5. قيام تحالف صليبي مغولي ضد المسلمين.
6. أثار سقوط بغداد الحزن العميق في عموم الديار الإسلامية.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

7. سقوط الإمارات الإسلامية تباعا كإمارة الموصل وميافارقين بعد سقوط بغداد.

التصدي العربي الإسلامي للعدوان المغولي:

بعد اقتحام بغداد والاستيلاء عليها توجه الجيش المغولي نحو الشمال إلىٰ مدينة الموصل فدخلها وعامل أهلها بقوة مفرطة، ثم زحف المغول غربًا فاستولوا علىٰ نصيبين وخضعت لهم حران والرها ثم اجتاحت القوات المغولية منبج ووصلت إلىٰ حلب تساعدهم قوات أرمينية وقوات صليبية قدمت من إمارة أنطاكيا الصليبية.

أثار سقوط حلب، الفزع في نفوس المسلمين ببلاد الشام، فعمل بعض الأمراء علىٰ الاتصال بهولاكو تفادية لغضبه وبطشه، وليعلنوا الولاء والدخول في طاعته ومنهم الأشرف موسىٰ صاحب حمص. أما دمشق فقد غادرها أميرها بمن معه إلىٰ مصر، وسلمها أهلها إلىٰ المغول، صمدت قلعة دمشق فقد أعلنت المقاومة والعصيان مما أدىٰ إلىٰ تدميرها.

واصل المغول الزحف نحو باقي مدن الشام، فوصلوا نابلس ومنها بدأت طلائعهم الإغارة علىٰ أطراف غزة.

وفي أوائل شهر (يناير) (667 هـ/ 1259 م) وجه هولاكو سفارة إلىٰ مصر يطلب إلىٰ السلطان قطز التسليم. وجاء في الكتاب (فلكم بجميع البلاد معتبر وعن عزمنا مزدجر، فاتعظوا بغيركم وأسلموا إلينا أمركم قبل أن يكشف الغطاء فتندموا، ويعود عليكم الخطأ فنحن لا ترحم من بكىٰ ولا نرق لمن شكىٰ، وقد سمعتم أننا قد فتحنا البلاد وطهرنا الأرض من الفساد قتلنا معظم العباد فعليكم بالهرب وعلينا الطلب).

اجتمع السلطان قطز مع الأمراء للنظر في هذا التهديد والوعيد حيث أظهر قطز إيمانا وعزمًا علىٰ المقاومة والجهاد، وقرر قتل الرسل الموفدين من القائد المغولي (كتبغا) معلنة الحرب.

طلب قطز من الظاهر بيبرس أحد قواده أن يتقدم إلىٰ الشمال مع جنده للوقوف علىٰ الأخبار واستطلاع الطريق، فسار إلىٰ غزة ودخلها بعد انسحاب طلائع المغول منها منهزمة. وكان لهذا الحدث أثر كبير في نفوس المسلمين بالشام عامة حيث أعلنت الثورة في العديد من المناطق ضد المغول والصليبيين تأييدا لهذه الحملة.

أما قطز فقد سار بالجيش في شهر أغسطس (658 هـ/ 1260 م) متخذاً من الساحل

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الفلسطيني طريقـًا لـه، وبعـد أن أخـذ قسطـًا مـن الراحـة وصـل في 2 مـن شـهر (سـبتمبر) (658 هـ/ 1260 م) إلـىٰ عيـن جالـوت، والتقـىٰ مـع بيـبرس وجنـده. ورأىٰ أن يسـتعمل الخدعـة في لقائـه مـع المغـول فأخفـىٰ الجانـب الأكـبر مـن جيشـه بالتـلال المحيطـة، ولـم يُظهـر إلا مقدمـة الجيـش بقيـادة بيـبرس، وعندمـا رأىٰ المغـول قلـة مـن مـع بيـبرس قامـوا بالهجـوم عليـه، فأخـذ قائـده في مناوشـة المغـول فتـارة يتقـدم وتـارة يلتـف حولهـم إلـىٰ أن تمكـن مـن تطويـق الجيـش المغولـي، وعندهـا ظهـر عليهـم الجيـش الإسـلامي بقيـادة السـلطان قطـز، وسـرعان مـا أوقـع بهـم هزيمـة لـم يعـرف التاريـخ لهـا مثيـلا. وقـد سـميت هـذه الموقعـة بموقعـة عيـن جالـوت عـام (658 هـ/ 1260 م) وهـي موقعـة ذاق فيهـا الجيـش المغولـي مـرارة الهزيمـة.

خريطة موقعة عين جالوت

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

أهمية معركة عين جالوت:

كانت هذه المعركة عاملا مهما في تشجيع المماليك علىٰ طرد المغول من الشام وإخراجهم من بلاد الرافدين.

أيضاً احتفظت مصر بالحضارة والمدنيّة فلم تتعرض لمثل ما تعرضت له بغداد من خراب ودمار فأصبحت القاهرة المركز الجديد للإسلام وملجأ العلماء والأدباء من كل مكان.

أصبحت الدولة المملوكية أقوىٰ دولة في المشرق الإسلامي، ولمدة تزيد علىٰ القرنين من الزمان وذلك إلىٰ أن ظهرت الدولة العثمانية مع مطلع القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

أسئلة تطبيقية

س1/ اكتب مذكرات تاريخية وافية عن:

أ) بناء مدينة بغداد.

ب) الخليفة المهدي وأعماله.

ج) السياسة العباسية نحو شمال أفريقيا والأندلس.

د) السمات المميزة للدولة العباسية.

س2/ تحدث عن دور الدولة العباسية في عصرها الأول في رعاية الحضارة الإسلامية.

س3/ تتبع العلاقة بين العباسيين والبيزنطيين خلال العصر العباسي الأول..

س4/ عدد عوامل ضعف الدولة العباسية في عصرها الثاني. ثم تحدث عن إحداها بالتفصيل.

س5/ تحدث عن دور السلطان ألب أرسلان في هزيمة البيزنطيين في معركة مانزكرت سنة (464 هـ/ 1071 م).

س6/ عرف الحروب الصليبية ثم اذكر أسبابها باختصار.

س7/ اذكر نتائج سقوط بغداد.

س8/ وضح الدور الذي قام به الأيوبيون في جهادهم ضد الصليبين.

س9/ قامت دولة المماليك بدور مشرف في جهاد كل من الصليبيين والمغول. وضح ذلك باختصار.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الفصل الخامس

المغرب والأندلس خلال العهد العباسي

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الفصل الخامس: المغرب والأندلس خلال العهد العباسي

أ) بلاد المغرب:

1. التطورات السياسية العامة:

يقصد ببلاد المغرب المنطقة الجغرافية الواقعة بين طرابلس الغرب شرقًا والمحيط الأطلسي غربًا.

وَمن المعروف أن هذه المنطقة قد تم فتحها أيام الدولة الأموية بعد فترة من توقف تلك الفتوحات بسبب أحداث الفتنة الكبرىٰ التي عصفت بمنطقة المشرق العربي وشبه الجزيرة العربية منذ آواخر عهد الخليفة عثمان بن عفان وحتىٰ بداية عهد معاوية بن أبي سفيان والتي استؤنفت الفتوحات في عهد هذا الأخير، ودخل المسلمون إلىٰ إفريقية حيث أسس عقبة بن نافع مدينة القيروان عام (55 هـ/ 674 م) التي أعطت المسلمين مركزاً حصينًا اتخذوه قاعدة لأعمالهم الحربية.

ولقد حرص عقبة بن نافع علىٰ ضم أهل تلك البلاد المفتوحة إلىٰ الإسلام وإدماجهم في المجتمع الجديد. وإن سار الأمر ببطء شديد. وواصل الولاة الذين جاءوا بعد عقبة ما بدأه من جهد في سبيل تحويل سكان البلاد المفتوحة إلىٰ الإسلام كما عملوا علىٰ تجنيدهم في الجيش الإسلامي بحيث أصبحوا نواة القوات التي أتمت فتح بقية بلاد المغرب والأندلس بعد ذلك وظهر منهم القادة الذين أبلوا بلاء حسنا في عملية الفتح مثل طارق بن زياد وغيره.

ولقد ارتبط قيام الدولة العباسية في المشرق الإسلامي بوجود حالة عدم الاستقرار السياسي بمنطقة المغرب أدت إلىٰ ظهور حركات الاستقلال والانفصال عنها تمثلت في إمارات صغيرة كل منها تحكم في منطقة جغرافية محدودة مع استمرار الصراع بينها من أجل السيادة والتوسع. ولقد استمرت حالة عدم الاستقرار هذه طيلة أيام الدولة العباسية ولم تعد بلاد المغرب خاضعة لها إلا اسميًا في بعض الأوقات ومنفصلة عتها كاملا في أوقات أخرىٰ.

حاول الخليفة أبو جعفر المنصور وضع حد للاضطرابات في بلاد المغرب لكن

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

قواته لم تتمكن من إخماد تلك. وقد استمرت هذه الحالة حتىٰ عهد الخليفة هارون الرشيد الذي عمل علىٰ إقرار بعض الشخصيات المحلية أحيانا، والرضا بسياسة الأمر الواقع أحيانا أخرىٰ لتكون علىٰ رأس الولايات مع التبعية الإسمية للدولة العباسية وإرسال الضرائب إلىٰ بغداد، والدعوة علىٰ منابر المساجد للخليفة العباسي وهذه كلها إشارات تدل علىٰ الولاء للعباسيين.

2. قيام الإمارات المستقلة بالمغرب:

شهدت منطقة المغرب قيام إمارات سياسية مستقلة مختلفة الاتجاهات والمذاهب طيلة الفترة الممتدة بين قيام الدولة العباسية في المشرق العربي عام (132 هـ/ 750 م) وحتىٰ مطلع العصور الحديثة مع بداية القرن السادس عشر الميلادي (882 هـ/ 1501 م) حيث اصطدمت هذه المنطقة بالاستعمار الأوروبي الإسباني والبرتغالي أولا ثم دخول العثمانيين المسلمين في هذا الصراع الذي علىٰ أثره تشكلت الخريطة السياسية التاريخ هذه المنطقة في العصور الحديثة.

أهم الكيانات السياسية التي قامت في بلاد المغرب

وشغلت السيطرة علىٰ مناطق محددة بها:

أ) الإمارة الرستمية (160 - 296 هـ/777 - 909 م)

قامت إمارة بني رستم أو الرستمية في بلاد المغرب الأوسط (الجزائر حاليًا) في إطار قيام الكيانات القزمية المستقلة عن الخلافة العباسية في بغداد. وقد أقيمت علىٰ مبادئ المذهب الإباضي وهم فئة انتشرت أفكارها ببلاد المغرب كوسيلة للتحرر من النفوذ العباسي.

ومؤسس هذه الإمارة هو عبد الرحمن بن رستم بن بهرام الفارسي كان جده بهرام مولىٰ لعثمان بن عفان. وإن كانت بعض المصادر تحاول إرجاع نسبه إلىٰ ملوك الفرس زيادة في تعظيمه.

ويقال: إن سبب قدومه إلىٰ بلاد المغرب أصلا إنما يرجع إلىٰ الصدفة حيث أن أباه رستم قد قدم من العراق إلىٰ مكة لأداء فريضة الحج لكنه مرض بها ومات ودُفِنَ هناك. وبقيت زوجته وابنه عبد الرحمن بمكة إلىٰ أن تزوجت من رجل مغربي من أهل القيروان فحملها وابنها عبد الرحمن إلىٰ بلاده حيث عاش بالقيروان في كنف زوج أمه،

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

وتلقي العلم والفقه علىٰ يد علمائها وفقهائها، وقد مال أثناء ذلك نحو الفقه الإباضي تحت تأثير شيخه سلمة ابن سعيد.

وقد رحل في مطلع شبابه إلىٰ البصرة بالعراق لتلقي المزيد من العلوم والإطلاع علىٰ تفاصيل المذهب الإباضي، فَدرس علىٰ يد الفقيه أبي عبيده مسلم التميمي إلىٰ أن أصبح أحد فقهاء هذا المذهب ثم عاد مرة أخرىٰ إلىٰ بلاد المغرب حيث إقامته وأمه.

ونتيجة لحدوث الاضطرابات والفتن بطرابلس والقيروان واشتراك عبد الرحمن بن رستم فيها وتعرض المشتركين إلىٰ الملاحقة والبطش من جانب القوات العباسية وحلفائها بالمنطقة. وقد توفي أبو الخطاب المعافري وبويع لعبد الرحمن ابن رستم ليستوي أمر الجماعة الإباضية (144 هـ/ 777 م). ورحل عبد الرحمن بن رستم نحو المغرب الأوسط (الجزائر) ولجأ إلىٰ منطقة تاهرت. وأثناء، وجوده بتاهرت بدأ نشر أفكاره بين القبائل عن طريق دعاية منظمة أدت إلىٰ استجابة العديد من القبائل لها.

وقد تمت مبايعة عبد الرحمن بن رستم للمرة الثانية أميرًا علىٰ الرستميين عام (160 – 162 هـ/ 776 – 777 م) ولُقِّب بالإمام.

ولعل أهم الأسباب التي دفعت ابن رستم إلىٰ اتخاذ ذلك المكان مركزًا له وبناء مدينة تاهرت به هي:

1. الموقع الاستراتيجي لمدينة تاهرت تقع في منطقة جبلية كانت تشكل حاجز لحمايتها من الأخطار الخارجية.
2. وجود العصبية القبلية بها والمؤيدة لعبد الرحمن بن رستم.
3. تتميز بوفرة المياه بها ووجود مناطق زراعية ورعوية ساهمت في استقرار الناس حولها.

بناء مدينة تاهرت

لكل الأسباب السالفة تم بناء مدينة تاهرت. وقد حرص ابن رستم علىٰ إقامة المسجد الجامع بعد أن وفر له مستلزمات البناء من الأخشاب والحجارة ثم اختط دُورًا وبيوتًا ومعسكرًا لجنده حتىٰ ازدهرت تاهرت وصارت لها مكانتها السياسية والاقتصادية. وازدادت شهرتها عما كانت عليه أيام الرومان والبيزنطيين.

وتذكر كتب التاريخ أن عهد عبد الرحمن بن رستم كان كله عدلًا وإنصافًا،

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

فابن نرستم كان حاكمًا متقشفًا يعمل بيده ويكتفي بالقليل، ولقد ذاع صيته وعدله ببلاد المشرق.

استطاع ابن رستم أن يبني إمارة قوية لها كيانها الاقتصادي والسياسي وقوة لحمايتها من كافة القوىٰ المعادية.

أرسىٰ مبادئ العدالة في توزيع الأموال والأرزاق وقد حققت إمامة تاهرت الرستمية علىٰ عهد عبد الرحمن ما كان يصبو إليه الكثيرون في المغرب الأوسط من المساواة في الحقوق والواجبات، خاصة فيما يتعلق بالأموال.

ولقد اشتهرت الإمارة الرستمية حوالي مائة وإحدىٰ وثلاثين سنة تقريبا شغل خلالها أربعة من الزعماء مركز الإمام بنجاح، وكان لهم فضل في تطور الإمارة ونجاح سياستها الاقتصادية والاجتماعية، وهم علىٰ التوالي عبد الرحمن بن رستم مؤسس الدولة (144 – 167 هـ/ 777 – 784 م)، عبد الوهاب ابن عبد الرحمن بن رستم (167 – 198 هـ/ 784 – 814 م)، وأفلح بن عبد الوهاب (198 – 235 هـ/ 814 – 861 م)، أبو بكر بن أفلح (235 – 247 هـ/ 861 – 873 م) بعدها انقسمت الإمارة علىٰ نفسها الأمر الذي أضاع استقلالها فسقطت عام (296 هـ/ 908 م) علىٰ يد العبيدين الشيعة تاركةً أثرًا مشهودًا في نشر الإسلام وإقامة العدل والمساواة في مدينته تاهرت وعمل عَلىٰ تنشيط الحركة التجارية.

ب) إمارة الأدارسة (172 - 307 هـ 788 - 920 م)

وهي إمارة عربية، أسسها إدريس بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الذي نجح في الفرار مع أخيه يحي أثناء معركة فخ التي جرت أحداثها زمن الخليفة العباسي موسي الهادي عام (168 هـ/ 785 م) بالمشرق العربي فاتجه يحي بن عبد الله إلىٰ جبل الديلم وإدريس بن عبد الله إلىٰ بلاد المغرب.

وصل إدريس هذا مع مولاه راشد إلىٰ بلاد المغرب الأقصىٰ ودخل منطقة وليلي التي تسكنها قبيلة أوربة واستجار بها، فأجارته وقدمت له العون والمساعدة والتأييد في الانتصار لنفسه وآل بيته العلويين وأعلن عن قيام إمارة مستقلة عن الحكم العباسي.

زاد من أهمية إمارته المبايعة والتأييد الذي حصل عليهما من القبائل المجاورة لأوربة مثل قبائل زناتة وزواغة ومكناسة وغيرها، وقد كرس إدريس جهده في أول أيامه لنشر الإسلام وتأكيد اللغة العربية بين القبائل حتىٰ يجعل منها قوة مساندة لإمارته.

ولقد استاء الخليفة هارون الرشيد كثيرا عندما وصلته أخبار وصول إدريس

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

العلوىٰ إلىٰ بلاد المغرب الأقصىٰ وخروجه عن السلطة العباسية وهو الذي كان يعتقد أن سيطرته المطلقة تمتد إلىٰ هذه المنطقة، فسارع بإرسال جيش كبير لقمع تلك الحركة وإعادة المنطقة إلىٰ حظيرة الدولة العباسية، إلّا أن بعد المسافة وصعوبة الطريق وعدم استقرار الأمور لدولة الأدارسة جعلته يأخذ برأي وزيره يحي البرمكي الذي أشار عليه بإرسال من يقتل إدريس.

أوكل الرشيد مهمة اغتيال إدريس إلىٰ الشماخ التميمي الذي نزل علىٰ إدريس مدّعياً طبّاً وأنه من شيعته. وتمكن من دس السم له، ممّا أدىٰ إلىٰ موته مسموماً سنة (176 هـ/ 793 م)؛ لكن الأمور سارت علىٰ عكس ما كان يظنه الرشيد إذ تكتلت القبائل حول بيت إدريس، وتولىٰ أمر الإمارة مولاه راشد وانتظرت حتىٰ وضعت زوجة إدريس مولودا ذكرا سموه إدريس الثاني.

وعندما شب بايعته كل القبائل أميراً عليهم. ويعتبر إدريس الثاني المؤسس الحقيقي لإمارة الأدارسة نظراً للإجراءات التي اتخذها، ومنها تأسيس مدينة فاس المشهورة سنة (192 هـ/ 807 م) وجعلها حاضرة لإمارته، محاربة الإمارة المدرارية (الصفرية) (140 - 296 هـ/ 773 908- م) في مدينة سجلماسة جنوب المغرب وتوسع علىٰ حسابهم بعد هزيمتهم.

قامت إمارة الأدارسة بدور مهم في نشر الإسلام في ربوع المغرب وكان لانتسابهم إلىٰ الرسول الكريم أثر كبير في توحيد القبائل المتعادية وتأييد السكان المحليين لهم بعد أن كادت فتن الخوارج تمزق شملهم. استطاعت إمارة الأدارسة توحيد كامل المنطقة الممتدة الواقعة بين إقليم السهول الساحلية المغربية وإقليم المراعي الداخلية. كما استطاع الأدارسة بفضل هذه الوحدة أن يوجهوا الأنظار إلىٰ حركة الجهاد ونشر الإسلام في البلاد المجاورة ومحاربة العقائد الشاذة بين قبائل المغرب، وتوسع حركة العمران وتأسيس المدن وقيام حركة علمية نشطة وإنشاء جامعة القرويين التي تعد من أقدم الجامعات في العالم القديم سنة (245 هـ/ 859 م).

وقد تجاوز نفوذ الأدارسة منطقة المغرب الأقصىٰ إلىٰ الصحراء الكبرىٰ التي تفصل بين بلاد المغرب وإقليم السودان، وقد سقطت هذه الدولة علىٰ أيدي الفاطميين سنة (307 هـ/ 902 م) نتيجة تصدع الأسرة الإدريسية وتناحر أفرادها علىٰ الحكم.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

جـ) إمارة الأغالبة (184 - 296 هـ/ 800 - 909 م):

قامت في إفريقية (تونس الحالية) وهي ثالث كيان سياسي استقل عن الدولة العباسية بعد الإمارة الرستمية في (المغرب الأوسط) وإمارة الأدارسة في (المغرب الأقصىٰ). امتازت عليهما بأنها كانت ممثلة للسلطة العباسية في بلاد المغرب كلها، إلا أن سيادتها الفعلية كانت محكومة بالحالة السياسية الفعلية في المنطقة، وخاصة وأن الإمارتين المذكورتين أعلاه، كانتا علىٰ خلاف مذهبي وسياسي مع الدولة العباسية.

تأسست هذه الإمارة علىٰ يد إبراهيم بن الأغلب (184 هـ/ 800 م) الذي كان واليا علىٰ الزاب من قبل هارون الرشيد في أيام ولاية محمد العكي علىٰ إفريقية ولاه الرشيد علىٰ أن يقدم بعد ذلك 40000 دينار يرسلها للخلافة العباسية سنويًّا. وتنازل له عما يصل لإفريقية سنويًّا من مال من الخلافة.

وبالرغم من ولاءإبراهيم بن الأغلب للخلافة العباسية والدعاء لها علىٰ المنابر في عموم إفريقية والخطبة بإسمها، فإن توقف الخلافة عن ارسال الجند وتقليد الولاة علىٰ إفريقية. مكّن الأغالبة من توارث السلطة وتكوين إمارة مستقلة استقلالا تامًّا.

لقد استمر حكم إبراهيم بن الأغلب حوالي اثنتي عشر سنة (184 – 196 هـ/ 800 – 812 م) حاول خلالها أن يثبت أركان إمارته، لكن بدا الأمر مستحيلا بسبب حالة العداء والانقسام الذي عصف بلاد المغرب والصراعات السياسية بين كياناتها. وكان إبراهيم قد أسس مدينة العباسية القريبة من القيروان واتخذها عاصمة لإمارته ومركزاً للقضاء علىٰ حركات المعارضة لحكمه.

وكان حكمه قد تعرض للعديد من الاضطرابات أهمها:

1. ثورة والي مدينة تونس، خريش الكندي عام (186 هـ/ 802 م) التي تم إخمادها علىٰ يد عمران بن مجالد وزير ابن الأغلب.
2. ثورة الجند بإقليم طرابلس الغرب عام (189 هـ/ 805 م)، تم قمع هذه الثورة بطريقة سلمية حاول خلالها ابن الأغلب الاستجابة لمطالب الثوار.
3. ثورة الوزير عمران بن مجالد عام (194 هـ/ 810 م) وكانت هذه أخطر الثورات التي تعرضت لها دولة الأغالبة في مطلع قيامها، وكادت أن تقضي عليها لأن الذي قادها كان أحد قادة الدولة ووزيرها وله من المؤيدين ما ساعده علىٰ

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

النجاح. وقد استمرت حركته حتىٰ بعد وفاة إبراهيم بن الأغلب، وعندما تولىٰ عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب أعطىٰ زعيم هذه الثورة الأمان ثم تخلص منه عندما علم بتآمره.

4. مجابهة الإمارة الرستمية في المغرب الأوسط التي تدعو للقضاء علىٰ الأغالبة.

وقد عاشت دولة الأغالبة حوالي مائة وتسع سنوات (184 – 296 هـ/ 800 – 909 م) حكم خلالها أحد عشر أميراً أولهم إبراهيم بن الأغلب مؤسس الإمارة وآخرهم زيادة الله الثالث.

لعل من الأحداث الجديرة بالذكر في تاريخ إمارة الأغالبة:

1 - فتح جزيرة صقلية عام (212 هـ/ 827 م) في عهد الأمير زيادة الله الأول ابن إبراهيم الأغلب. وقد قاد جيش الفتح أسد بن الفرات قاضي مدينة القيروان في أسطول مؤلف من مائة مركب.

وقد جاء هذا الفتح بعد محاولات عربية عديدة لفتح هذه الجزيرة نظرة لما لموقعها من أهمية في مواجهة شواطئ إفريقية. وقد نجح المسلمون في دخولها والإستيلاء علىٰ مدينة باليرمو عاصمتها. ودام حكم العرب لهذه الجزيرة حتىٰ بعد سقوط دولة الأغالبة حيث تواجد المسلمون بها إلىٰ عام (483 هـ/ 1090 م) عندما أخرجهم النورمانديون منها.

2 - مساهمة الأغالبة في نشر وتأكيد اللغة العربية في لإفريقية فأصبحت لغة الناس والدواوين. وأدخلوا إلىٰ إفريقية جميع نظم وفنون الحضارة الإسلامية التي كانت سائدة في المشرق العربي. كما يعود إليهم الفضل في نشاط الحركة العلمية والثقافية بإفريقية. فانتشرت في عهد الأغالبة الربط (الرباطات) علىٰ ساحل إفريقية وهي مراكز ومحارس، كانت الغاية من بنائها مراقبة البحر، وأن تكون مراكز دفاع عن إفريقية إن طرقها العدو بحراً. وكان قصر المرابطين بسوسة والمنستير يشكلان قاعدتان لحركة الفتح الإسلامي في صقلية.

ولم يقتصر دور الرُبط علىٰ المراقبة وحماية الساحل، فهي كانت ملتقىٰ للعلماء وطلاب العلم من إفريقية وغيرها من المدن الإسلامية.

ولقد سقطت إمارة الأغالبة عام (296 هـ/ 909 م) علىٰ يد الفاطميين الذين أقاموا دولتهم ببلاد المغرب العربي علىٰ المذهب الشيعي.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

خريطة عصر الدولة المغربية الأولى

د) الدولة الفاطمية (296 - 567 هـ/ 909 - 1171 م):

تعددت الروايات في نسب الفاطميين فمن قائل: إنهم يسمون بالفاطميين نسبة إلىٰ فاطمة بنت الرسول ﷺ وزوجة علي بن أبي طالب وأم أولاده الحسن والحسين أحفاد الرسول الكريم وذلك بسبب تشيع الفاطميين لآل البيت وإقامة الدولة علىٰ أساس المذهب الشيعي. ومن قائل: أنهم كانوا يسمون بالإسماعيلية نسبة إلىٰ إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق أحد أئمة الشيعة الاثني عشرية.

والدولة الفاطمية دولة شيعية قامت وتطورت على مرحلتين:

1. مرحلة القيام والقضاء علىٰ الخصوم والاستقرار وقد تمت بإفريقية (تونس الحالية) وسيطرت علىٰ مناطق عدة ببلاد المغرب وتمتد هذه الفترة من قيامها عام (296 هـ/ 909 م) إلىٰ حين انتقالها رسمية إلىٰ مصر عام (362 هـ/ 973 م).

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

2. مرحلة الاستقرار والتوسع والسيادة من انتقال الخلافة إلىٰ مصر عام (362 هـ/ 973 م) وحتىٰ سقوط الدولة عام (567 هـ/ 1171 م).

وبذلك تكون الدولة الفاطمية قد عاشت حوالي 271 م سنة منها 66 سنة بالمغرب الأدنىٰ و 205 سنة بمصر حكم خلال هذه المدة حوالىٰ أربعة عشر خليفة أولهم المهدي وآخرهم العاضد.

قيام الدولة:

قامت الدولة الفاطمية من خلال موقف مشابه لقيام الدولة العباسية، وذلك بأن اتخذت طريق الدعوة أولًا وصولا إلىٰ قيام الدولة. فقد تم اختيار منطقة الشمال الإفريقي لتكون ميدانا للدعوة الشيعية الفاطمية بعيدة عن مناطق النفوذ العباسي في بغداد وما حولها. وتم اختيار أبي عبد الله الشيعي ليقوم بأعباء نشر هذه الدعوة الفاطمية ببلاد المغرب وقد مهد لذلك بنشر أفكار الفاطميين ودعوتهم وسط الحجاج القادمين من بلاد المغرب. وفي أحد مواسم الحج تمكن أبو عبد الله الشيعي من إقناع بعض زعماء إحدىٰ القبائل الكبرىٰ وهي قبيلة كتامة وشرح لهم المبادئ التي تقوم عليها الدعوة الفاطمية استنادا إلىٰ المذهب الشيعي وقد انطبقت أفكار الداعي والمدعو، لأسباب يرجو كل طرف منها تحقيق أهدافه من خلالها. فأبو عبد الله الشيعي يهدف إلىٰ الاستفادة من قوة هذه القبيلة في نشر مبادئ الشيعة الفاطمية وبالتالي إقامة الدولة الفاطمية، وزعيم قبيلة كتامة يسعىٰ إلىٰ الخروج من الوضع الهامشي لقبيلته مستهدف الوصول إلىٰ الشهرة والزعامة والرئاسة.

دور قبيلة كتامة في نشر الدعوة العبيدية في بلاد المغرب:

وعقب انتهاء موسم الحج قبل أبوعبد الله الشيعي دعوة زعيم كتامة لمرافقته إلىٰ بلاد المغرب و التعهد بنصره وتبني دعوته. وبفضل تأييد كتامة له نجحت الدعوة في استقطاب جموع كثيرة. وما إن أطمئن أبو عبد الله الشيعي إلىٰ هذه الأعداد حتىٰ وسع نفوذه في معظم بلاد المغرب إلىٰ أن دخل مدينة رقادة عاصمة الأغالبة حيث قضىٰ علىٰ هذه الإمارة واتخذ عاصمتها مقرًا له، ثم جهز جيشًا كثيفًا توجه به نحو سجلماسة التي سلمت له دون مقاومة بعد فرار حاكمها، وتحرير عبيد الله المهدي الذي اعتقل من قبل حاكمها وبايعه إمامًا الفاطميين وأميرًا لدولة فتية جديدة عرفت في التاريخ بالدولة الفاطمية وذلك عام (296 هـ/ 909 م). وبذلك يكون المهدي أول خليفة فاطمي بشمال إفريقيا.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

وقد كان من الطبيعي أن يتوجه المهدي إلىٰ مدينة القيروان بعد أن مهد له أميرها الداعي الشيعي. وهناك وزّع المناصب والزعامات علىٰ من قدم لدعوته المعونة والمساعدة وخاصة رجال قبيلة كتامة. كما قام بتنظيم شئون دولته المالية والإدارية وبدأ العمل علىٰ إحداث الاستقرار وتنشيط الحركة الاقتصادية وتوسيع رقعة دولته.

ويمكن القول: إن بناء مدينة المهدية كان أحد اهتمامات الخليفة الأول حيث تم ذلك عام (304 هـ/ 916 م) وأصبحت المهدية حاضرة الدولة الفاطميةببلاد المغرب ومركزً وقاعدة لها.

وقد أدرك الإمام الفاطمي الأول المهدي أن ميدان الصراع السياسي هو بلاد المشرق حيث الخلافة العباسية العدو الأول للفاطميين ولذلك كان لزاما عليه أن يتجه بأنظاره نحو المشرق وأن يكون له بذلك موطن قدم يستطيع من خلاله قيادة الصراع المتوقع مع العباسيين أصحاب السيادة والنفوذ بالمنطقة. وكانت مصر إحدىٰ المناطق الرئيسية التي نالت اهتمام المهدي وقد عمل علىٰ السيطرة عليها بشتىٰ الطرق كي يتخذها قاعدة له.

فإلىٰ جانب العمل السلمي السري المتمثل في إرسال العيون والأعوان تمهيدًا لوصوله إلىٰ مصر فقد قام بمحاولتين للوصول إليها عسكريًا وذلك بأن جرد حملة عام (301 هـ/ 913 م) بقيادة ابنه وولىٰ عهده القائم (أبو القاسم)، لكنها فشلت بالرغم من وصولها إلىٰ الإسكندرية والاستيلاء عليها. كما جرد حملة أخرىٰ عام (307 هـ/ 919 م) قادها ابنه أبو القاسم أيضًا فشلت. وكان سبب فشل الحملتين إصرار العباسيين علىٰ الاحتفاظ بمصر، وقد توفي أبو عبد الله المهدي عام (323 هـ/ 934 م) دون أن يحقق هذا الهدف وبالتالي ترك أمر تحقيقه لأحفاده من بعده.

خلفه علىٰ قيادة الدولة ابنه أبو القاسم الملقب بالقائم (323 – 334 هـ/ 934 – 945 م) وحفيده أبو الظاهر إسماعيل الذي تلقب بالمنصور (334 – 341 هـ/ 945 – 952 م) وفي عهدهما تركز الإهتمام علىٰ القضاء علىٰ المعارضين والخارجين عن الحكم الفاطمي ببلاد المغرب كما كان اهتمامهما مركزًا أيضًا علىٰ الاتصال بالقبائل ذات النفوذ لضمان الولاء والمساندة للفاطميين مثل انضمام قبيلة صنهاجة إليهم علىٰ سبيل المثال.

وفي عهد المنصور تم بناء مدينة المنصورية عام (374 هـ/ 984 م) وهي قريبة من مدينة القيروان وقد نقل إليها مركز الدولة وغدت عاصمة الفاطميين بعد المهدية. كما

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

يرجع الفضل للمنصور في تكوين الأسطول البحري الفاطمي الذي لعب دورًا مميزًا في الأحداث البحرية بالمتوسط.

ولعل أشهر من تولىٰ قيادة الدولة الفاطمية الخليفة المعز لدين الله (341 – 365 هـ/ 952 – 975 م) الذي حكم زهاء (23 سنة) وقد امتاز عهده بالاستقرار والهدوء. ويعتبره المؤرخون المؤسس الحقيقي للدولة الفاطمية، وذلك بسبب انتقال الخلافة الفاطمية إلىٰ مصر، وبدأت بذلك عهدًا جديدًا ذاع خلاله صيت الفاطميين علىٰ المستوىٰ السياسي والحضاري أيضًا.

وقد أجمعت المصادر علىٰ أن المعز لدين الله كان مثقفًا مجيدًا للعديد من اللغات المعاصرة آنذاك، محبًا للعلوم والآداب مشجعًا للعلماء والفقهاء والشعراء وكل رواد الفكر والمعرفة والثقافة. كما عرف بحسن التدبير وتصريف الأمور. هذه الصفات مكنته من إخضاع كل بلاد المغرب من طرابلس شرقًا حتىٰ المغرب الأقصىٰ غربًا.

وبعد أن أطمئن علىٰ وضع الفاطميين بالمغرب بدأ بالتفكير الفعلي في ضم مصر والوصول عن طريقها إلىٰ الشرق. ولعل أهم الأسباب التي ساعدته في ذلك:

1. ازدياد قوة المعز لدين الله الفاطمي صاحب بلاد المغرب وصقلية، وأضحت شهرته تفوق شهرة نظرائه في مصر والشام ومن الخليفة العباسي نفسه في بغداد.
2. أدرك الفاطميون أن بلاد المغرب لا تصلح أن تكون مركزا أبدًا لخلافتهم، خاصة وأنهم يهدفون إلىٰ أن يكونوا حكام العالم الإسلامي الوحيدين. فإفريقية بعيدة عن الولايات الإسلامية التي يتطلعون للسيطرةعليها. الحجاز، الشام والمشرق عامة وباعتبار مصر ملتقىٰ ثلاث قارات هي آسيا وإفريقيا وأوروبا، فالسيطرة عليها تعني فتح المجال لفتح الشام والحجاز.
3. حدوث الاضطرابات في مصر علىٰ أثر ضعف الدولة الإخشيدية ووفاة كافور الإخشيدي، فانتهز المعز فرصة ذلك.
4. ضعف الدولة العباسية وانشغالها عن مصر بمشاكلها الداخلية وكذلك إنشغالها في حروب البيزنطيين.
5. تأييد الشيعة في مصر الفاطميين ودعوتهم لهم بدخولها.
6. مصر ذات موارد اقتصادية هامة مقارنة ببلاد المغرب، كما أنها تسيطر علىٰ

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

طرق التجارة العالمية آنذاك بين أوروبا والهند.

7. لم تكن إفريقية موالية للفاطميين، فالمالكية ناصبتهم العداء، إضافة إلىٰ حركات زناتة المناوئة والتي أقضت مضجعهم.
8. تهديد الأمويين لسواحل المغرب الأقصىٰ باحتلالهم سبتة وتعزيز مكانهم علىٰ الساحل.

دخول جوهر الصقلي مصر تمهيدًا لانتقال الخلافة الفاطمية في عهد المعز لدين الله إليها:

وعندما توافرت الأسباب أرسل المعز لدين الله قائده جوهر الصقلي علىٰ رأس جيش استولىٰ علىٰ إقليم برقة شرق ليبيا ثم دخل الاسكندرية سلمًا عام (348 هـ/ 959 م)، وعندما وصل خبر ذلك الفتح أرسل أهالي مدينة الفسطاط عاصمة مصر، في ذلك الوقت، من يفاوض جوهر الصقلي علىٰ الصلح فتم ذلك ودخل أهالي الفسطاط في ولاء الفاطميين مقابل الأمان لحرية المعتقد وفق المذاهب الإسلامية المتعددة وقيام الفاطميين بالإصلاح الاقتصادي والعمراني والثقافي وغيره ونشر العدل والاطمئنان في النفوس ومقاومة أي غاز أو معتد.

ومن مصر انطلق الفاطميون ليبسطوا نفوذهم علىٰ بلاد الشام والحجاز وأصبح بذلك لدولة الفاطميين احتكاك مباشر بالدولة العباسية.

وقد ركز جوهر الصقلي اهتمامه علىٰ بناء حاضرة جديدة بمصر تصلح بأن تكون عاصمة للدولة الفاطمية بوضعها الجديد ومركزة للعلم والثقافة والمعرفة والحضارة، فأمر أن تُخَطّ مدينة جديدة علىٰ نهر النيل قرب تفرعه نحو رشيد ودمياط وأقام بها مسجدًا جامعًا سمي بعد ذلك بالجامع الأزهر. وأنشأ بها دورًا وقصورًا ومساكن للجند وحدائق وجسورًا وغيرها وأطلق عليها اسم مدينة القاهرة التي نالت شهرتها بعد ذلك كما هو معروف.

وعندما أتم جوهر بناء هذه المدينة ودانت له نيابة عن المعز لدين الله الفاطمي بلاد الشام والحجاز، واستقر المقام للفاطميين بمصر، ونجحت الدعوة الفاطمية الشيعية بها فبعث القائد جوهر الصقلي إلىٰ الخليفة المعز لدين الله الفاطمي يدعوه إلىٰ الحضور إلىٰ مصر والدخول إلىٰ حاضرته الجديدة القاهرة فوصلها عام (363 هـ/ 973 م) ونقل إليها مقر خلافته. وبوصول المعز إلىٰ القاهرة أصبحت مصر دار خلافة بعد أن كانت دار

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

إمارة تابعة للعباسيين.

أما بلاد المغرب فقد استخلف عليه المعز لدين الله بلكين بن زيري الصنهاجي. وأبقىٰ علىٰ إفريقيّة تحت السيادة الفاطمية. ولكن حكام بني زيري بعد بلكين قاموا بالانفصال عن الخلافة الفاطمية وأسسوا إمارة لهم عرفت باسم إمارة بني زيري عام (364 هـ/ 974 م). وبذلك تقلص النفوذ الفاطمي في بلاد المغرب.

بعد استقرار المعز لدين الله بالقاهرة لسنتين توفّي سنة (365 هـ/ 975 م) تاركًا الأمر لابنه عبد العزيز المعروف بالعزيز بالله (365 - 386 هـ/ 975 - 996 م).

لقد استفاد العزيز من الجهود التي بذلها والده المعز لدين الله وقائده جوهر الصقلي، فتسلم الدولة وهي تنعم بالاستقرار والرخاء وكرّس جهده لتطوير الجوانب الثقافية والعمرانية.

ففي عهده تحول الجامع الأزهر من مجرد مسجد للصلاة والعبادة إلىٰ جامعة شاملة تدرس بها كافة العلوم والآداب يقصدها طلاب العلم من جميع أنحاء العالم.فنبغ في مصر الشعراء والأدباء والأطباء وعلماء الطبيعة والفلك والفلسفة والمنطق والتاريخ وغيرهم. واستطاعت هذه الجامعة الجديدة أن تستمر بجهود طلابها النابغين الذين عملوا علىٰ الاستقرار للتدريس بها. واعتبرت هذه الجامعة من أوائل الجامعات في العالم العربي إلىٰ جانب جامعة القرويين في فاس التي أنشأت في (285 هـ/ 859 م) وكانتا شاهدتين علىٰ عظمة الحضارة العربية والإسلامية في وقت كانت فيه أوروبا واقعة فريسة للعصور الوسطىٰ المظلمة.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

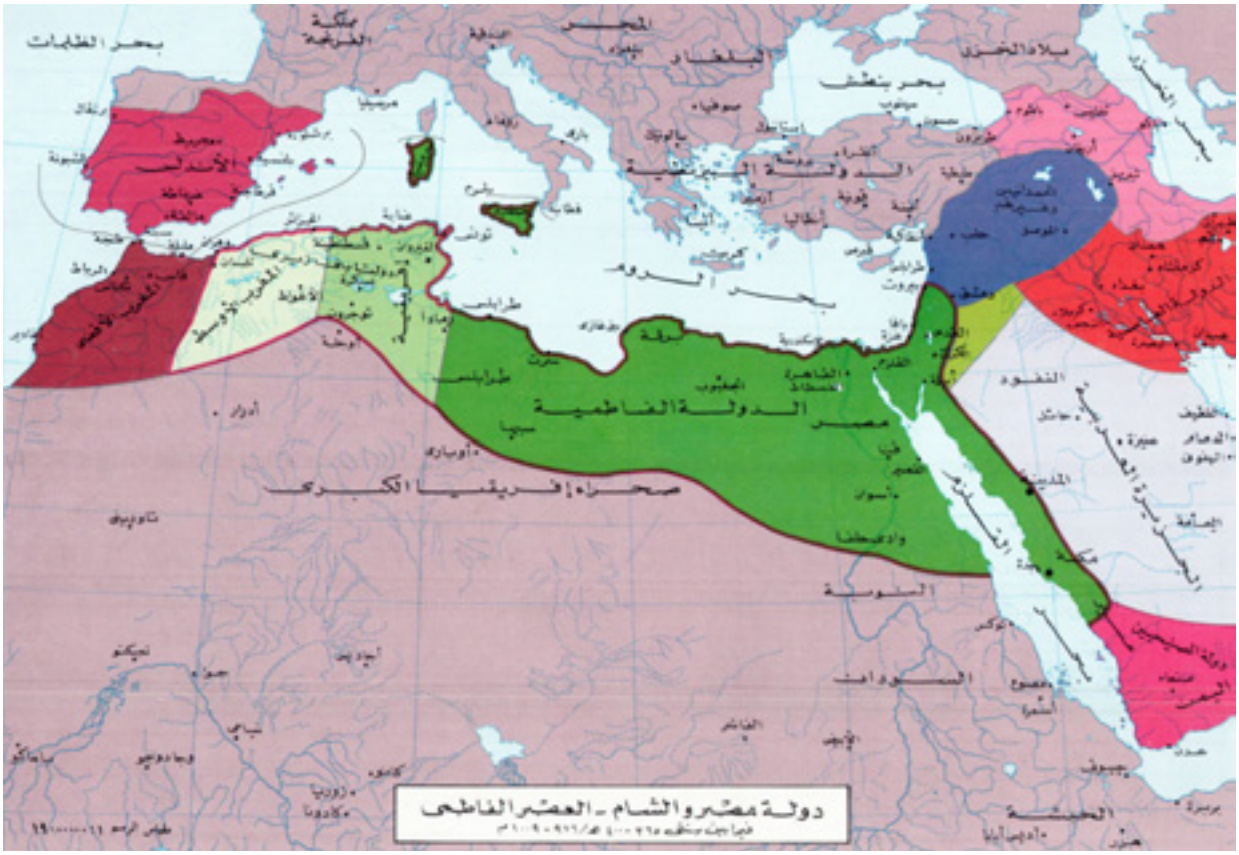

خريطة الدولة الفاطمية في أوج اتساعها

وفي عهد العزيز بالله أيضًا خضعت العديد من المناطق للدولة الفاطمية وإن كان ذلك إسمية مثل اليمن والموصل بشمال العراق، فإنه قد خضعت لها فعليًا الجيوب التي بقيت مستقلة بالشام مثل حلب وحمص وحماة وغيرها.

كما يرجع الفضل إلىٰ العزيز في استقرار النظام الإداري ونشاط الحياة الاقتصادية بمصر، خاصة التجارة التي كانت تشكل الدخل الأكبر للخزينة الفاطمية. وإليه يرجع الفضل في تنظيم حركة الري وتوسيع المساحة المزروعة وتحديد موعد فيضان النيل. ولعل اهتمامه بالجيش كان في مقدمة أعماله. فكان لجيش الخلافة الفاطمية اليد الطولىٰ في التوسع وحماية النظام الشيعي وضرب المعارضين.

وفي عام (386 هـ/ 996 م) مات الخليفة العزيز فخلفه ابنه الحاكم بأمر الله أبو علي المنصور (386 – 410 هـ/ 996 – 1020 م). وكان عهده غير مستقر بسبب سوء تصرفاته وتناقض أوامره وعدم الاستقرار علىٰ رأي.

وبالرغم من أن سياسته هذه قد أثارت سخط الرعية عامة. فإن عهده شهد استقرارًا

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

للأمن والمحافظة على الآداب العامة والقضاء على الفوضى التي كانت سائدة مما أفسح المجال لتقدم الحياة العلمية والفكرية. ولعل من الأعمال الخالدة له إنشاء دار الحكمة وهي أشبه بمركز بحوث لكافة العلوم وأقرب في المعنى والمضمون من دار الحكمة ببغداد. وقد قتل الخليفة الحاكم بأمر الله عام (410 هـ/ 1020 م) في ظروف غامضة. وخلف الحاكم بأمر الله ثمانية خلفاء حتى عام (567 هـ/ 1171 م)، انحدرت الدولة خلال عهدهم إلى أن سقطت على أيدي الأيوبيين في مصر، وتقاسم أملاكها ببلاد المغرب وصقلية وسردينيا إمارات وجماعات مختلفة.

نشاط فكري

استعرض دور بعض الحواضر في دعم القوى السياسية في بلاد المغرب عامة.

هـ) إمارة بني زيري (363 - 555 هـ/ 972 - 1160 م):

الزيريون هم خلفاء الفاطميين من قبائل صنهاجة التي انضمت إلى الخلافة الفاطمية عقب إعلان قيام الدولة الفاطمية فكانوا عنصر دعم بشري ومعنوي لها في حين كانت قبائل كتامة عنصرًا أساسيًا في قيام الدولة الفاطمية الشيعية كما عرفنا سابقًا.

وبالرغم من أن قبائل كتامة قد نالت الرعاية والمساندة من الخلافة الفاطمية وتجلى ذلك في المناصب والمنح التي تلقوها من الفاطميين جزاء مساعدتهم القيمة في قيام الدولة الفاطمية، إلا أن قبائل صنهاجة بدورها نالت رضا الفاطميين أيضًا، ذلك أن دعمها الدولة الفاطمية كان نقطة تحول في تاريخها، فلولا هذا الدعم لما استطاع الفاطميون أن يصلوا إلى ما وصلوا إليه من مكانة سياسية ودينية في بلاد المغرب، وكان على الفاطميين أن يكرموا بني زيري خاصة وصنهاجة عامة فكانوا حلفاءهم طيلة وجود الفاطميين في بلاد المغرب.

وقد قسم المؤرخون مراحل دولة بني زيري الصنهاجية إلى قسمين:

1. مرحلة التحالف مع الفاطميين في الحكم وقد استمرت من عام (362 هـ/ 972 م) وحتى (439 هـ/ 1047 م) وفي هذه المرحلة كان بنو زيري يحكمون كإمارة

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

مستقلة بذاتها تابعة للخلافة الفاطمية بعد انتقالها إلىٰ مصر وكان نفوذها يمتد من طرابلس إلىٰ حدود الجزائر.

وقد انفرد بنو زيري بالحكم دون منافس بسبب أن الفاطميين عند انتقالهم إلىٰ مصر أخذوا معهم قبيلة كتامة وبذلك فُسِح المجال أمامهم للحكم وكان أشهر أمرائهم في هذه المرحلة أبو الفتوح يوسف بن بلكين بن زيري الصنهاجي.

وقد حاول بنو زيري خلال هذه المرحلة تنظيم شئون إمارتهم من الناحية الإدارية والاقتصادية وقطعوا في ذلك شوطًا مهمًا. وقد كان المذهب الشيعي هو المذهب الرئيسي في الإمارة أسوة بالفاطميين، بالرغم من أن الناس والرأي العام في الإمارة كانوا يتبعون بالمذهب المالكي خِفْيَةً.

2. **مرحلة الاستقلال عن الخلافة الفاطمية الشيعية والانتماء إلى الخلافة العباسية السنية**، ودامت حوال (113 سنة) أي من عام (439 هـ/ 1047 م) إلىٰ عام (556 هـ/ 1160 م). وقد اتخذ هذه المبادرة أميرهم المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري. وخرجت من يد إمارة بني زيري خلال هذه المرحلة منطقة المغرب الأقصىٰ التي شهدت قيام دولة إسلامية كبرىٰ هي دولة المرابطين. ولم يبق تحت نفوذ بني زيري في المغرب الأدني إلا إفريقية وجزءٌ من المغرب الأوسط (ما بين طرابلس والجزائر).

خلال هذه المرحلة من تاريخ بني زيري حاول زعماؤها توثيق الصلة بالعباسيين ببلاد المشرق، إلا أن وجود الفاطميين في مصر حال دون ذلك. فأصبح الاتصال مستحيلًا واقتصر علىٰ الرابطة الإسمية.

لقد انتعشت الحياة الثقافية والاجتماعية خلال حكم بني زيري في مرحلته الثانية، وتوثقت علاقة الإمارة الزيرية ببلاد الأندلس والمرابطين. وكان خروج الزيريين عن الفاطميين واستقلالهم عنهم قد حدا بالخليفة الفاطمي آنذاك المستنصر (445 – 487 هـ/ 1035 – 1094 م) بالانتقام من بني زيري وذلك بتوجيه القبائل العربية القاطنة إلىٰ الشرق من دلتا النيل بمصر ومن صعيد مصر نحو بلاد المغرب.

وقد عرفت هذه الهجرة بهجرة بني هلال أو تغريبة بني هلال والتي كان من نتائجها:

1. أنها أذابت الفوارق السكانية وعملت علىٰ سيادة العنصر العربي بالشمال

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الإفريقي. وتعثر النماء الاقتصادي في بعض مناطق إفريقية واختفت بعض المناطق التي كانت تشتهر بإنتاجها الزراعي عبر القرون السابقة للهجرة. وفقدت القيروان المركز المشتهر بالصناعات الصحراوية، وتقلصت التجارة لانعدام الأمن.

2. كان لتعريب المنطقة أهم نتيجة حضارية واجتماعية كبرىٰ للهجرة الهلالية.
3. انقسمت السلطة في إفريقية بين بني هلال في المناطق الداخلية الممتدة إلىٰ الغرب من قابس، وبين بني زيري في المهدية، وإن حاولوا استرجاع غيرها من المدن، وبني حماد في بجاية، وخرجت المناطق عن سيطرة الزيريين تباعًا: صفاقس، قابس، تونس. وكانت قد تجزأت إفريقية إلىٰ إمارات صغيرة أشبه بدويلات الطوائف في الأندلس.

وأمام الغزو الهلالي من الشرق وقيام دولة المرابطين في الغرب وسوء الأوضاع الداخلية انقسم البيت الزيري علىٰ نفسه وكان ذلك تمهيدا لسقوط دولتهم حيث استقل بنو حماد بمنطقة بجاية وبنو بلكين بالمهدية.

وقد زاد من ضعف هذه الدولة تعرضها للغزو الصليبي فسقطت عام (555 هـ/ 1160 م)

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

قيام أسرات حاكمة في داخل الأراضي الليبية في العصر الوسيط

• قيام حكم أسرة بني الخطاب في فزان (306 - 568 هـ/ 918 - 1142 م):

مؤسس هذه الأسرة هوعبد الله بن خطاب الهواري من قبيلة هوارة الليبية سنة (306 هـ/ 918 م) في زويلة، المنطقة التجارية علىٰ أبواب الصحراء، مستغلة فراغ المنطقة سياسيا، وقد ارتبطت أسرة بني خطاب بعلاقات جيدة مع الزيريين.

نعمت أسرة بني الخطاب بنوع من الاستقرار والازدهار لماكان لزويلة من دور في حركة التجارة الصحراوية آنذاك. فكانت تجبي أموالًا طائلة من ضرائب العبور التي تدفعها القوافل التجارية مقابل حمايتها عبر طرق ومسالك الرحلة. وازدادت أهمية زويلة بهجرة بعض سكان منطقة الساحل إليها أثر الصراع الدائر بين بني زيري وقبائل زناتة وكذلك أثر هجرة بني هلال التي دفعت بالحجاج والتجار إلىٰ الطريق الصحراوي بدل الساحلي، فأنشأت بها: المرافق مثل الحمامات العامة والأسواق.

واهتم بنو خطاب بالصناعات المختلفة، خاصة صناعة الجلود، واستفادوا من تجارة الرقيق إذ اعتمدوا عليهم في توسيع رقعة الأراضي الزراعية.

ظلت هذه الأسرة تنعم بالازدهار حتىٰ سنة (568 هـ/ 1142 م) عندما دخلها قراقوش فتدهورت أوضاعها وسقطت في يد كانم سنة (657 هـ/ 1258 م). فعين عليها حاكما من قبله واتخذ من مدينة تراغن قاعدة لحكمه.

• حكم أسرة بني خزرون في طرابلس (391 - 480 هـ/ 1000 - 1087 م):

دخل فلفل بن سعيد الزناتي بن خزرون طرابلس منتزيا بها سنة (391 هـ/ 1000 م) عن السلطة الزيرية داعيا للفاطميين بمصر في البدء، ثم انتقل بها عنهم إثر انشغال الحاكم بالله الفاطمي بثورة أبي ركوة في برقة وانقطاع الطرق بين مصر وطرابلس. أستطاع فلفل بن سعيد توطيد نفوذه أيضا لانشغال باديس بن زيري في إفريقية بمحاربة بني عمومته آل حماد في المغرب الأوسط واستطاع أن يجعل من طرابلس إمارة زناتية يتوارثها أبناؤه، واتخذ بها قصر الإمارة ودون الدواوين.

وبوفاة فلفل بن سعيد سنة (400 هـ/ 1009 م) تولىٰ أخوه وروا طرابلس وصالح باديس بن زيري علىٰ أن يعطوا نفزاوة مقابل الرحيل عن أعمال طرابلس التي تولاها محمد بن الحسن إلا أن هذا الصلح لم يستمر طويلا، إذ خرج وروا عن طاعة باديس

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

وحاول استعادة طرابلس دون جدوى.

وبوفاة وروا بن سعيد بن خزرون، تفرقت كلمة آل خزرون وتصارع افرادها على السلطة وبقيت طرابلس إحدى عمالات الإمارة الزيرية يمثلهم فيها محمد بن الحسن ثم أخوه عبد الله بن الحسن الذي سلمها إلى خليفة بن وروا سنة (413 هـ/ 1022 م) وبقى آل خزرون يحكمون طرابلس حتى استعادها المعز بن باديس منهم بعد عدة محاولات ودخل في طاعته المنتصر بن خزرون وظل بني خزرون يحكمون طرابلس تحت مظلة بني زيري في إفريقية حتى سنة (480 هـ/ 1087 م) وكان أخر حكامها محمد بن خزرون، الذي قرب إليه بني مطروح. واعتمدعلى جماعة من مشايخهم وفوض أمره إليهم حتى انتهت الرئاسة لهم. وشهدت طرابلس في آخر أيامه خطر هجمات النورمان في صقلية الذين استولوا على طرابلس سنة (541 هـ/ 1145 م) وكانت المدينة تعيش أوضاع اقتصادية صعبة تفشت المجاعة ونقص المؤن، قضت على كثير من أهلها.

ونظرا لما كانت تمر به طرابلس من صراعات بين محمد بن خزرون ومعه بنو مطروح وبين أهالي طرابلس الرافضين له عاد إليها النورمان مرة أخرى وفرضوا الجزية على أهل طرابلس، وبقوا فيها ستة أشهر، ثم رحلوا عنها بعد أن تركوا عليها أبا يحيى بن مطروح وجعلوا قاضيهم ابن الحجاج يوسف بن زيري. فكان أمر طرابلس بيد الشيخ أبو يحيى بن مكن بن مطروح والقاضي ابن الحجاج يوسف بن زيري.

ملاحظات حول حكم بني خزرون لطرابلس:

1. كان بنو خزرون يحكمون طرابلس تارة تابعين لمصر وأخرى يتبعون إفريقية.
2. عمل بنو خزرون على اثبات وجودهم في خضم الأحداث الدائرة في المنطقة.
3. سيطر بني خزرون على طرابلس باعتبارها موقعا استراتيجيا مهما، جعلها مركزا اقتصاديا، تجاريا على قدر من الأهمية، فهي تقع على طريق التجارة الرابط بين الشرق والغرب والشمال والجنوب.
4. كان حجم سيطرة ونفوذ بني خزرون داخل أسوار طرابلس فقط.
5. كان الصراع الذي دار بين أفراد أسرة بني خزرون أصابها بالضعف وبالتالي الانهيار.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

- **أسرة بني مطروح:**

ذكرنا سابقا أن النورمان سيطروا علىٰ طرابلس سنة (541 هـ/ 1145 م) ولقد أقاموا بها ستة أشهر عارضين علىٰ أهلها الجزية، ثم رحلوا عنها بعد أن ولوا عليها أبا يحيىٰ بن مطروح.

أقام بنو مطروح نظاما دستوريا متميزا، يتكون من عشرة شيوخ، كانوا يجتمعون للتشاور في أمور مدينة طرابلس، ويعقدون اجتماعاتهم في مسجد خارج المدينة يسمىٰ (مسجد العشرة).

برز يحيىٰ بن رافع بن مطروح في الساحة، بعد تمكن الموحدين من طرد النورمان من طرابلس سنة (554 هـ/ 1159 م) وحكمها حتىٰ قدوم الموحدين سنة (555 هـ/ 1160 م). وقاموا بتوحيدها مع بلاد المغرب في سنة (555 هـ/ 1161 م)، وبقيت تابعة لهم تحت إمرة يحيىٰ بن مطروح فأقره علىٰ طرابلس.

تولىٰ بنو مطروح حكم طرابلس حوالي ثلاثين سنة، نجحوا خلالها في تحقيق نوع من الاستقرار؛ فأنصرف أهلها إلىٰ ممارسة نشاطاتهم الاقتصادية وخاصة التجارة. إلا أن القلاقل التي حدثت في طرابلس كانت سبب في تقلص النشاط الاقتصادي. وقد أستمرت حوالي خمسين سنة.

وكان ظهور الأتراك الغز بقيادة قراقوش الأرمني وابن غانية اللمتوني، شهدت خلالها المنطقة فوضىٰ وفراغ سياسي وإن تخللتها في بعض الفترات حالة هدوء، ولكنه ليس دائم تم تعيين ولاة محليين في طرابلس، عبد الله بن إبراهيم بن جامع الذي ترك طرابلس سنة (605 هـ/ 1208 م). وعندما سقطت الدولة الموحدية وقامت الدولة الحفصية بإفريقية، رحب أهالي طرابلس بها وقدموا فروض الولاء والطاعة.

وشهدت طرابلس في فترة الحفصيين أمنًا واستقرارًا ونشاطًا اقتصاديًّا مزدهرًا متمثلًا في تجارة القوافل والتجارة البحرية. إلا أنه بضعف الحفصيين وتنازع أفراد الأسرة علىٰ السلطة عمل شيوخ طرابلس وعلىٰ رأسهم مرغم بن صابر علىٰ الاستقلال بها مساندا لابن أبي عمارة الدعي (إدعىٰ أنه الفضل بن الواثق الحفصي)؛ إن فشل ابن صابر في ذلك فإنه استطاع السيطرة علىٰ عدة مناطق منها قابس والحامة وجربة. وبقيت طرابلس تحت سلطة بني حفص ويمثلهم فيها محمد بن عيسىٰ الهنتاني الذي بقي بها حتىٰ تاريخ وفاته سنة (684 هـ/ 1185 م)، وخلفه عليها يوسف بن طاهر اليربوعي الذي

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

استقل بطرابلس عن الحفصيين لفترة من الزمن، ثم استعادوها لسلطتهم.

كانت طرابلس نقطة انطلاق أغلب المتمردين والمنشقين عن السلطة، كما كانت أيضا نقطة انطلاق لإعادة الاستقرار وإنقاذ السلطة أحيانا. ففي سنة (709 هـ/ 1309 م)، انطلقت الدعوة من طرابلس لإنقاذ الدولة الحفصية، وتزعمها أبو يحيىٰ زكرياء بن أحمد اللحياني الذي كان متواجدا بطرابلس وقد حثه أهلها علىٰ التدخل لحسم الصراع بين أفراد الأسرة الحفصية، فحرضوه علىٰ المطالبة بحقه في الحكم والوقوف في وجه أبي البقاء خالد الناصر لدين الله، الذي تولىٰ السلطة (709 هـ/ 1309 م)، إلا أن أبا يحيى هذا لم يتمكن من منازعة أبي البقاء خالد، فاستقر بطرابلس واستقل بها مستعينا بالقبائل العربية وشهدت طرابلس في عهده هدوءًا واستقرارا، لكن أبا يحيىٰ زكرياء غادر طرابلس إلىٰ الاسكندرية، ونزل عند السلطان محمد بن قلاوون وتوفي هناك (728 هـ/ 1327 م). وبقيت طرابلس في عهدة وزيره أبي عبد الله محمد بن عمران الذي بقي بها حتىٰ سنة (724 هـ/ 1324 م).

• استقلال طرابلس عن الحفصيين وظهور أسرة بني ثابت:

بعد فترة الاضطرابات التي شهدتها طرابلس إثر انهيار سلطة بني حفص، رأىٰ أهلها أن يحكموا مدينتهم بأنفسهم حكم ذاتي، فوقع اختيارهم علىٰ رجل من أسرة بني ثابت، وهو ثابت بن محمد بن ثابت (724 – 730 هـ/ 1323 – 1329 م).

وأسرة بني ثابت من الأسر الثرية التي كانت تزاول التجارة مما أكسبها أموال طائلة وتنتمي إلىٰ الجواري الوشاحيين.

حكم ثابت من خلال مجلس استشاري يرأسه، ويقوم بادارة البلاد.

وتولىٰ من بعده ابنه محمد بن ثابت (730 – 750 هـ/ 1329 – 1349 م) وشهدت طرابلس في عهده ازدهار اقتصاديا، تمثل في التجارة، واستمر في عهد خلفه أيضا ثابت بن محمد بن ثابت وكان لإزدهار طرابلس ونشاطها الاقتصادي أن جعلها عرضة لأطماع الجنويين، الذين دخلوها واستولوا عليها وآسروا النساء والرجال ونقلوا ما غنموا إلىٰ جنوة.

ولقد سارع لإنقاذ طرابلس صاحب قابس أبو العباس أحمد بن مكي الذي تفاوض مع الجنونيين للخروج وقد اشترطوا فديتها بـ (50) ألف قطعة نقدية، فدفعها من

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

ماله وجمع الباقي من أهل قابس والحامة وبلاد الجريد.

وبالتالي استحوذ ابن مكي على طرابلس واتخذها عاصمة له، وبقي بها حتى تاريخ وفاته سنة (792 هـ/ 1400 م) وتولاها من بعده ابنه، إلا أن أبا بكر بن ثابت استردها سنة (803 هـ/ 1384 م). وبقيت بأيديهم حتى دخلت مجددا تحت الحفصيين سنة (803 هـ/ 1400 م).

انتهى حكم بني ثابت سنة (803 هـ/ 1400 م)، بعد أكثر من 99 عاما بين استقلال وتبعية إسمية. حتى وإن استعادها الحفصيون في طرابلس، فإن اضطراب أحوالهم أثّر على تبعية طرابلس، فقامت بها ثورة وعمت الفوضى، وشهدت طرابلس فراغًا سياسيًا؛ فاتجهت الأنظار إلى شخصية سيدي منصور وهو أحد أعيان طرابلس، فعينه أهلها واليا عليهم، وبويع الإمارة سنة (865 هـ/ 1460 م)، ودخل في صلح السلطة الحفصية، وانتهت ولايته بمقتله سنة (876 هـ/ 1471 م) من قبل أحد ابناء عمومته.

وفي سنة (877 هـ/ 1472 م) تقرر اختيار أحد أعيان طرابلس ليتولى أمرها، وفي سنة(885 هـ/ 1480 م) بايع أهل طرابلس مامي التاجر، فنشطت التجارة وأقام علاقات بالمدن الأوروبية، وعقد معهم معاهدات تضمنت اعتماد قناصل.

وبعد وفاة مامي (898 هـ/ 1492 م) خلفه على طرابلس الشيخ عبد الله بن شرف وقد كان ورعا، فعم الرخاء وازدهر العمران ونشط الاقتصاد؛ إلا أنه أهمل جانب التحصينات خاصة من جهة البحر، مما جعلها عرضة لهجمات الإسبان، فاستولوا عليها سنة (916 هـ/ 1510 م).

نشاط فكري

عزيزي الطالب: قم بتجميع مادة تاريخية تشير إلى تاريخ طرابلس بعد نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

و) دولة المرابطين (448 - 541 هـ/ 1056 - 1147 م):

هي دولة قامت على فكرة المرابطة والجهاد، وسمّي القائمون عليها بالمرابطين وهم الفرع الثاني من صنهاجة وهم بخلاف صنهاجة الشمال (بنو زيري). كانوا صحراويين ويعرفون أيضًا بقبائل الملثمين لاتخاذهم اللثام الذي يميزهم دون سائر قبائل بلاد المغرب. وقد أطلق عليهم تسمية المرابطين في فترة متأخرة من ظهورهم وذلك لاتخاذهم الرُبط أو الرباطات للدفاع عن الإسلام، فالرباط يعني ملازمة الثغور لمراقبة العدو.

وقد أقام هذه الدولة قبيلة صنهاجة البدوية التي كانت تسكن الخيام وتعيش على الرعي في جنوب جبال أطلس الغربية.

وقد اختارت صنهاجة فكرة الرباط بسبب :

1. نجاحها في إدخال سودان غانا في الإسلام فأصبح لهم وعي بهذا الدور المعتمد على الرباط والذي هو عبارة عن مركز عسكري صوفي يدعو إلى الإسلام ويدافع عنه.
2. اقتناع شيخ قبائل لمتونة وجدالة الصنهاجيين (يحي بن إبراهيم الجدالي) بفكرة التوجه الديني لإقامة دولة تعيد توحيد بلاد المغرب من الانقسام.
3. أثر الداعية عبد الله بن ياسين الذي شكل الفكر الديني الجهادي لدى المرابطين.

دور عبد الله بن ياسين وخلفائه في قيام الدولة:

وعندما توافرت الأسباب السالفة الذكر، خرج المرابطون من الصحراء يقودهم زعيمهم عبد الله بن ياسين فاستولوا على غانا وعلى جزء كبير من شواطئ نهر النيجر، وقاموا بنشر الإسلام بين القبائل الوثنية المختلفة، ثم زحفوا على بلاد المغرب الأقصى داعين الناس إلى العودة إلى الإسلام الصحيح والإبتعاد عن البدع والخرافات والتشتت. وخاضوا لذلك معارك عدة كان أهمها المعركة التي دارت قرب مدينة الرباط الحالية عام (451 هـ/ 1059 م) والتي انتصروا فيها وقد قتل فيها زعميهم عبد الله بن ياسين.

وقد تولى الزعامة من بعد ابن ياسين، أبو بكر بن عمر يعاونه يوسف بن تاشفين وقامت قواتهم بالتوغل في الأراضي المغربية وساعدها على سرعة ضم المناطق الواحدة

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

بعد الأخرىٰ وجود الإنقسام القبلي وسيادة الشعوذة والسحر والوثنية بين بعض القبائل المغربية. **فقرورا تقسيم قواتهم إلى قسمين:**

- قسم قاده أبو بكر بن عمر وتولىٰ مواصلة نشر الإسلام بين القبائل الوثنية الواقعة جنوب الصحراء بما لديه من خبرة في هذا المجال.
- أما القسم الآخر من القوات، فقد قاده يوسف بن تاشفين الذي تعتبره المراجع التاريخية المؤسس الحقيقي لدولة المرابطين لما قام به من مجهودات في تطوير هذه الدولة. وقد نجحت هذه القوات في التوغل في بلاد المغرب، وذلك بعد فتح يوسف بن تاشفين مدن طنجة ووجدة وتلمسان ووهران بالمغرب الأوسط والوصول إلىٰ مدينة تونس وكان ذلك في الفترة الواقعة بين عامي (454 – 474 هـ/ 1062 – 1081 م).

• تأسيس مراكش:

وقد بدأ يوسف بن تاشفين خلال هذه الفترة في وضع أساس مدينة مراكش لتكون عاصمة لدولته، بعد أن اختار لها الموقع المميز حول جبل المصامدة. وحفر بها الآبار، واختط فيها الدور والقصور والمسجد الجامع. وشجع الناس علىٰ الإقامة بها وتعميرها. وسرعان ما أصبحت حاضرة من الحواضر الإسلامية ذات الشهرة العالية.

كما أصبح يوسف بن تاشفين الحاكم القوي في المغرب والذي يسهم في سير الأحداث في المنطقة وما حولها فيما يتفق ومصالح دولته، وما يحقق أهدافها الخاصة والعامة.

• دخول المرابطين إلى الأندلس:

أدىٰ اختلال ميزان القوة بين الإمارات المجاورة في المغرب أو في الأندلس التي تعتبر امتدادا له، أو بينها وبين الممالك الإسبانية سيراه ابن تاشفين خطرًا علىٰ دولته، ومن ثم وجوب القضاء عليه. ويلاحظ في هذه الفترة، بأنه في الوقت الذي وصلت فيه دولة المرابطين درجة عالية من التنظيم والاتساع والقوة، كانت بلاد الأندلس تعاني من تمزق وانقسام نتيجة للوضع السياسي السيء الذي أعقب سقوط الخلافة الأموية بها. فانقسمت البلاد بين ملوك الطوائف، وأصبح بكل مدينة إمارة مستقلة مثل قرطبة وإشبيلية وغرناطة وملقا وبطليوس وطليطلة وسرقسطة. وانتهز الإسبان المسيحيون هذه

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الفرقة فصاروا يهاجمون الثغور الأندلسية تمهيدا لطرد المسلمين منها. من هنا شعر ملوك الطوائف بالخطر الذي سيداهمهم إذا استمروا في تشتتهم وقد زاد فزعهم عندما استولىٰ (الفونس السادس) ملك قشتالة علىٰ مدينة طليطلة عام (478 هـ/ 1085 م). فاتجهت الأنظار إلىٰ قوة المرابطين الناهضة، واستنجد أمير إشبيلية المعتمد بن عباد بيوسف بن تاشفين فاستجاب للنداء وعبرت قوات المرابطين إلىٰ الأندلس واتخذت الجزيرة الخضراء قاعدة لها.

وفرح أهل الأندلس بقدومها. وانضم ملوك الطوائف طوعًا وكرهًا إلىٰ ابن تاشفين الذي التقت قواته بجيوش الفونس السادس في موضع يقال له (الزلاقة) قرب مدينة بطليوس عام (479 هـ/ 1086 م) ودارت بينهما معركة حاسمة فاصلة، انتصر فيها المرابطون ومن حالفهم من ملوك الطوائف، وجرح فيها الفونس السادس وفر بمن بقي معه. وبهذا الانتصار استقرت سيادة المرابطين علىٰ المغرب والأندلس لمدة طويلة.

بالرغم من الانتصار، فإن المرابطين لم يستثمروا هذا النصر بدخولهم إلىٰ مدينة طليطلة، فقد عاد ابن تاشفين إلىٰ المغرب بسبب القلاقل التي واجهت دولته هناك. وبعد سنين عاد المعتمد بن عباد يستنجد بالمرابطين، فعاد يوسف بن تاشفين مرة أخرىٰ وحقق النصر والوحدة وقضىٰ علىٰ ملوك الطوائف موحدة البلاد تحت سلطته.

وقد أدت تلك الجهود إلىٰ توقف توغل الإسبان في الأندلس، كما أدت دعوة المرابطين إلىٰ أهل الأندلس بضرورة حماية سواحلهم وإلىٰ بناء أسطول في موانئ الساحل الأندلسي الشرقي، الذي استولىٰ علىٰ العديد من الجزر والمواقع وعمل علىٰ تحجيم القوة الإسبانية وبذلك منعها من الاشتراك في الحروب الصليبية علىٰ العالم الإسلامي في المشرق.

كان للتطور السريع لدولة المرابطين واتساع رقعتها الجغرافية، وما نالته من اهتمامات اقتصادية وعلمية، انعكاس علىٰ حياة سكانها، خاصة بعد وصولهم إلىٰ الأندلس ومشاهدتهم لمباهج الحياة فيها فانصرفوا عن حياة التقشف والخشونة التي كانوا عليها في حياة الرباط وتأثروا بالترف واللهو في الوقت الذي بدأت فيه ثورات الأندلسيين علىٰ المرابطين. فساءت الأحوال واضطربت الحياة السياسية والاقتصادية ونشط الإسبان مرة أخرىٰ، فسقطت دولة المرابطين وقامت علىٰ أنقاضها قوة أخرىٰ عرفت بدولة الموحدين.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

ز) دولة الموحدين (541 - 668 هـ/ 1146 - 1269 م):

وهي دولة سميت باسم الفكرة التي دعت إليها وهي فكرة التوحيد الخالص. كما عرفت بدولة المصامدة لأن قبائل مصمودة هي التي تبنت الفكرة ودافعت عنها.

وفي عهد دولة الموحدين توحدت بلاد المغرب من مدينة سرت شرقا وحتىٰ المحيط الأطلسي غربة إضافة إلىٰ الأندلس.

ومؤسس هذه الدولة محمد بن تومرت الذي قاد معارك طاحنة ضد القبائل التي رفضت دعوته وكذلك ضد بقايا دولة المرابطين المنهارة. ونجح زعماء هذه الدولة في توسيع رقعتها شرقًا حتىٰ خليج سرت وهزموا النورمانديين الذين استولوا علىٰ بعض مناطق الساحل الإفريقي مستغلين حالة الانقسام.

وقد أقام ابن تومرت دولته على مبادئ محددة هي:

1. التوحيد وهو من مبادئ أهل الكلام من المعتزلة.
2. الإصلاح الأخلاقي ويعني تنقية النفوس من الفساد.
3. الوعي التام بضرورة الجهاد.

وفي عام (533 هـ/ 1129 م) توفي محمد بن تومرت فتولىٰ الزعامة من بعده عبد المؤمن بن علي الذي سار علىٰ نهجه في تطبيق المبادئ المشار إليها.

ويعتبر عبد المؤمن من أبرز أمراء الموحدين بما توافر له من خبرة في الحرب وفي تنظيم الدولة إداريًا واقتصاديًا. فسدد عبد المؤمن بن علي الضربة النهائية للمرابطين في المغرب الأوسط (الجزائر) بين تلمسان ووهران وبذلك صار صاحب المغربين الأقصىٰ والأوسط. ثم بدأ حملاته المتكررة علىٰ المغرب الأدني (تونس)، بعد أن ضم إليه مملكة بني حماد أصحاب بجاية. ونجح في إقناع بني هلال الذهاب إلىٰ المغرب الأقصىٰ للمشاركة في الجهاد ضد الصليبيين في الأندلس. واستمر في حركته التوحيدية لبلاد المغرب وصولاً إلىٰ إفريقية فوقعت تحت سيطرته بالكامل، بالإضافة إلىٰ انضمام مدينة طرابلس الغرب من تلقاء نفسها إليه نظراً لما كانت تعانيه من غزوات النورمانديين وصليبي صقلية المتكررة عليها. وكان توحيد بلاد المغرب تحت راية الموحدين سنة (555 هـ/ 1160 م).

وبنجاح الموحدين في ضم هذه المناطق الشاسعة توفرت لديهم القوة البشرية

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

المسلمة التي ساعدتهم في نقل ميدان المعركة إلىٰ بلاد الأندلس علىٰ شاكلة ما فعله المرابطون قبل ذلك.

- **عبور الموحدين إلى الأندلس:**

في عام (538 هـ/ 1143 م) عبرت جيوش الموحدين إلىٰ الأندلس حيث نزلت بجبل طارق وسموه جبل الفتح وبنوا به بعض الحواضر كقواعد لهم، كما تصالحوا مع أهل الأندلس وحصلوا هناك علىٰ البيعة، وبموجب ذلك نجحت قوات الموحدين في الاستيلاء علىٰ معظم جنوب شبه جزيرة أيبريا حتىٰ وفاة عبد المؤمن عام (558 هـ/ 1162 م).

لم يتم توحيد بلاد المغرب حتىٰ سنة (538 هـ/ 1143 م)، وفي نفس العام عبرت جيوش الموحدين إلىٰ الأندلس، ورتب عبد المؤمن بن علي ذلك، فأمر ببناء مدينة جبل طارق سنة (555 هـ/ 1160 م)، إلا أنه توفي وهو يستعد للعبور إليها سنة (558 هـ/ 1162 م).

وفي عهد ابنه يوسف بن عبد المؤمن (558 - 580 هـ/ 1162 - 1184 م) واصل الموحدون تقدمهم داخل الأندلس متبعين طريقتين للتعامل مع الصليبيين الإسبان:

- الأولىٰ توحيد الإمارات المتناثرة تحت زعامة الموحدين.
- والثانية التوسع عن طريق الاصطدام المتقطع مع الإسبان وتحرير ما يمكن تحريره من أيديهم.

وفي عهد حفيد عبد المؤمن (المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن (580 - 595 هـ/ 1184 - 1199 م) خاض الموحدون معركة من أشهر المعارك الإسلامية ضد الإسبان، وهي معركة الأرك (592 هـ/ 1195 م) التي سميت بذلك نسبة إلىٰ المكان الذي جرت فيه، وهو وادي الأرك بالقرب من مدينة بطليوس الأندلسية. وقد جاءت هذه المعركة رداً علىٰ خرق ملك الإسبان الفونسو التاسع للمعاهدات المعقودة بينه وبين الموحدين، ودعوته إلىٰ حرب صليبية صريحه ضد المسلمين في الأندلس. فتقدمت قوات الموحدين وهزمته في هذه المعركة الفاصلة التي نتج عنها تحرير العديد من المدن والجيوب التي استولىٰ عليها الإسبان.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

خريطة عبور الموحدين إلى الأندلس

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

• دولة الموحدين في بلاد المغرب

وعقب وفاة المنصور ساءت الأوضاع السياسية والعسكرية للموحدين نظرا لعدم قدرة من تولوا من بعده علىٰ القيادة، الأمر الذي مكن الإسبان من إشعال حرب صليبية جديدة ضد الموحدين وتمت هزيمتهم في معركة العقاب عام (609 هـ/ 1212 م)، وهي من المعارك المحزنة في التاريخ الإسلامي والتي ترتب عليها مواصلة الإسبان الضغط علىٰ الموحدين لإخراجهم من الأندلس حتىٰ تمكنوا من ذلك عام (633 هـ/ 1235 م)، وورث ملكهم بها بنو هود وبنو نصر.

أما عن حالة دولة الموحدين ببلاد المغرب فإنها لم تكن أحسن حالاً من حالهم في الأندلس. فسادت بلاد المغرب حركات مناهضة وعجزت الدولة عن صدها، واقتسم ولاة الموحدين بلاد المغرب وكوّنوا إمارات مستقلة مراعية استمرار شرعية حكم الموحدين حتىٰ سقطت دولتهم رسمياً عام (674 هـ/ 1275 م) وورثهم:

1. الحفصيون في المغرب الأدني (تونس)
2. بنو عبد الواد الزيانيون في المغرب الأوسط (الجزائر).
3. بنو مرين ثم الوطاسيون في المغرب الأقصىٰ (المغرب).

بالرغم من المشاكل المتكررة التي صاحبت دولة الموحدين والجهد الذي بذلوه في سبيل توحيد بلاد المغرب والأندلس وجهادهم المستمر ضد الصليبيين فإنهم لم يهملوا المجال الحضاري، فاهتموا بالعمران والعلوم وازدهرت في عهدهم الثقافة الإسلامية. بفضل جهوج العلماء والفقهاء والأطباء وغيرهم من أمثال ابن طفيل والفيلسوف ابن راشد، والطبيب ابن زهر أسس الموحدون مدينة الرباط كما عملوا علىٰ بناء العديد من المساجد بها.

كما شهدت الحياة الاقتصادية في العصر الموحدي نشاط كبير واهتمام بالزراعة والرعي والصناعة.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

ب) الأندلـــــس:

1. الدولة الأموية في الأندلس (138 - 422 هـ/ 756 - 1031 م)

بعد سقوط الدولة الأموية على يد العباسيين (132 هـ/ 750 م) رأي هؤلاء أن استمرارهم في الخلافة يتطلب القضاء على أبناء البيت الأموي جميعاً. ففرّ أحدهم وهو عبد الرحمن بن معاوية واستطاع الوصول إلى بلاد المغرب ومنها انتقل إلى الأندلس سنة (137 هـ/ 755 م) حيث استقر وأخذ يدعو إلى إحياء الدولة الأموية فيها. رحب المسلمون في الأندلس به، فقد كانت الأحوال في الأندلس مضطربة بسبب الانقسامات والحروب الأهلية بين القبائل اليمنية والمضرية، واستطاع عبد الرحمن بن معاوية الانتصار على منافسيه في موقعة المصارة بالقرب من قرطبة سنة (138 هـ/ 756 م). واتخذ من قرطبة عاصمة الأندلس مقراً له، وأعلن نفسه حاكماً مستقلاً عن الدولة العباسية.

وظل عبد الرحمن الذي لقب (بالداخل)، يعمل طيلة مدة حكمه التي دامت ثلاثة وثلاثين عاماً على تأمين حدود دولته واستقرارها وتمكن من إيقاف العباسيين الذين حاولوا إعادة الأندلس إلى حكمهم وأفشل خططهم.

من جانب آخر، قاومت الدولة الأموية في الأندلس أطماع الفرنجة في إعادة السيطرة على الأندلس، وصدت جيوشهم وأثبت الأمويون مناعة هذه الدولة المستقلة وقوتها.

تولى الحكم بعد عبد الرحمن بن معاوية تسعة ولاة منهم خمسة في عصر الإمارة بمن فيهم عبد الرحمن الداخل، واتخذوا لقب أمير، وتولى الأربعة الباقون الحكم في عصر الخلافة واتخذوا لقب خليفة. وقد تذبذبت فترات حكمهم بين الضعف والقوة.

ويمكننا أن نوجز **أهم أعمالهم**:

1. الاهتمام بتنظيم الإدارة.
2. بناء علاقات دبلوماسية مع البيزنطيين.
3. الاهتمام بالتطور العمراني، كبناء المساجد التي بقيت كشاهد حضاري إسلامي في الأندلس حتى الآن.
4. الاهتمام بصناعة السفن وإنشاء أحواض لهذا الغرض بإشبيلية وقرمونة ومرسية وبلنسية وقد كان الأسطول الأموي بالأندلس الساعد الأيمن في

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

عمليات الجهاد ضد الصليبيين في البحر المتوسط.

5. التصدي المستمر لأعداء الدولة من الخارج، خاصة الفرنجة والنورمانديين الذين كانوا يطمعون في السيطرة على الأندلس والقضاء على الوجود الإسلامي فيها، وتمكنت القوات الإسلامية من اختراق جبال البرانس وصولاً إلى إقليم سبتمانيا في جنوب فرنسا وتقدمت باتجاه طولوشة أو تولوز لأول مرة منذ موقعة بلاط الشهداء حيث منيت قوات الفرنجة بهزيمة كبرى، وخسرت عدداً كبيراً من القتلى والأسرى. كما اهتم حكام هذه الدولة بإقامة العديد من الحصون الدفاعية على مصبات الأنهار، وشيدوا الأسوار العالية حول المدن المهمة مثل اشبيلية وذلك لصد غارات الأعداء.

6. تميز عهد الدولة الأموية في الأندلس بالرخاء الاقتصادي، حيث اهتم حكامها بالزراعة والصناعة، فضلاً عما أعطته الانتصارات العديدة من زخما اقتصادي للمجتمع والدولة.

7. الاهتمام بالعلماء والشعراء والمغنين أمثال زرياب والغزالي وعباس بن فرناس وأبي علي القالي وغيرهم. وقد أقاموا المكتبات ومن أشهرها مكتبة القصر بالزهراء التي حوت نحو أربعمائة ألف كتاب في شتى العلوم والمعارف.

وأصبحت الأندلس بذلك النافذة الأولى لنشر الثقافة والحضارة الإسلامية في العالم وخاصة في أوروبا..

زوال الدولة الأموية بالأندلس:

زالت الدولة الأموية بالأندلس بعد عزل آخر خلفائها هشام (المعتد بالله) سنة (422 هـ/ 1031 م). ونتج عن زوال الدولة الأموية انقسام بلاد الأندلس إلى كيانات قزمية متفرقة بلغ عددها (16) على رأس كل منها حاكم. دخلت الأندلس في عصر جديد عرف باسم عصر ملوك الطوائف.

2. ملوك الطوائف:

ضاعت وحدة الأندلس عندما سقطت الخلافة الأموية وتمزقت البلاد إلى إمارات صغيرة مثل قرطبة وإشبيلية وغرناطة وملقا وبطليوس وطليطلة وسرقسطة وغيرها. وانتهز الإسبان المسيحيون هذه الفرقة فصاروا يهاجمون الثغور الأندلسية لطرد المسلمين منها.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

بطاقة تفكير

استعرض أهم الأحداث السياسية التي مرت بها المنطقة العربية بعد القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي وآثارها.

3. مملكة غرناطة في الأندلس:

استقلت مملكة غرناطة في كيان خاص بها منذ أن بدأ الضعف يسري في دولة الموحدين عقب هزيمتها في معركة العقاب عام (609 هـ/ 1212 م) كما ذكرنا. وعلىٰ أثر هذه الهزيمة زحفت القوات الإسبانية من مملكة الكاستيل علىٰ غرناطة، وفرضت عليها التبعية الإسمية عام (644 هـ/ 1246 م).

حاولت مملكة غرناطة العربية الإنعتاق والتحرر من النفوذ الإسباني محافظة علىٰ كيانها المستقل وعلىٰ نفسها من الإنصهار في المجتمع الإسباني الجديد الذي كان يسعىٰ للقضاء علىٰ الوجود العربي بالأندلس آنذاك. وعاشت هذه المملكة أكثر من قرنين من الزمان (644 – 898 هـ/ 1246 – 1492 م) بفضل استراتيجيتها للبقاء منها:

1. الإستنجاد بالمرينيين حكام المغرب الأقصىٰ بين حين وآخر.
2. الإتصال بأعداء مملكة الكاستيل من الإسبان المعارضين والتنسيق معهم.
3. الإعتماد علىٰ القدرات المحلية في الدفاع عن نفسها.

ولم تنقطع هجمات وتهديدات الإسبان علىٰ هذه المملكة العربية، إذ هاجموا جنوب الأندلس وحاصروا جبل طارق واستولوا علىٰ مدينتي الجزيرة وطريف. ولكنهم لم يتمكنوا من الإستيلاء علىٰ جبل طارق بسبب انتشار مرض الطاعون عام (750 هـ/ 1349 م) الذي مات فيه (ألفونسو السادس) قائد الحملة.

وقد حاول ملك غرناطة العربي محمد الثاني (672 – 702 هـ/ 1273 – 1302 م) التخلص من التبعية للإسبان بطلب النجدة من بني مرين بالمغرب الأقصىٰ، إلا أن ذلك لم يحل دون تدخل ملوك الكاستيل الإسباني في مملطة غرناطة إثر استعانة أحد الأمراء وهو الملك الناصر ضد منافسه علىٰ العرش إسماعيل بن فرج الذي استعان بالعرب المغاربة من بني مرين. وقد تمكن الأخير من هزيمة الناصر ومن معه من الإسبان.

وبالرغم من استعادة العرب نفوذهم لبعض الوقت إلا أن تجدد الصراع بين

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الأمراء دفع الملك هنري الثالث التدخل من أجل السيطرة علىٰ غرناطة إلا أنه مات عام (809 هـ/ 1406 م) دون أن يتحقق له ما أراد.

ولقد جاء الموقف في غرناطة بعد ذلك لصالح العرب حيث نعمت مملكة غرناطة العربية بالهدوء النسبي استمر من عام (806 هـ/ 1406 م) إلىٰ عام (859 هـ/ 1454 م) وذلك علىٰ أثر صراعات مذهبية وسياسية.

لقد كانت الانقسامات السياسية وسوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية قد خيّمت علىٰ الوطن العربي بمشرقه ومغربه في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي (855 – 906 هـ/ 1451 – 1500 م) فامتدت آثارها إلىٰ الأندلس عامة وغرناطة بصفة خاصة، فكان الصراع الذي قام بين أمراء بني الأحمر آخر ملوك غرناطة سببا مباشرا في ضياع مملكتهم وضياع الملك العربي في الأندلس بعد أن استمر حوالي ثمانية قرون (93 – 898 هـ/ 711 – 1492 م). وقد حاول أبو عبد الله محمد الوقوف ضد الجيوش الإسبانية المهاجمة لغرناطة عام (887 هـ/ 1482 م) إلا أنه وقع في أسرهم واستعاد ولده عرشه وتنازل عنه لأخيه محمد الثاني عشر عام (890 هـ/ 1485 م) وهو الملقب بـ محمد الزغل.

ختاما: قامت قوات (فرديناند) وزوجته (إيزابيلا) اللذين توحدا في مملكة واحدة بالزحف علىٰ غرناطة وبالرغم من فك أسر أبي عبد الله وتزويده بالسلاح ومطالبته بحرب شقيقه محمد الثاني عشر لاستعادة ملكه، فإن مكاسب الحرب كانت دون منازع للإسبان إذ سقطت غرناطة نهائيا عام (898 هـ/ 1492 م)، وبسقوطها كانت نهاية الوجود العربي الإسلامي بالأندلس نهاية لمجدهم وحضارتهم التي شهد لها العالم أجمع. أما مصير أبي عبد الله المتعاون مع العدو الإسباني فكان النفي أولاً، ثم الطرد من الأندلس نهائيا إلىٰ المغرب متحسرا علىٰ ملك أجداده وعلىٰ تآمره مع الأعداء.

- **سقوط غرناطة وإخراج العرب والمسلمين من الأندلس:**

بعد هزيمة الموحدين في موقعة العقاب انسحبوا إلىٰ المغرب. وحاول بنو مرين القيام بنفس الدور الذي قام به الموحدون إلا أنهم لم يوفقوا، وتقدم الإسبان في اتجاه مدن الأندلس، واستولوا عليها واحدة بعد الأخرىٰ، ولم تبق في أيدي المسلمين إلا مدينة غرناطة التي ظلت الإمارة الإسلامية الوحيدة ببلاد الأندلس لمدة قرنين من الزمن، وأمراؤها يسالمون ويحالفون ويستنجدون بإخوانهم المسلمين في المغرب والمشرق.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

وكانت غرناطة تمثل مركزاً منيراً للحضارة الإسلامية، ومن حوله ظلمة الشعوب المسيحية المتخلفة. وقد أدركت المنفعة التي يحققها وجود غرناطة بينهما.

وعندما اتحدت مملكتا قشتالة وأوغون وجهتا لغرناطة الضربة القاضية واستولوا عليها سنة (898 هـ/ 1492 م). ونتج عن استيلاء الإسبان علىٰ مدينة غرناطة اضطهاد المسلمين بالأندلس، فعُذِّبوا وشُرِّدوا. وكان طبيعيّاً أن يهاجر من استطاع خوفاً علىٰ دينه وحرصا علىٰ حريته واستمرت هجرة مسلمي الأندلس إلىٰ أوائل القرن السابع عشر الميلادي، ولم يبق من المسلمين بها إلا القليل.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

دولة الحفصيين (المغرب الأدنى) (604 - 984 هـ/ 1207 - 1576 م):

ينتسب الحفصيون إلىٰ أبي حفص عبد الواحد عمر الهنتاتي (604 – 625 هـ/ 1207 – 1228 م)، وهو صاحب ابن تومرت أمير الموحدين ومحل ثقته لذلك فقد عينه علىٰ ولاية تونس عام (604 هـ/ 1207 م). ويعتبر العديد من المؤرخين تاريخ الدولة الحفصية امتدادا لتاريخ دولة الموحدين بالرغم من أن الخليفة الحفصي أبا زكريا يحي الأول (625 – 647 هـ/ 1228 – 1249 م)، قد أعلن رسميا الإستقلال عنها في عام (635 هـ/ 1237 م) بحجة أن زعيم الموحدين آنذاك قد خرج عن مبادئ ابن تومرت التي قامت عليها دولة الموحدين. والجدير بالذكر أن "الدولة" الحفصية هي امتداد للموحدين وقد نجحوا في بسط سيطرتهم علىٰ عدة مدن قسنطينة وأغلب مدن شرق الجزائر (الحالية)، إلا أن الحكام الحفصيين استقلوا عن الدولة الموحيدية.

اهتم الحفصيون بالحياة الاقتصادية فعقدوا اتفاقيات اقتصادية وتجارية مع جمهورية البندقية الإيطالية عام (629 هـ/ 1231 م) ومع جمهورية بيزا الإيطالية عام (632 هـ/ 1234 م) ومع جمهورية جنوا الإيطالية عام (634 هـ/ 1236 م) وأقاموا علاقات دبلوماسية مع العديد من الدول الأوروبية.

وقد بلغت دولة الحفصيين قمة مجدها أيام أبي عبد الله محمد الملقب بالمستنصر الأول (647 – 676 هـ/ 1249 – 1277 م) الذي بذل جهدا كبيرا في سبيل تطوير الدولة داخليا وأهم ما تحقق في عهده:

1. اعتراف مناطق عدة في بلاد المغرب بحكم الحفصيين والتبعية لهم.
2. اعتراف شريف مكة بسلطان الحفصيين عام (657 هـ/ 1259 م).
3. اعتراف سلطان المماليك بمصر والشام الظاهر بيبرس بسلطان الحفصيين عام (658 هـ/ 1260 م).
4. الانتصار علىٰ حملة القديس لويس التاسع الفرنسية علىٰ تونس عام (668 هـ/ 1270 م).

ومن المعروف أن لويس التاسع الفرنسي هذا كان قد أسرته القوات العربية في مصر عام (648 هـ/ 1250 م) أثناء حملته الصليبية علىٰ المنصورة بمصر، تم الإفراج عنه عندما قدمت زوجته الفدية وغادر مصر معلنا بأنه تلقي درسا، ولن يشارك في أي عدوان علىٰ العرب والمسلمين نظرا للمعاملة الحسنة التي تمتع بها أثناء أسره. ولكنه بمجرد أن

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

عاد إلىٰ فرنسا أعد حملة صليبية جديدة ضد السواحل التونسية والدولة الحفصية بها عام (668 هـ/ 1270 م) ولكنه قتل هو وجنوده بفعل مرض الطاعون الذي انتشر بينهم وكانت هزيمة هذه الحملة نصرا للدولة الحفصية حيث ارتفع مكانها عاليا في ذلك الوضع السيئ بالوطن العربي آنذاك.

وبالرغم من هذه الجهود فإن الأحوال السياسية والاقتصادية قد تردت بمجرد وفاة المستنصر الأول عام (676 هـ/ 1277 م) فسادت البلاد حالة من الفوضىٰ استمرت حوالي 40 سنة حكم خلالها أحد عشر سلطانا حفصيا من عام (676 هـ/ 1277 م) إلىٰ عام (717 هـ/ 1317 م) إلىٰ أن تمكن السلطان الحفصي أبو بكر عام (718 – 746 هـ/ 1318 – 1346 م) من إعادة الهدوء وتوحيد البلاد والقضاء علىٰ الفوضىٰ وتنشيط الاقتصاد الحفصي ببلاد إفريقيّة. عاشت الدولة الحفصية أزهىٰ فتراتها التاريخية في الفترة الممتدة من (772 – 894 هـ/ 1370 – 1488 م) والتي امتدت مدة 118 سنة، حكم خلالها ثلاثة من سلاطين الحفصيين هم علىٰ التوالي: أبو العباس أحمد الثاني (772 – 797 هـ/ 1370 – 1394 م) وعبد العزيز أبو فارس (797 – 838 هـ/ 1396 – 1434 م) وأبو عمر عثمان (838 – 898 هـ/ 1424 – 1494 م) وتمكن هؤلاء الثلاثة من إعادة مجد الدولة الحفصية مثل ما كان عليه زمن المستنصر الأول خاصة بعد نجاح الاصلاحات الداخلية شهدت تونس نهضة في شتىٰ المجالات الحياتية العلمية والثقافية وحتىٰ العمرانية كان روادها المسلمون النازحين من الأندلس.

أما علىٰ الصعيد الخارجي، فقد أصبحت طرابلس الغرب تابعة للحفصيين بالإضافة إلىٰ مدينة بسكرة والجزائر بالمغرب الأوسط (الجزائر). كما اعترف بنو مرين بالمغرب الأقصىٰ (مراكش) بالتبعية للحفصيين عام (828 هـ/ 1424 م).وشهد العهد الحفصي أيضاً نشاطا كبيرا في المجالات الدبلوماسية والتجارية والاقتصادية والبعثات العلمية القادمة من كل من مصر ومكة وغرناطة ومن معظم الدول الأوروبية وخاصة الجمهوريات الإيطالية التي كان لها نشاطا تجارياً بحرياً ملحوظاً مع تونس في ذلك الوقت.

لكن لم تستطع الدولة الحفصية المحافظة علىٰ كل هذه المكتسبات والانجازات بعد عهد أبي عمر عثمان المتوفي عام (892 هـ/ 1488 م) فانهار مركزها الدولي. وسادتها الفوضىٰ، وتعرضت للغزو الصليبي الأوروبي، شنّت مدينة جنوة الإيطالية هجوما

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

استهدف جزيرة جربة كذلك الغزوات الصليبية الفرنسية المتكررة، والهجمات الإسبانية المتلاحقة عقب سقوط غرناطة عام (898 هـ/ 1492 م) التي كشفت عن المطامع الإسبانية واستمرت من عام (915 هـ/ 1509 م) حتىٰ عام (984 هـ/ 1576 م) عند دخول القوات العثمانية الإسلامية الناشئة طرفا فيها. وانتهىٰ الأمر بسقوط الدولة الحفصية وسيادة الحكم العثماني علىٰ تونس وبدأ التاريخ الحديث لهذه الدولة.

ومن الملاحظ أن حدوث الإنقسام والتجزئة بالمغرب العربي عامة والصراع الحفصي الدّاخلي علىٰ وجه الخصوص قد أثر تأثيراً مباشراً علىٰ وحدة الوطن العربي وأوجد فرصة للغزو الأجنبي. ولقد حاولت دولة بني مرين بالمغرب الأقصىٰ إعادة الكرة لتوحيد المغرب العربي علىٰ منوال ما عمله المرابطون والموحدون إلا أن هذه المحاولة باءت بالفشل أيضاً.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

أ) دولة بني عبد الواد الزيانيين (المغرب الأوسط) (633 - 962 هـ/ 1235 - 1554 م):

التعريف بهم: ينتسب بنو عبد الواد إلىٰ قبيلة زناته المشهورة في بلاد المغرب والتي لعبت دورا أساسيا في تاريخ هذه المنطقة السياسي والاقتصادي.

وكان بنو عبد الواد علىٰ علاقة طيبة بالموحدين عند ظهورهم ببلاد المغرب فتعاونوا معهم لإرساء دعائم دولتهم.

أهمية تلمسان:

الأمر الذي دفع الموحدين إلىٰ إسناد حكم مدينة تلمسان الجزائرية المشهورة اقتصاديا وثقافيا واستراتيجيا إلىٰ بني عبد الواد حلفائهم، وذلك لغرض السيطرة علىٰ طريق التجارة الهام وللقضاء علىٰ الفتن والاضطرابات بالمغرب الأوسط (الجزائر)، حتىٰ تتمكن قيادة دولة الموحدين من إنجاز المهام الصعبة الأخرىٰ والمتمثلة في العبور إلىٰ الأندلس ونجدة العرب والمسلمين بها.

الصراع بين القوى المختلفة للسيطرة على تلمسان:

ومن المعروف أن مدينة تلمسان تقع ما بين الساحل والصحراء وبذلك اكتسبت موقعا هاما تصارع من أجل السيطرة عليها قوىٰ مختلفة منها:

1. بنو عبد الواد سكانها الأصليون المسندون بقوة الموحدين.
2. بنو حفص بتونس الراغبون في توسيع ملكهم غربا إلىٰ تلمسان.
3. بنو مرين بالمغرب الأقصىٰ والذين تكررت هجماتهم علىٰ تلمسان.
4. بدو وهران المغيرون علىٰ تلمسان للنهب والسلب.

وهذا الموقع جعل من تلمسان ميدانًا مستمراً للقتال مدة زادت عن القرنين من الزمان، الأمر الذي جعل سيادة بني عبد الواد ومن بعدهم بني زيان غير مستقرة بالرغم من استمرارها.

وتقع تلمسان عند تقاطع طريقين تجاريين هامين بالشمال الإفريقي أكسباها أهمية خاصة وهما:

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

1. الطريق الممتد من غانا عبر الصحراء شمالا إلىٰ تلمسان ومنها إلىٰ الساحل علىٰ المتوسط عند ميناء وهران وميناء هنيان فالبحر المتوسط نحو أوروبا وجزر المتوسط.
2. الطريق الممتد من فاس غربا إلىٰ شرق الجزائر وتونس عبر تلمسان متقاطعا مع الطريق السابق.

وكانت تجارة القوافل تتخذ من تلمسان عبر هذين الطريقين مركزاً لتصريف المنتجات وللراحة والتموين وكانت تعج بالتجار الأوروبيين والأفارقة والعرب علىٰ مدار السنة.

وقد اكتسبت دولة بنو عبد الواد ومدينة تلمسان منذ أن استعان بهم الموحدين عام (633 هـ/ 1235 م) حتىٰ عام (767 هـ/ 1359 م) وبعد ذلك انتهىٰ دورهم السياسي وبقي نفوذهم إسميًّا في المناطق الداخلية حتىٰ عام (962 هـ/ 1554 م) عندما خضعوا للحكم العثماني.

ولقد نجح بنو عبد الواد في اتباع سياسة التوازن بين المناطق الواقعة شرقهم وغربهم وخاصة عقب سقوط دولة الموحدين وانقسام بلاد المغرب إلىٰ كيانات سياسية إقليمية. وبهذه السياسة حافظوا علىٰ دولتهم وساهموا في التنمية الاقتصادية والثقافية ونشر الإسلام بمناطق جنوب الصحراء وسط القبائل الإفريقية الوثنية.

وعندما زادت أطماع بني مرين في تلمسان لم يستطع بنو عبد الواد حمايتها. فكانوا أحيانا ينسحبون نحو الصحراء جنوبا وأحيانا يميلون إلىٰ الطرف المنتصر ولكن أطماع بني مرين لم تعط الفرصة لبني عبد الواد للتصرف عندما اكتسحت تلمسان واستولت عليها منتصف القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي.

ظهور بنو زيان علىٰ مسرح الأحداث في بلاد المغرب الأوسط.

الزيانيون هم بنو عمومة لبني عبد الواد، ويعتبر حكمهم في تلمسان امتدادا لحكم بني عبد الواد.

ففي عام (761 هـ/ 1359 م) استطاع أبو حمو الثاني (761 – 792 هـ/ 1359 – 1389 م) أن يحرر تلمسان من نفوذ بني مرين، وأن يعيد لدولة تلمسان مجدها السابق ودورها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي فترة من الزمن وأصبحت بذلك حاضرة المغرب

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الأوسط، إلا أن ازدياد الأطماع والهجمات الأوروبية على السواحل الإفريقية الشمالية علاوة على تدهور التجارة عبر الصحراء عن طريق تلمسان الأمر الذي أفقدها موردا هاما كان وجوده ضروريا للإنفاق على الوضع الثقافي والإستقرار السياسي واستمالة القبائل لمنع حدوث الاضطرابات وضمان سير تجارة القوافل دون عوائق.

وعندما سقطت غرناطة بالأندلس عام (898 هـ/ 1492 م) نشطت الحملات الصليبية الإسبانية على الشواطئ المغربية، ونجح الإسبان في احتلال العديد من المدن الجزائرية، مما أثار السكان العرب المسلمين واعتبروا ذلك مقدمة للوجود الإسباني في المنطقة واحتمال تعرضها لمثل ما جرى لإخوانهم في الأندلس، ورأوا أن يستعينوا بالقوة الإسلامية الناشئة في البحر المتوسط وهي الدولة العثمانية التي فرضت حمايتها على السواحل الجزائرية عام (922 هـ/ 1516 م) وبذلك انتهى حكم الزيانيين.

ب) دولة بني مرين في بلاد المغرب الأقصى (668 - 870 هـ/ 1269 - 1465 م)

- التعريف بهم:

نسب المرينيون إلى قبيلة زناتة المغربية، نجحوا في مطلع القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي في اقامة كيان سياسي على إثر سقوط دولة الموحدين.

مهد زعيمهم أبو يحيى عبد الحق لإقامة دولة قوية فأحكم سيطرته على مدينتي فأس ومكناس واتخذهما قاعدتان للانطلاق نحو بقية بلاد المغرب الأقصى لبسط نفوذه السياسي على حساب الدولة الموحدية التي بدت تتهاوى سلطتها على العديد من المدن المغربية، ولكنه مات دون أن يتمكن من تحقيق هدفه.

يعتبر الأمير أبوسيف يعقوب (668 – 685 هـ/ 1269 – 1286 م) المؤسس الحقيقي لدولة بني مرين وإنهاء سلطة الموحدين في عاصمتهم مراكش.

- بنى مرين والأندلس:

سار الأمير على نهج حكام بلاد المغرب الأقصى المرابطين والموحدين وقام بنقل معركته الحقيقية إلى الأراضي الأندلسية بغية وضع حد لتهديد الإسبان لها.

فقد قاد أربع حملات ضدهم طيلة هذه السنوات (674 هـ/ 1275 م)، (676 هـ/

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

1277 م)، (681 هـ/ 1282 م)، (684 هـ/ 1285 م)، كما استغل الصراع الدائر بين الفونسو العاشر ملك مملكة الكاستيل الإسباني مع ابنه سانكو برافو، وتحالف مع الفونسو لإضعاف قوة سانكو الذي كان يشكل خطر حقيقي علىٰ المسلمين بالأندلس.

وفي عهد ابنه يوسف بن يعقوب (685 – 770 هـ/ 1286 – 1307 م) قاد حملة إلىٰ بلاد الأندلس(691 هـ/ 1291 م)، غير أن شكوك محمد الثاني سلطان غرناطة في نوايا بني مرين حالت دون تحقيق أي انتصار ففضل ترك الأندلس لمصيره والرجوع لبلاده.

سعىٰ السلطان يوسف بن يعقوب المريني إلىٰ ضم بلاد المغرب فقاد حملة إلىٰ تلمسان بالجزائر سنة 1307 م، وحاول استمالة بني حفص في تونس فاعترف بالتبعية الإسمية للحفصيين بتونس.

وفضل السلطان أبو سعيد عثمان اتباع سياسة المهادنة والمصالحة مع جيرانه في بلاد المغرب الأوسط والأدنىٰ، مما ساهم في انتعاش الحياة الاقتصادية وتوثيق الصلات الثقافية بينهم.

ويعتبر السلطان المريني أبو الحسن علي (721 – 752 هـ/ 1331 – 1351 م) أقوىٰ سلاطين الدولة المرينية، فقد تمكن من مد يد العون لسلطان غرناطة محمد الرابع ضد أمراء الكاستل الإسبان وقد حقق هذا التحالف أهدافه حيث تم هزيمة الأسطول الإسباني سنة (741 هـ/ 1340 م) ومحاصرة الإسبان في مدينة طريف.

وكاد هذا التحالف بين بني مرين وملوك غرناطة يؤتي ثماره لولا الخلاف الذي وقع بينهما حول ملكية الموانئ علىٰ شاطئ الأندلس مما دفع ببني مرين إلىٰ الانسحاب نهائيا من الأندلس وترك الأندلسيين يصارعون الإسبان لوحدهم إلىٰ أن سقطت غرناطة سنة (898 هـ/ 1492 م).

- **مظاهر الحضارة المرينية:**

عرفت الدولة المرينية تطورا عمرانيا وثقافيا، فبنىٰ المرينيون مدن جديدة كفاس الجديد وتطاوين والمنصورة بالمغرب والبُنيَّة بالأندلس، كما اهتموا ببناء المدارس والمارستانات والمساجد والأربطة والمؤسسات الوقفية المختلفة.

واستحدث المرينيون نظم إدارية وعسكرية، كمشيخة الغزاة، وبرز في عصرهم كبار الرحالة أمثال ابن بطوطة، وابن رشيد السبتي، والعبدري، والتجيبِي.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

ضعف دولة بني مرين: اضطربت الحياة السياسية وعمت الفوضىٰ في أرجاء الدولة مما انعكس سلبا علىٰ الحياة الاقتصادية.

تعرضت فيها دولة بني مرين لهجمات الأساطيل الأوروبية وفي مقدمتها الأسطول الإسباني (دولة قشتالة) والأسطول البرتغالي الذي تمكن من الاستيلاء علىٰ مدينة سبتة سنة (818 هـ/ 1415 م).

وقد تصادف مقتل السلطان أبي سعيد المريني (823 هـ/ 1420 م) فقام الوطاسيون وهم فرع من بني مرين بالسيطرة علىٰ الحكم، وآثر بنو مرين الانسحاب جنوبا بعيدا عن مراكش التي خضعت للدولة الوطاسية.

• انتشار الإسلام في شرق إفريقيا:

عرفنا فيما سبق أن العلاقة كانت قوية بين شرق إفريقيا والجزيرة العربية وامتدت في جذورها إلىٰ قرون عدة قبل ظهور الإسلام.

ويلاحظ أن انتشار الإسلام لم يتم في المنطقة عن طريق الفتح ولكنه تسرب سلميًا عن طريق التجار والعلماء والدعاة، وأدىٰ ذلك إلىٰ تداعيات وتوابع منها الإرتباط الاجتماعي التلقائي بالتعايش والزواج وغيره من الروابط والمصالح الحياتية وقد جاء هذا التسرب السلمي للإسلام عن طريقين:

1. الطريق البري الذي ينحدر من مصر عن طريق ساحل البحر الأحمر مخترقة ديار قبائل البجة) ومتجهة إلىٰ ساحل إرتيريا وبقية شرق إفريقيا.
2. الطريق البحري المتصل بجزيرة العرب إما عن طريق باب المندب أو عن طريق المحيط الهندي.

وأدىٰ سلوك الطريق الأول إلىٰ الاهتمام بقبائل (البجة) وبأرضهم والهجرة إلىٰ هذه المنطقة من قبل بعض تجار العرب من ربيعة وجهينة وأقاموا بها إقامة دائمة كما وصلت إليها عناصر عربية مسلمة أخرىٰ مثل قبائل قيس عيلان وغيرها واختلطت بأهلها، وعن طريقها بدأ الإسلام ينتشر بين البجة والأعفار (الدناقل) والصوماليين.

أما الطريق الثاني، وهو البحري فقد سلكه التجار العرب مباشرة إلىٰ شرق إفريقيا حيث أقاموا مراكز تجارية ساعدت علىٰ انتشار الإسلام، وأهمها مدن سواكن وباضع

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

وزيلع وبربرة ومقديشو. وقد أصبحت هذه المدن الساحلية مراكز مهمة لنشر الإسلام، إذ قام التجار المسلمين بفتح المدارس والمساجد والكتاتيب أمام سكان هذه المدن لتلقّي العلوم الشرعية وغيرها من صنوف المعرفة، وإرسال الطلاب المتفوقين إلىٰ القاهرة ودمشق إتمام تعليمهم.

ولم تتوقف هذه الهجرات والصلات بل استمرت في تدفقها إلىٰ الساحل الشرقي لإفريقيا، ومعها كان الإسلام يتسرب وينمو سلميًا ويرجع ذلك لأسباب عدة لعل من أهمها:

1. ارتباط الإسلام بالعلم إذ عمل التجار والعلماء علىٰ فتح المدارس وإنهاء الجهل والقضاء عليه ووجد الأفارقة فيه غايتهم كما لاحظوا عدم وجود هوة بين المعلم والمتعلم
2. نبذت التعاليم الإسلامية التفرقة العنصرية بين الناس، فالجميع متساوون في الحقوق والواجبات ولا فرق بينهم.

وقد ساهمت هذه المبادئ الإسلامية في غرس روح التألف والتعضد بين المسلمين في إفريقي، وشعر الأفارقة وخاصة المناطق التي شهدت قيام مماليك إسلامية في سواحل شرق أفريقيا بصدىٰ الوحدة الإسلامية التي جمعتهم بإخوانهم في كافة الأمصار الإسلامية، ففتحت أبوابها لطلاب العلم القادمون إليها من أفريقيا لتلقي العلوم في الأزهر الشريف وفأس جنبًا إلىٰ جنب مع غيرهم من العلماء المسلمين.

وهكذا انتشر الإسلام في شرق إفريقيا سلميًا عن طريق الجهود الفردية أو عن طريق التجار وأصبح هذا الساحل الطويل يمثل تواجدًا إسلاميًا كبيرًا منذ ظهور الإسلام وإلىٰ اليوم.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

دور العرب في نشر الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء:

بعد أن تم فتح شمال إفريقيا بكامله ودخول أهله أفواجًا متتالية في الإسلام، واستقرت الأمور فيه، قويت العلاقات التي كانت سائدة بين شمال إفريقيا والمناطق الواقعة إلىٰ جنوبه، وبدأت المبادئ والأهداف الجديدة التي حملها الإسلام معه تتسرب إلىٰ هذه المناطق بعدة طرق لعل من أهمها:

1. **الدعاة العرب والمسلمون** الذين كانوا يصاحبون القوافل التجارية في اتجاه الجنوب وأهم هذه الطرق التجارية:
   أ) الطريق من تلمسان إلىٰ تمبكتو علىٰ نهر النيجر في السودان الغربي.
   ب) الطريق من تونس وطرابلس عبر غدامس إلىٰ كانو بالسودان الأوسط (نيجيريا).
   ج) الطريق من طرابلس إلىٰ كانم – برنو حول بحيرة تشاد.
   د) الطريق من مصر إلىٰ السودان.

وقد استطاع هؤلاء الدعاة والتجار عن طريق احتكاكهم بأهالي المناطق التي كانوا يتبادلون التجارة معها أن يؤثروا فيهم بسلوكهم وتعاملاتهم وأخلاقهم، خاصة عندما فتح بعض التجار المدارس التي تقوم بتعليم الناس والاهتمام بهم، ومساعدتهم في التغلب علىٰ مشاكلهم.

وقد لعبت المراكز التجارية التي أنشاها العرب المسلمون علىٰ سواحل البحر الأحمر والمحيط الهندي مثل سواكن وزيلع وبربرة ومقديشو وغيرها من المدن دورا مهما في تسريب الاسلام ونشره في المناطق الشرقية ودواخل القارة.

2. **الطرق الصوفية:**

ساهمت الطرق الصوفية بدور كبير في انتشار الإسلام ومن أهمها:

- **القادرية:**

نسبة إلىٰ عبد القادر الجيلاني (471 – 561 هـ/ 1078 – 1165 م) التي انتشرت في أجزاء متفرقة من المنطقة ووصل دعاتها إلىٰ مدينة تمبكتو في مالي حيث أخذوا في نشر الإسلام في غرب إفريقيا. وقد أتخذ دعاتها مدينة تمبكتو مركزة لنشر الإسلام في هذه المناطق.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

وكان من مبادئ هذه الطريقة أن الجهاد واجب لنشر الإسلام وقد كان لها فضل كبير في نشر الإسلام والقضاء على الوثنية في السنغال وحوض النيجر الأعلى.

وقد أدى هذا التواصل بين التجار والدعاة والسكان المحليين القاطنين جنوب الصحراء إلى إلتقاء ثقافي وصياغة ثقافة محلية ترتبط بالثقافة الإسلامية، وهو نفس ما يحدث بين الحضارات الإنسانية عموماً حينما تلتقي وتختلط وتتبادل التأثيرات وقد مر هذا التمازج الحضاري بمرحلتين:

- مرحلة ازدواج الثقافات، الثقافة الإسلامية بطابعها والثقافات المحلية.
- مرحلة الاندماج الكامل عندما زاد عدد الداخلين في الإسلام وتعلموا اللغة العربية. وهذه المرحلة تتضح في إفريقيا باكتمال الدعوة للإسلام وقيام السلطنات الإسلامية وعليها ملوك مسلمون يحكمون ورعية مسلمة.

وعليه فقد نشأت في إفريقيا جنوب الصحراء بيئات حضارية محلية، لِكُلِّ بيئة منها مقوماتها واتجاهاتها الخاصة، تجمعها في إطار واحد صفات إسلامية مشتركة تتمثل في وحدة اللغة والدين والمثل.

• دور تمبكت في نشر الإسلام في أفريقيا:

- **تمبكت:** تقع المدينة على مصب نهر النيجر وكانت تسكنها قبائل صنهاجة الملثمين ولمتونة وجدالة فكان لهم دور هام في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، حيث أنشأوا مراكز تجارية مثل أودغشت التي صارت مصدر إشعاع ديني وثقافي. وإضافة لقبائل زنجية ذات أصول متعددة، فأصبح سكانها مزيجًا بين العرب والأمازيغ والطوارق وقبائل السنغاي والفلان.

مارس سكان تمبكت عدة أنشطة اقتصادية كالتجارة والرعي وتربية المواشي والصيد وصناعة الزوارق.

عرفت مدينة تمبكت نهضة كبيرة في مطلع القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.

فقد أصبحت تمبكت العاصمة الثانية لإمبراطورية سنغاي واحتلت مكانة مرموقة في ميداني الاقتصاد والثقافة معًا، إلى جانب المرافق العامة حيث انتظمت شوارعها، وأحيطت المدينة بسور واق ومؤمن وقد احتوت في تلك الأثناء على ثلاثة مساجد كبيرة

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

ما لم يتهيأ لغيرها من كبريات مدن السودان الغربي. كان جامع سنكرئ الواقع في القسم الشمالي من مدينة تمبكت هو أقدم المساجد التي أقيمت في المنطقة. بنته سيدة فاضلة من الموسرات، ثم شيد جامع دنفرييراً وكان قد بناه في الأصل لكانكان موسئ سلطان مالي وهو من أهم زعماء إمبراطورية مالي، ثم ادخلت عليه تحسينات ووسعت مساحته مرتين خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي. وذلك ليتسع لجموع قاصديه من الطلبة والمصلين آنذاك وأخذت أسواقها طابعها الإسلامي، وشهدت تجارة القوافل نشاط كبير مما زاد من حركة التبادل التجاري.

هذا ولقد لعبت التجارة دورا مهما في نشر الإسلام والثقافة العربية في غرب أفريقيا فكانت أخلاق التجار المسلمين وما عرف عنهم من الأمانة والنظافة وحسن الخلق عاملاً في دخول الكثير من الأفارقة في الإسلام، وكان بعض التجار يجمع بين التجارة ونشر من خلال إقامة حلقات لتعليم القرآن الكريم.

وكان لفريضة الحج دوراً مهما في نشر الإسلام حيث حرص سلاطين الدول الإسلامية في غرب إفريقيا علئ أداء هذه الفريضة وكانت قبائل الهوسا من أحرص القبائل علئ أداء هذه فريضة.

ولقد توافد علئ غرب أفريقيا العديد من العلماء من مختلف الأقطار الإسلامية للتدريس في مدارس ومساجد تمبكت وجنئ ومالي وغيرها من حواضر غرب أفريقيا إحساسا منهم بواجبهم تجاه إخوانهم في هذه البلاد وأسهم هؤلاء في نشر الثقافة العربية والإسلامية.

- **دور السلطان أسكيا محمد في نهضة تمبكت:**

ينسب أسكيا محمد للبيت السنغاي والذي ارتقئ بالمدينة، فبلغت في عهده شأنا عظيماً، وهو من أبرز سلاطين هذا البيت، وكان راعياً للعلم والأدب، ثم انتقلت تمبكت بعد وفاة آخر سلاطين هذا البيت عام (935 هـ/ 1528 م) إلئ حكم مراكش.

- **دور التجار المسلمين في نشر العقيدة الإسلامية في أفريقيا.**

وصل الإسلام إلئ غرب أفريقيا عن طريق التجار الذين حملوا تعاليمهم وقيمهم الإسلامية ونشروها قبل حتئ أن ينقلوا سلعهم وبضائعهم.

تعرف علئ أهم المراكز الحضارية التي كان لها الفضل في نشر الإسلام.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

أسئلة تطبيقية

س1/ تتبع نشأة إمارة الأغالبة وما تعرضت له في تاريخها من ثورات ضدها؟

س2/ قام الأغالبة في إفريقية بدور مهم في البحر المتوسط. ناقش ذلك.

س3/ اذكر الأسباب التي دفعت عبد الرحمن بن رستم إلىٰ اتخاذ إمارة تاهرت عاصمة بالمغرب الأوسط.

س4/ اكتب مذكرات تاريخية وافية عن:

أ. قيام الدولة الفاطمية.

ب. علاقة بني زيري بالفاطميين.

ج. هجرة بني هلال ونتائجها.

د. دخول النورمان لمدينة طرابلس.

س5/ اذكر جهود المرابطين في دعم الأندلس.

س6/ كان سقوط دولة الموحدين نكسة للمغرب العربي كله. وضح ذلك.

س7/ عدد أعمال الخلفاء الأمويين في الأندلس.

س8/ ما الوسائل التي تم بها نشر الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الفصل السادس

المنطقة العربية منذ سقوط بغداد وحتى مجيء العثمانيين

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الفصل السادس: المنطقة العربية منذ سقوط بغداد وحتى مجيء العثمانيين
(656 – 922 هـ/ 1258 – 1516 م)

أولاً: حكم المغول في العراق

أ) الحكم المغولي في العراق (656 – 813 هـ/ 1258 – 1410 م):

تعتبر الفترة الواقعة بين عامي (656 – 813 هـ/ 1258 – 1410 م) هي الفترة التي سيطر فيها المغول على العراق، عقب إسقاطهم وقضائهم على الخلافة العباسية بدخولهم بغداد وقتلهم المستعصم آخر الخلفاء العباسيين بها. وقد كان المستعصم قد خرج بنفسه ليسلم عاصمته ومملكته إلى المغول نزولا على نصيحة ابن العلقمي.

وتشتمل هذه الفترة على مرحلتين:

1. مرحلة حكم المغول الإلخانيين (656 - 735 هـ/ 1258 - 1334 م):

ويقصد بكلمة (الإلخان) نائب الخان، والخان لقب تلقب به ملوك أو سلاطين المغول مثل (جنكيز خان) و(مانكو خان) وغيرهم، وهو الذي له السيادة على جميع ممالك المغول التي أسسها جنكيز خان.

ويعتبر هولاكو المؤسس للسلالة الإلخانية المغولية التي اتخذت من مدينة تبرز الفارسية عاصمة لها وهي واحدة من عدة سلالات انحدرت من جنكيز خان. وقد اقتصر حكم هذه السلالة على بلاد فارس والعراق وضمت لها مناطق من آسيا الصغرى في الأناضول وأرمينية.

وحكم هذه السلالة ينقسم بدوره إلى قسمين أساسين هما:

(أ) الحكم المغولي الخاني الوثني (656 - 681 هـ/ 1258 - 1282 م):

وهي الفترة التي كان فيها المغول على الديانة الوثنية. وتعتبر هذه الفترة من أسوأ الفترات في التاريخ العربي والإسلامي، إذ استباح المغول فيها بغداد وما حولها مدة سبعة أيام قتل خلالها الكثيرين واشتعلت النيران في القصور والمساكن ومقابر المسلمين،

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

وأحرقت المكتبات والأسواق. ودلّت معاملة هولاكو للخليفة العباسي المستعصم قبل قتله على مدى كراهية المغول المسلمين. وكان تحريض الصليبيين للمغول للانتقام من المسلمين قد بدا جليًّا من خلال المراسلات التي تمت بين الطرفين في محاولة لتنسيق الجهود ضد المسلمين والعرب.

وقد دفعت هذه الأعمال الإجرامية مؤرخ المغول والمؤرخ الرسمي لهولاكو (رشيد الدين) إلى أن يقول (إن الخليفة المستعصم العباسي وحاشيته قد ماتوا شهداء في سبيل الدين الإسلامي). وبالرغم من أن المغول خلال هذه المرحلة قد هزموا على يد المماليك في عين جالوت عام (658 هـ/ 1260 م) أي بعد سنتين من دخول بغداد وسقوط الخلافة العباسية وتراجعوا إلى داخل حدود العراق بعد أن طاردتهم قوات المماليك بالشام وأخرجتهم منها، فإن بقاءهم في العراق كان وبالا على الوطن العربي عامة وعلى العراق خاصة.

من آثار الغزو المغولي الوثني على المنطقة العربية:

1. انهيار الإدارة المدنية.
2. تضرر الزراعة والصناعة واضطراب الموارد الاقتصادية والمالية مما أدى إلى حدوث المجاعة وانتشار الأمراض وخاصة في أعقاب تحطيم قنوات الري وانتشار هجمات البدو.
3. فقدان مكانة العراق السياسية وغدت مقاطعة على الأطراف في إمبراطورية مغولية وثنية، مركزها بلاد فارس. كما فقد العراق أهميته الاقتصادية في نطاق التجارة بين الشرق والغرب. وانتقلت مراكز هذه التجارة إلى المناطق المجاورة خارج الوطن العربي في تركيا وفارس.
4. قضى المغول على وحدة الأمة، وبعد أن كان العراق مركز الخلافة ومقرها الروحي والسياسي، والذي كانت تنطلق منه دعوات الجهاد والتحرير والتضامن لصد العدوان الخارجي، أصبح تحت سيطرة فئة وثنية لا تعطي للدين أهمية ولا للحضارة احتراما، وخاصة وأن المغول كانوا لا يزالون رعاة بدو يستخفون بكل تقدم وتطور وتجديد ويتجاوزون كل قيم ونظام وقانون.

كما اتخذ المغول أرض العراق قاعدة لضرب بقية البلاد العربية في محاولة للإستيلاء عليها، ولولا انتصار المماليك في عين جالوت لكان للمغول شأن آخر في مصر

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

والشام وربما شمال إفريقيا. وفقاً لذلك، فإن هذه المرحلة كانت مرحلة تشتت وانقسام في الدولة الإسلامية، أدّت إلىٰ القضاء علىٰ مظاهر الحضارة الإسلامية التي شهدت ازدهاراًفي العصر العباسي.

(ب) الحكم المغولي الإلخاني المسلم (681 - 735 هـ/ 1282 - 1334 م):

في عام (682 هـ/ 1282 م) مات أبغا بن هولاكو زعيم المغول الإلخانيين، وبموته انتهىٰ عهد خانات المغول المتشددين ضد المسلمين، ذلك أن الخان المغولي (نكودار) (681 – 683 هـ/ 1282 – 1284 م) الذي سعت الكنسية الأوروبية إلىٰ تنصيره طمعا في التحالف معه ضد المسلمين قد مال إلىٰ الإسلام ورغب فيه. فما أن تولىٰ العرش حتىٰ أعلن إسلامه رسميا واتخذ لنفسه إسم أحمد بدلا من نيقولا وهو الإسم الذي أسمته به الكنيسة، وتلقب بـ(السلطان).

وقد بدأ علاقته الخارجية بأن أرسل موفدا إلىٰ القاهرة يطلب عقد معاهدة صداقة مع السلطان المملوكي (قلاوون) وقال في عرضه (إنه يؤكد إسلامه، واهتمامه بناء المساجد والمدارس والأوقاف، وعنايته بتجهيز الحجاج)، كما دعا المماليك إلىٰ توحيد الكلمة وإخماد الفتنة وإيقاف الحرب الدائرة بينهما.

وفي آواخر العصر الوسيط بعد سقوط بغداد في أيدي المغول، ظهرت العديد من الكيانات السياسية التي استطاعت أن تفرض سيطرتها علىٰ أجزاء مهمة من بلاد المشرق الإسلامي وامتدت حتىٰ وصلت إلىٰ شمال العراق، وكانت تشكل خطر حقيقي علىٰ الوجود المملوكي في بلاد الشام وحتىٰ مصر.

وفي تلك الأثناء انتهز المغول حالة عدم الاستقرار التي شهدتها العراق وقاموا بتأسيس دولة مغولية متعاقبة منه: المغول الجلائريين (704 – 813 هـ/ 1334 – 1410 م).

تيمورلنك

ومن أشهر الشخصيات تيمورلنك الذي ظهر في مدينة سمرقند الإسلامية ببلاد ما وراء النهر في أواخر القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي عام (771 هـ/ 1369 م)، لُقِبَ بالأعرج لإصابته في الحرب، وكان قد تمرد علىٰ أتباعه حكام مغولستان وأعلن نفسه حاكما مستقلا ثم بدأ التوسع فأخضع بلاد فارس والقفقاس ثم احتل العراق علىٰ النحو الذي ذكرنا.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

ويعتبر عهد تيمورلنك من أسوأ العهود قسوة وعنفا. فقد عامل كافة رعايا الدول التي اجتاحها معاملة قاسية، وقد بالغت المراجع في ذكر حوادث القتل الجماعي ودفن الناس أحياء وتحدثت كثيرا عن حالات التشريد والمصادرة وغيرها.

نجح هذا المغامر في احتلال خوارزم وشمال الهند، كما دخل دمشق عام (803 هـ/ 1400 م) واصطدم بها مع قوات عثمانية في معركة أنقرة عام (805 هـ/ 1402 م) التي تعرض خلالها العثمانيون لهزيمة نكراء كادت أن تعصف بدولتهم الناشئة. وهدد وجوده وانتصاراته العالم المسيحي المتمثل في الدولة البيزنطية في آسيا الصغرىٰ وما وراءها.

صفوة القول كان حكم الجلائريين عاملا من عوامل التفكك السياسي والتخلف الاقتصادي وانتشار حالة الرعب وعدم الأمان مما أثر علىٰ وحدة الوطن العربي عامة والمشرق العربي بصفة خاصة.

الدروس المستفادة

تعرضت المنطقة العربية لهجمة شرسة من قبل قوى أجنبية مغولية قادمة من أواسط آسيا ومسيحية قادمة من أوروبا.

ولاستيعاب هذه المرحلة الفاصلة علينا أن نتذكر:

- مراحل القوة التي عاشتها الدولة الإسلامية منذ عهد الرسول ﷺ وحتى سقوط بغداد.
- مراحل الضعف التي مرّت بها، وكان الصراع على السلطة والتكالب على المصالح الضيّقة هو أحد أسباب ضعف وتشتت القوة السياسيةفي كافة أرجاء الدولة الإسلامية.
- رغم النكسات الكبيرة التي مرت بها الأمة الإسلامية إلا أن دورها الحضاري كان قويًّا ومؤثِراً.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

ثانيًا: حكم المماليك في مصر والشام:

قامت دولة المماليك في مصر وشملت في نفوذها بلاد الشام وبعض الجهات الشمالية من العراق والجهات الجنوبية الشرقية من الأناضول وبلاد الحجاز وشمال السودان (بلاد النوبة) ومنطقة برقة بشرق ليبيا.

وقد قامت دولة المماليك على أنقاض الدولة الأيوبية بعد ما أسرع إليها الضعف بالرغم من أن هؤلاء المماليك كانوا حراسا وحماة للسلاطين الأيوبيين.

استعانت الخلافة العباسية بالمماليك في الدفاع عن سلطتها وفي إعادة سيادتها على الولايات التي انتزعت منها. وقد اتبعت الدولة الأيوبية سياسة العباسيين إذ كوّنت فرقًا عسكرية من المماليك التي اشترتهم ونسبت كل فرقة لمؤسسها. وكان الملك الصالح أيوب آخر سلاطين "الدول" الإيوبية قد أحاط نفسه بجيش جديد من المماليك سماهم المماليك البحرية نسبة إلى إقامتهم في جزيرة الروضة الواقعة على نهر النيل وصاروا قوة يحسب لها ألف حساب.

قيام دولة المماليك:

برزت دولة المماليك من خلال الصراع بين الملك الأيوبي طوران شاه ابن الملك الصالح أيوب وبين المماليك بزعامة زوجة أبيه المسماة (شجر الدر) وكانت هذه المرأة قد أخفت نبأ وفاة زوجها، الذي خرج لقتال الفرنسيين في الحملة الصليبية السابعة، حتى لا تؤثر على معنويات الجند أثناء المعركة، وخاصة أن ولي العهد طوران شاه لم يكن موجودا في مصر آنذاك.

وبعد الانتصار على الفرنسيين، وحضور ولي العهد الذي استلم الحكم من فوره، بدأ النزاع بينه وبين المماليك بسبب عزمه على تقليص نفوذهم في مصر. فقاموا بالثورة عليه وقتلوه بموافقة زوجة أبيه عام (648 هـ/ 1250 م) وكانت نهايته نهاية الدولة الأيوبية وقيام دولة المماليك.

تسلمت شجر الدر (التي كانت في الأصل جارية عباسية أهديت إلى الملك الصالح) مقاليد الأمور في مصر، وقد اعترض الخليفة العباسي المستعصم (صاحب السيادة الإسمية على مصر) وعلماء الدين على توليتها الحكم. ولحل المشكلة، تقرر

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

أن تتزوج هذه الملكة من أحد زعماء المماليك المشهورين ويدعىٰ (أيبك)، وتتنازل له عن السلطة.

وكان أيبك أول سلطان من سلاطين "دولة" المماليك التي حكمت منذ عام (648 هـ/ 1250 م) وحتىٰ سقوطها علىٰ أيدي العثمانيين عامي (922 – 923 هـ/ 1516 – 1517 م). ولقد تزامن قيام "دولة" المماليك مع سوء الأوضاع الاقتصادية والسياسية في الوطن العربي عامة والمشرق العربي علىٰ وجه الخصوص.

ففي عام (656 هـ/ 1258 م) سقطت بغداد في أيدي المغول وسقطت معها الخلافة العباسية.

ولقد قدر لدولة المماليك الناشئة أن:

1. تهزم جيوش المغول الجرارة في موقعة عين جالوت (658 هـ/ 1260 م) بعد أن مارس المغول شتىٰ أنواع القهر والتنكيل بالشعوب التي اجتاحوها ومنهم العرب. فكان لتلك الهزيمة أثرها في رفع الهمم والمعنويات في الوطن العربي والاسلامي.
2. تحصر المغول داخل حدود العراق وبلاد فارس وتضع حدا لعدوانه.
3. تقضي علىٰ بقايا الإمارات الصليبية وتفرض عليهم الجلاء من الأراضي المقدسة بالشام.
4. تصبح مدينة القاهرة في عهدهم مركزا ثقافيا هاما بعد سقوط بغداد.
5. تحافظ علىٰ تراث الخلافة العباسية الروحي وذلك بجعل مركزها القاهرة.
6. تقوم بدور نشط في التجارة الداخلية والذي بقي حتىٰ اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح.

لقد حاول السلطان أيبك مع زوجته شجر الدر القيام بإصلاحات داخلية وتأمين دولة المماليك من الداخل، وذلك بالقضاء علىٰ كل طامع في الحكم من بقايا الأمراء الأيوبيين وأمراء الولايات خارج مصر وغيرها.

وبالرغم من أن السلطان قطع شوطا لا بأس به في هذا المجال إلا أنه قتل مع زوجته شجر الدر عام (655 هـ/ 1257 م).

إثر ذلك قررت فرق المماليك إختيار سيف الدين قطز ليكون سلطانا "لدولة"

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

المماليك لما يتميز به من قوة شخصية ومهارة حربية وقدرة على القيادة، واضعين في الإعتبار الظروف الصعبة المحيطة بالدولة والتي تتطلب سلطانا وحاكما قويا مثل قطز، خاصة بعد أن ازدادت تهديدات المغول لمصر عقب سقوط بغداد عام (656 هـ/ 1258 م). وفي شهر أكتوبر من عام (657 هـ/ 1259 م).

تولّى قطز مقاليد حكم "دولة" المماليك بصفة رسمية. ويَعتبر العديد من المؤرخين بداية حكم السلطان قطز البداية الفعلية لحكم دولة المماليك. وقد تجسد هذا المعني في السرعة الفائقة التي واجه بها قطز طلائع المغول الزاحفة نحو مصر من الشام، فأرسل لمواجهتها قائده الظاهر بيبرس ثم لحق هو بها والتقى بالمغول في عين جالوت عام (658 هـ/ 1260 م) وهزمهم شر هزيمة.

وبالرغم من هذا الإنتصار العظيم على المغول وما ترتب عليه من ارتفاع صيت المماليك عاليا فإن الخلاف الذي حدث بين قطز وقائده بيبرس حول بعض القضايا، كان وراء تدبير بيبرس مؤامرة ضد قطز قضت باغتياله وهو عائد من الشام إلى مصر في أواخر عام (658 هـ/ 1260 م) وتولى بيبرس السلطة من بعده (658 – 666 هـ/ 1260 – 1277 م).

أدرك السلطان الجديد بيبرس أنه لا سبيل للاستمرار إلا بالحصول على ثقة الشعب والحصول على تأييده للحد من نفوذ الجماعات المملوكية. فبدأ يتقرب إليهم متخذا بعض الإجراءات مثل تخفيف الضرائب وتحقيق الإستقرار والأمان والإهتمام بالحياة الاقتصادية عن طريق تطوير الزراعة والقيام بمشروعات الري، وعن طريق التوسع في حرفة الصناعة وحماية التجارة وطرقها البرية والبحرية عقب القضاء على المعارضين والخارجين على سلطة الدولة. كما قام بيبرس بإطلاق سراح المساجين لزرع الثقة بينه وبين مواطنيه.

ولعل من الأعمال المهمة التي قام بها السلطان بيبرس هي محاولة إحياء الخلافة العباسية في القاهرة بدلا من بغداد بعد سقوطها في يد المغول عام (656 هـ/ 1258 م)وذلك بالبحث عن فرد من سلالة العباسيين واحضاره إلى القاهرة ليُنصب صوريًّا. وكان يهدف من ذلك إضفاء الشرعية على حكم المماليك الذين نُظِرَ إليهم على أنهم غير أحرار، إضافة إلى قطع الطريق على أي محاولة لعودة الخلافة العباسية الشرعية في أي مكان آخر، وخاصة أن محاولات بقايا الفاطميين الشيعية كانت تسعى لبعث خلافتهم من جديد.

كما عمل السلطان بيبرس على تأكيد الوحدة بين مصر والشام والعودة إلى

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

استئناف حركة الجهاد ضد بقايا الإمارات الصليبية بالشام التي كانت توقفت بسبب سقوط الدولة الأيوبية وظهور الغزو المغولي في الساحة. تحقق من خلال هذه الحركة تحرير العديد من المناطق العربية بالشام من يد الصليبيين وخاصة تحرير إمارة أنطاكيا عام (667 هـ/ 1268 م).

وقد توفي السلطان بيبرس عام (666 هـ/ 1277 م) تاركا أبناء يفتقرون إلىٰ الحكمة والقدرة علىٰ ممارسة الحكم. فتولىٰ من بعده الوَصي عليهم ويدعىٰ سيف الدين قلاوون الذي كان أحد القادة العسكريين فاستطاع أن يسيطر علىٰ الأمور، وشهد عهده تطورا ملحوظا في المجالات الخدمية والإنتاجية. ففتحت المدارس والمستشفيات في عهده وتم تجديد القلاع والحصون والأسوار استعدادا لأي غزو خارجي. كما نشطت الحركة العلمية والثقافية وازدهرت الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

استمر حكم السلطان قلاوون إحدىٰ عشرة سنة (668 – 689 هـ/ 1279 – 1290 م) عمل خلالها علىٰ تحقيق نصر نهائي علىٰ الصليبيين في الشام، وتحرير جميع الإمارات الصليبية المتبقية مثل طرابلس الشام وعكا. فتحقق له منها تحرير طرابلس عام (688 هـ/ 1289 م) ولم يسعفه الوقت لتحرير عكا، فحررها ابنه الأشرف خليل قلاوون عام (690 هـ/ 1291 م)، وبذلك رحلت جموع الصليبيين إلىٰ غير عودة بعد أن استعمروا أرض الشرق العربي قرنين من الزمان (492 – 690 هـ/ 1089 – 1291 م).

ولقد تعاقب علىٰ حكم دولة المماليك العديد من السلاطين، حاولوا جميعا المحافظة علىٰ وحدة مصر الداخلية ووحدتها مع بلاد المشرق العربي في وقت زادت فيه التهديدات الأجنبية من كل مكان. كما تركزت جهود السلاطين المماليك علىٰ الاهتمام بالحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية إلا أن أسبابًا كثيرةً حالت دون نجاحهم، **ومن أهم هذه الاسباب:**

1. الصراعات المتكررة بين الفرق المملوكية حول الزعامة والسلطة وقد ارهقت هذه النزاعات الدولة وعملت علىٰ اضعافها.
2. التهديدات الخارجية المتكررة المتربصة بالدولة كالمغول في العراق وفارس، والصليبيين في قبرص ورودس، والعثمانيين في آسيا الصغرىٰ.
3. تعدد حالات خروج أمراء أقاليم بالشام وغيرها علىٰ "الدولة".

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

4. كساد الحياة الاقتصادية وخاصة التجارة البحرية بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح والدوران حول إفريقيا للوصول إلى الشرق الأقصى والأوسط.
5. سوء الإدارة المملوكية وكثرث الرشوة والمحسوبية بها.
6. انهيار النظام العسكري المملوكي الذي كان صارماً ومنضبطاً، فأصابه الانحلال والضعف، نتيجة بفعل إشراك الجيش في السياسة وعدم الاهتمام بالتدريب.
7. سوء الأحوال الاجتماعية وانقسام المجتمع إلى فئات، وانفراد فئة المماليك والحكام بكل الإمتيازات المادية والمعنوية، بينما كانت الغالبية العظمى من الشعب تعاني الفقر والجوع والأمراض والحرمان.

لكل هذه الأسباب تدنى مستوى دولة المماليك وأصبحت عرضة للغزو الخارجي. وصادف أن كانت الدولة العثمانية في عنفوان نشاطها وقوتها منذ عهد سلطانها سليم الأول (918 – 927 هـ/ 1512 – 1520 م) فبدأت تتجه نحو الشرق العربي لتضمه إليها. ففي عام (922 هـ/ 1516 م) استولت القوات العثمانية على الشام، وفي العام التالي (923 هـ/ 1517 م) استولت على مصر، وبذلك سقطت دولة المماليك و أصبحت دول المشرق العربي تحت السيادة العثمانية.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

ثالثًا: في المغرب العربي والأندلس:

علمنا سابقا أن دولة الموحدين هي آخر الدول العربية الإسلامية الكبرىٰ التي حققت وحافظت لوقت طويل علىٰ وحدة المغرب العربي والأندلس استمر حوالي 118 سنة تقريبا (541 – 663 هـ/ 1146 – 1264 م) وحالت خلال هذه الفترة دون سيطرة الصليبيين عليهما. كما حالت في نفس الوقت دون الانقسام وقيام الكيانات القزمية المتفرقة.

رأينا كيف استعاد المغرب العربي والأندلس خلال حكم الموحدين نشاطه الاقتصادي والثقافي وقام بدوره كاملا في سبيل نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية والدين الإسلامي بالمناطق الصحراوية وبين القبائل الوثنية الإفريقية في حوض السنغال وما حوله.

وعرفنا أن خسارة الموحدين في معركة العقاب عام (609 هـ/ 1212 م) أمام جموع الصليبيين الإسبان كانت المقدمة لإنهاء دور هذه الدولة العربية الاسلامية التي تكاثرت عليها عوامل الضعف والإنهيار حتىٰ سقطت نهائيا عام (668 هـ/ 1269 م).

وعلىٰ أثر ذلك إنهار نفوذها وتقسّم ملكها إلىٰ كيانات صغيرة اختص كل منها برقعة جغرافية محددة هي:

أ. مملكة غرناطة في الأندلس.

ب. دولة بني مرين في المغرب الأقصىٰ (مراكش).

ج. دولة بني عبد الواد الزيانيين في المغرب الأوسط (الجزائر).

د. دولة بني حفص (الحفصيين) في المغرب الأدنىٰ (تونس وطرابلس).

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

أسئلة تطبيقية

س1/ تتبع ظهور دولة بني بويه في العراق وأثرهم في حدوث الانقسام والتفكك للدولة العباسية. مع ذكر مظاهر سيطرتهم علىٰ الخلافة العباسية.

س2/ سيطر السلاجقة علىٰ الخلافة العباسية ببغداد ولكن سيطرتهم هذه لم تستمر لأسباب عدة ناقش ذلك.

س3/ كان ضرر الحكم المغولي علىٰ العراق فادحا وخاصة في الفترة التي كان فيها المغول وثنيين. اشرح ذلك.

س4/ نتيجة لدخول المغول في الإسلام تهذبت أخلاقهم وانخفض مستوىٰ حقدهم علىٰ العرب والمسلمين. وضح ذلك.

س5/ اكتب مذكرات تاريخية حول:

أ) المغول الجلائريين في العراق.

ب) تيمورلنك.

ج) أهمية تلمسان

س6/ لعب المماليك دورا هاما في التاريخ العربي وخاصة فيما يتعلق بطرد الصليبيين من بلاد الشام. اشرح ذلك.

س7/ ما الأسباب التي حالت دون نجاح المماليك في تطوير الحياة الاقتصادية والاجتماعية؟

س8/ ناقش تداعيات الصراع بين القوىٰ السياسية المختلفة علىٰ وحدة المنطقة الممتدة من إفريقية إلىٰ بلاد المغرب الأقصىٰ في نقاط أساسية.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الفصل السابع

الحضارة العربية الإسلامية

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الفصل السابع: الحضارة العربية الإسلامية

النظم الإدارية والمالية

تطورت النظم الإدارية والمالية في الدولة العربية الإسلامية منذ عهد الرسول ﷺ وحتىٰ مطلع العصور الحديثة تطوراً ملحوظاً، الأمر الذي مكن الزعامة السياسية لهذه الدولة في مراحلها المختلفة أن تبسط سيطرتها وقبضتها علىٰ جميع الولايات. وقد قامت مؤسسات إدارية ومالية استطاعت الدولة من خلالها إدارة الولايات ومحاسبة عمالها والقائمين عليها وإدارة شئون الرعية.

وأهم هذه المؤسسات:

(أ) الخلافة

الخلافة في اللغة مصدر لفعل خلف، يُقال خلف زيد عمراً أي قام مقامه وبقي بعده فهو خليفة قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿39﴾ ﴾ (سورة سبأ)، وقال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿142﴾ ﴾ (سورة الأعراف).

والخلافة نظام حكم وسياسة استحدث مباشرة عقب وفاة الرسول الكريم ﷺ ولم يعرف عند غير المسلمين من قبل. وهو نظام أوجدته الضرورة نتيجة للفراغ الذي حدث بوفاة الرسول ﷺ، ودعت إليه الحاجة لصيانة المجتمع الجديد وتضامنه والحفاظ علىٰ الدين والتعهد بنشره إكمالا لرسالة محمد ﷺ.

ولقد ورد لفظ الخليفة ومشتقاته في مواضع متعددة من القرآن الكريم ليدل علىٰ الولاية قال تعالىٰ: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ﴾ سورة ص من الآية (25).

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ سورة البقرة من الآية (29). وقال تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ سورة النور من الآية (53).

ومن المعروف أن وفاة الرسول ﷺ كانت صدمة هائلة للمسلمين سببت لهم الكثير

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

من الخوف والشك إلىٰ درجة أن فريق منهم زعم أنه لم يمت نظرا لعظمة شخصيته وتأثيره علىٰ أصحابه. ولكن أبا بكر الصديق خطب فيهم وقال قوله المشهور: «من كان يعبد محمدًا، فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت» ثم تلا عليهم قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ سورة آل عمران من الآية (144).

ألقاب الخلافة:

اختلف لقب الخليفة من عصر إلىٰ عصر ومن دولة إلىٰ أخرىٰ وفق المعطيات الدينية والسياسية والاجتماعية. و أهم هذه الألقاب:

1. **الخليفة:** وأول من سمي به أبو بكر الصديق حيث دعي بخليفة رسول الله ﷺ.
2. **أمير المؤمنين:** عقب وفاة أبي بكر الصديق استخلف عمر بن الخطاب ولقب خليفة خليفة رسول الله ﷺ، فقال المسلمون من يأتي بعد عمر سوف يقال له خليفة خليفة خليفة رسول الله ﷺ، فيطول هذا فقال بعضهم : نحن المؤمنون وعمر أميرنا فدعي عمر أمير المؤمنين وكان أول من تلقب بذلك.
3. **الإمام،** وأول من لقب به علي بن أبي طالب ثم تلقب به الخلفاء العباسيون والفاطميون. كما أن الخلافة قد دعيت في عهدهم بالإمامة الكبرىٰ تمييزا لها عن إمامة الصلاة.
4. **ألقاب خاصة:** وهي التي ظهرت علىٰ أيام الدولة العباسية حيث استحدث خلفاؤهم ألقابًا بأسماء يتميز بها بعضهم عن بعض حين شعروا أن لقب أمير المؤمنين هو لقب مشترك بينهم فتلقبوا بالسفاح والمنصور والمهدي والهادي والرشيد والأمين... الخ.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

شروط الخلافة:

للخلافة شروط أساسية، وهي:

أ) **الإسلام**: أي أن يكون الخليفة مسلمة كشرط أول.

ب) **الحرية**: أي أن يكون الخليفة حرًا إذ أن العبد المستعبد لا يملك نفسه.

ج) **البلوغ**: أي أن يكون الخليفة بالغًا لرشده ولا تجوز خلافة القاصر ولا الصبي.

د) **سلامة العقل**: أي لا يجوز المبايعة بالخلافة لمن يغلب عليه الجنون.

هـ) **سلامة الحواس**: والأعضاء وهي الأشياء الضرورية للقيام بمهام الخلافة.

و) **الذكورة**: أي أن يكون الخليفة ذكرًا ولم يعرف بين المسلمين من أجاز خلافة المرأة.

سلطات الخليفة:

كان الخلفاء يتصرفون في أمور الدولة تصرفا يكاد يكون مطلقاً في بعض الأحيان ويستثني من ذلك الخلفاء الراشدون ويمكن إجمال سلطات الخلفاء في:

أ. حفظ الدين والحرص على تعزيز مكانته.

ب. إقامة الحدود أي إنزال العقوبات بمن يستحقها.

ج. الإشراف المباشر على القضاء (فصل الخصومات).

د. مهمة حفظ الأمن الداخلي والدفاع عن البلاد ضد العدوان الخارجي.

هـ. تحديد الضرائب وإنفاقها.

و. الإشراف على أعمال الدولة وتعيين الموظفين.

(ب) الـــــوزارة

وهي تدل عادة على منصب الوزير الذي اعتبره العديد من المؤرخين والدارسين أنه نائب مفوض بحكم البلاد باسم الخليفة الذي يختاره ويفوضه وهو بذلك يطلق يده لأجل التعيين والعزل لكافة موظفي الدولة وفي مختلف الولايات، كذلك فهو الذي يعطي ويحرم العطاء بأمر الخليفة أو باجتهاده هو ولا يشاركه في ذلك أحد.

وبالرغم من المشاكل التي كانت تحدث عادة بين الخليفة ووزيره، الأمر الذي

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

يدفعه إلىٰ أن يحد من سلطات ذلك الوزير إلا أن الوزير يظل هو أكبر الولاة ورئيس الدواوين وصاحب المشورة وأقرب الناس مجلس من الخليفة.

والوزارة والوزير في اللغة مشتقة من الوِزر علىٰ اختلاف الأوجه الثلاثة التي قد تقرأ عليها هذه الكلمة.

ولقد عرف المسلمون نظام الوزارة والوزير وإن كان في بعض المراحل لم يصرح به. ففي عهده ﷺ كان الصحابة في منزلة الوزراء عند الرسول ﷺ وإن كان انفراد أبا بكر الصديق بالمشورة جعل بعضهم يسميه وزير النبي.

وفي عهد الخلفاء الراشدين لم يظهر منصب الوزير المتعارف عليه إلا أن الصحابة جميعاً كانوا أيضاً وزراء للخلفاء الأربعة. كما يظهر بعض الأمويين كوزراء في زمن الخليفة الثالث عثمان بن عفان بحكم القربي. كان عبد الله بن عباس وزيراً لعلي بن أبي طالب بحكم القربي أيضاً.

وفي العصر الأموي خصّ الخلفاء العديد من الناس من ذوي الخبرة وأهل الرأي بالمشورة والحوار، خاصة أثناء المحن والأزمات والفتن الداخلية، مما كان له الأثر في اتخاذ القرار السليم فكانوا بمثابة وزراء.

أما منصب الوزير علىٰ المستوىٰ الرسمي فلم يظهر صراحة بالإسم والمعنىٰ إلا في مطلع العصر العباسي الأول وأصبح ملازما لتاريخ الدولة العباسية. ويعود الفضل في ذلك إلىٰ الخليفة السفاح الذي استحدث هذا المنصب عندما تمت تسمية أبي سلمة الخلال وزيرا للدولة العباسية والذي عرف بوزير آل محمد. ولقد عرف وزراء آخرون خلال العصر العباسي الأول مثل أبي الجهم وخالد بن برمك أيام السفاح، وأبي مسلم الخرساني أيام المنصور، ويعقوب بن داود أيام المهدي، وأسرة آل برمك أيام الرشيد، والفضل بن سهل أيام المأمون.

أما في العصر العباسي الثاني، ازداد نفوذ الوزير ويرجع ذلك إلىٰ ضعف الخلفاء وانشغالهم بقضية ولاية العهد. فكان الوزراء هم رأس الدولة والمتصرفون في شئونها مثل الوزير ابن الفرات أيام المقتدر.

كما عرفت "الدول" الإمارات المستقلة عن الخلافة العباسية نظام الوزارة والوزراء. فكان للأمويين بالأندلس أكثر من وزير في وقت واحد بل وصل عددهم أحياناً إلىٰ ثمانية وزراء، لكل منهم اختصاص . وصار هناك وسيط بين الوزراء والخليفة سمي

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

بالحاجب، وهو أشبه بالوزير الأول أو رئيس الوزراء في لغة العصر الحديث.

وعلىٰ أيام المماليك بمصر، تم استحداث نظام جديد أطلقوا عليه لفظ ناظر الدولة أو ناظر الخاصة بدلاً من لفظ الوزير ويمكن تفسير ذلك إلىٰ الأصل التركي للمماليك.

أنواع الوزارات في الدولة الإسلامية:

لم تعرف الوزارة في الدولة الإسلامية التخصص والتنوع إلا في العصر العباسي عندما اتسعت رقعة الدولة وزادت مسؤوليات الوزير، وأصبحت طلبات الرعية تستدعي استخدام أكثر من وزير. لذلك ظهر نوعان من الوزارات يمكن إجمالها في الآتي:

1. وزارة التنفيذ:

وهي التي لا يكون لصاحبها حق تدبير الأمور باجتهاده، وإنما يكون عمله فيها قاصراً علىٰ تنفيذ أوامر الخليفة والالتزام برأيه. وهذا الوزير وسيط بين الخليفة والرعية والولاة يؤدي عنه ما أمر به. ويعرض ما ورد عنهم.

وبذلك حدد المؤرخون سلطات وزير التنفيذ في الآتي:

أ. تبليغ الجنود أوامر الخليفة ونواهيه.

ب. متابعة أعمال الولاة.

ج. النظر في المظالم الخاصة بالرعية ويعمل فيها بالإنصاف وما عجز عنه ينقله إلىٰ الخليفة.

2. وزارة التفويض:

ويتولاها وزير مفوض تفويضا كاملا من الخليفة بمعنىٰ أن يدير الأمور برأيه ويمضيها إلىٰ اجتهاده دون الرجوع إلىٰ الخليفة، كأن يوجه سياسة الدولة، ويولي الموظفين ويعزلهم ويجبي الأموال وينفقها ويسير الجيوش ويجهزها ويجلس للمظالم ويفصل بين الناس.

وقد أجمع المؤرخون أن وزير التفويض محظور عليه أمور هي:

1. ليس له حق عزل من عينه الخليفة.
2. لا يجوز له التدخل في مسألة ولاية العهد ومنصب الخليفة.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

3. لا يجوز له الإستقالة وطلب الإعفاء من عمله.

ونظراً لأهمية منصب وزير التفويض أصبح من الضروري أن يكون واحدا فقط، ولا يجوز أن يكون أكثر من ذلك في وزارة التفويض على العكس في وزارة التنفيذ إذ من الممكن وجود أكثر من وزير.

(جـ) الإمـــــارة

نشأ نظام الإمارة بعد اتساع الدولة العربية الإسلامية وانتشار الإسلام وخضوع أراض وشعوب وأمم مختلفة للدولة الإسلامية.

والإمارة هي النيابة عن الخليفة في منطقة محدودة لتسيير أمور الدولة نظراً لبعد ذلك المكان عن مركز الدولة وعاصمتها ورغبة من الخليفة في السيادة والسيطرة وإقامة أمور الدين بكافة مناطق الدولة.

وقد تعددت تسمية من يقوم بهذه المهمة وفق التطورات التي حدثت بالنسبة للمجتمع الإسلامي:

أ. العـــامل:

أصبح المشرف على شؤون الإقليم عاملاً، وبالرغم من بساطة التسمية في الظاهر فإنها كانت على أيام الرسول ﷺ في نظر الصحابة أمراً عظيماً لأن الذي يصبح عاملاً لرسول الله ﷺ في إقليم ما، إنما يعتبر المرجع الأساسي به لإقامة الدين والجهاد ضد الكافرين والنظر في أمور الرعية. لأجل ذلك كان الرسول ﷺ يحسن في اختيار عماله من بين خيرة الصحابة وأكثرهم صلاحاً وأعمقهم إيماناً لكي يعمل بالقرآن الكريم وسنة رسوله الأمين ﷺ ثم بعد ذلك يجتهد بما يكفل للدين البقاء وللرعية الرضا.

وكان العامل بذلك هو الإمام في الصلوات والقائد في المعارك والحكم في الخصومات والمظالم والمشرف على جمع الزكاة وإنفاقها في حدودها الشرعية.

وعندما تولى الخليفة أبو بكر الصديق أقر عمال الرسول ﷺ على المناطق ولم يغير شيئاً وضعه رسول الله ﷺ. وعندما جاء عمر بن الخطاب استحدث نظاماً جديداً في الإدارة قسمت الدولة بموجبه إلى ولايات بعد اتساعها.

ب. الوالـــــي:

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

وهي كلمة ذات دلالة على السلطة والنفوذ، وهي أشبه بمنصب وزير التفويض لأن صاحب المنصب (الوالي) يتحمل مسؤولية عظيمة في ولايته

ولكن الخليفة عمر بن الخطاب فصل بين السلطات زيادة في الحذر وخدمة لمصالح المسلمين، وذلك بأن جعل القضاء والخراج مستقلين عن الوالي، كما دعا ولاته إلى معاملة الرعية بالليين في غير ضعف، والشدة في غير عنف.

ج. الأمـــــير:

عادة ما يكون الأمير مسئولاً عن قيادة الجند في المعارك سواء معارك الفتح ونشر الإسلام أو التصدي للعدوان الخارجي أو الردة الداخلية أو قتال أهل البغي وقطاع الطرق بما يكفل استقرار الأمن الداخلي ويسمى في معظم الأحيان أمير الجند أو أمير الأجناد.

ويتضح مما سبق أن منصب الوالي هو أهم فروع الإمارة وخاصة بعد ما قسمت الدولة الإسلامية إلى ولايات منذ بداية عهد عمر بن الخطاب. وقد حرص جميع الخلفاء على مدار الدولة العربية الإسلامية أن تبقي ولاياتهم تابعة لهم وتحت سيطرتهم المباشرة والدقيقة نظراً لاعتبارها عمقًا استراتيجيًا لحماية الدولة، ومصدراً لجباية الخراج الذي يقوم عليه بيت المال.

1. الإمارة العامة:

ويقصد بها تولية الخليفة لأمير على ولاية معينة للإشراف على جميع المصالح التي تحت ولايته، كالشئون العسكرية والسياسية والمالية والقضائية، وإقامة الحدود الشرعية، وحفظ عقيدة المسلمين وأخلاقهم، وتيسير أمور الحجيج إلى بيت الله الحرام، وإمامتهم في الجامعات والجُمَع والأعياد.

وتنقسم هذه الإمارة العامة -تبعًا لطبيعة التقليد- إلى نوعين، إما اختيارًا أو اضطرارًاا إلى إمارة اتكفاء وإمارة إستيلاء.

2. الإمارة الخاصة:

وهي عادة ما يعهد بها الخليفة إلى أحد الرجال ليقوم بأمور محددة دون غيرها كالنظر في قيادة الجيش وسياسة الرعية وحماية البيعة للخليفة وفي هذه الحالة ليس له أن يتعرض للقضاء والأحكام ولجباية الخراج والصدقات وغيرها من الأشياء التي لا تدخل ضمن اختصاصه.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

(د) الدواوين:

عرف المسلمون الديوان أول مرة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وذلك بعد أن فتح الله عليهم العراق والشام ومصر، فجاءت إليه أموال كثيرة فجمع الناس وقال لهم: (قد جاءت إلينا أموال كثيرة فإن شئتم كلناها كيلاً أو عددناها عداً، فقام إليه أحد المسلمين فقال له : إني قد رأيت هؤلاء الأعجام من الفرس والروم يدونون ديوانـًا لهم. فقال لهم عمر بن الخطاب: دونوا الدواوين).

وكان أول ديوان نشأ في التاريخ الإسلامي، هو ديوان الجند وهو الديوان الوحيد الذي نشأ أيام الخلفاء الراشدين، وكان القصد منه حصر المقاتلين لغرض دفع العطايا لهم وبذلك صارت كلمة الديوان تعني السجل أو الكتاب أو مجموعة الصحف التي تدون فيها الأسماء والعطايا وغيرها، كما صار المكان الذي يجلس فيه الكَتَبَة وتحفظ فيه السجلات يسمىٰ ديوانـًا.

وكانت اللغة العربية هي لغة الديوان حيث كان محدوداً ولغرض دفع الأرزاق للجند ويقوم عليه عدد من الصحابة المشهود لهم بالثقة والأمانة وقد رتبت فيه الأسماء بحسب القرابة من رسول الله ﷺ والسبق في الإسلام.

ثم تطورت فكرة الدواوين وفق الحاجة إليها وخاصة بعد أن توسعت الدولة الإسلامية، ودخلت فيها عناصر متعددة اللغة والأصل يجمع بينها الإسلام والجهاد. وقد اضطرت الدولة إلىٰ إقامة هذه الدواوين الجديدة مستعينة بخبرات أهل فارس والروم، كما أبقي علىٰ النظام الذي كانت عليه الدواوين أيام الحكم الفارسي والرومي.

وعندما تولىٰ الخليفة عبد الملك بن مروان أمر بتعريب الدواوين أي استخدام اللغة العربية في معاملاتها وسجلاتها، وكان للتعريب فوائد هي:

1. حفظ أسرار الدولة.
2. استخدام اللغة العربية في المعاملات.
3. توحيد المعاملات علىٰ طريقة واحدة في جميع أرجاء الدولة.
4. شجع التعريب الأعاجم علىٰ سرعة تعلم اللغة العربية.
5. سهل علىٰ المسؤولين مراقبة الدواوين والاطلاع علىٰ خفاياها.

وفي عهد الدولة العباسية أصبح للديوان شأن عظيم كما أصبح سعيد الحظ من

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

يعمل موظفاً فيه. وقد انقسمت الدواوين في هذا العصر إلى:

1. ديوان الجند الذي استمر كأساس للدواوين.
2. ديوان الخراج ويختص بجباية الأموال وضبط حسابات الواردات والمصروفات.
3. ديوان الخاتم وهو ديوان المحفوظات.
4. ديوان الطراز وهو الذي يهتم بلباس الخليفة وحاشيته.
5. ديوان الرسائل ويختص بالإشراف على المراسلات مع الولايات.
6. ديوان الجهبذة ويتولى رعاية شئون أهل الذمة أهل (الكتاب).

(هـ) البريد:

وقد بدأ الإهتمام بالبريد في الدولة العربية الإسلامية منذ عهد الرسول ﷺ ولكن المؤسس الحقيقي للبريد الإسلامي هو معاوية بن أبي سفيان الذي كان أول من استحدث هذا الديوان، وكان مخصصًا لخدمة الدولة فقط لا الأفراد حيث كان عملًا رسميًا ولم تستفد منه الرعية إلا بعد حين.

وكانت مهمته الأولى نقل الأخبار بين عاصمة الدولة والأقاليم، كما ينقل حاجات الدولة، ويشرف على المسالك والطرق ويرسم الخرائط المناسبة للأقاليم. وقد نال نظام البريد اهتماماً كبيراً على أيام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، فَأُدْخِلت عليه التحسينات وأصبح رجال البريد لا يحجبون عنه في أي وقت من الليل والنهار لأهمية ما قد يحملون من أخبار لا ينبغي تأجيلها.

وقد أقيمت للبريد محطات كثيرة بها دواب مستريحة جاهزة للانطلاق وبها أماكن للراحة. فإذا وصل رجل البريد ترك الدابة المرهقة وأخذ على الفور أخرى مستريحة ليواصل رحلته من فوره. وهكذا يُفعل في كل المحطات حتى يصل إلى العاصمة أو غيرها.

وفي العصر العباسي أصبح البريد يقوم بما يعرف اليوم في نظام (المخابرات) حيث كان رجاله يقومون بمراقبة الولاة وأصحاب المناصب العليا ويجمعون المعلومات عن الأعداء. فأصبح له ديوان قائم بذاته، كما زاد من تخصصه بحيث أصبح ينقل الأخبار الداخلية المتعلقة بمعاملة الوالي للرعية وزيادة الأسعار وأمور الخراج بالإضافة إلى حمل الرسائل وتنظيمها وحفظها.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

وكان من أهمية صاحب البريد أن الخليفة يستشيره في أمور الحرب ووضع خططها لأنه عليم بالطرق والمسالك. وقد نقل عن الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور قوله: (ما أحوجني إلىٰ أربع: قاض عادل، وصاحب شرطة منصف، وصاحب خراج يستقصي ولا يظلم، وصاحب بريد يكتب بصدق عن كل هؤلاء).

وكان أبو جعفر المنصور ينظر في أخبار البريد بعد صلاة المغرب ليعرف ما حدث بالنهار، وبعد صلاة الفجر ليعرف ما حدث بالليل، فكان بذلك علىٰ إطلاع كامل ودقيق بما يجري في دولته.

وقد عرف المسلمون البريد البري المنقول بالدواب في كل أرجاء الدولة بسرعة فائقة. والبريد الجوي المنقول بالحمام الزاجل المدرب علىٰ حمل الرسائل والأخبار حيث ينطلق من أبراج خاصة ذهاباً وايابا.

(و) الموارد المالية:

كان بيت مال المسلمين في الدولة العربية الإسلامية يعتمد علىٰ موارد متعددة منذ نشأته علىٰ أيام الخلفاء الراشدين وأهم هذه الموارد:

1. الزكـــاة:

وهي ركن من أركان الإسلام الخمسة، ولا يكتمل إيمان المسلم إلا بها وكانت في البداية اختيارية مع الثناء علىٰ الذين يعطونها، ثم أصبحت إجبارية علىٰ المسلمين القادرين وفق نسب من أموالهم حددها الله سبحانه ورسوله ﷺ العلماء والفقهاء في حينها، وأصبحت تعرف بزكاة المال في مختلف صوره من معادن ثمينة أو عملة نقدية أو حيوانات أو ثمار ...الخ.

وتسمىٰ الصدقة قال تعالىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ من سورة التوبة الآية (104). وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ سورة التوبة الآية (105). والزكاة حق الله في مال الأغنياء يعطىٰ للفقراء لكي يجنبهم الحاجة والسؤال، فبعضهم يعطيهم وبعضهم يمنعهم وبذلك صارت الزكاة تمثل قمة العدل في نظام التكامل الاجتماعي والتعاون علىٰ هموم الحياة بين الناس.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

وقد حدد الإسلام أوجه صرفها والفئات المستحقة لها وهم ثمانية حددهم الله تعالىٰ في قوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾ سورة التوبة الآية (60)، ولقد تعدد ذكر الزكاة في القرآن لحرص الإسلام عليها كمورد لبيت المال ومصدر للإنفاق علىٰ ذوي الحاجة وقد جاءت في العديد من الآيات مقرونة بالصلاة وجاءت منفردة كقوله تعالىٰ: ﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ سورة فصلت الآية (5 – 6).

وقد حدد الفقهاء شرطين لإخراجها:

أ. ملك النصاب الذي يختلف باختلاف المصدر.

ب. مرور عام.

2. الجزيـــة:

وهي ضريبة ظاهرة المعالم واضحة المعنىٰ، عرفت بأنها مبلغ من المال بدفعه أهل الذمة (أصحاب الديانات السماوية السابقة) وقد جاءت بنص قرآني في قوله تعالىٰ: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩ ﴾ سورة التوبة الآية (29)، والهدف من الجزية المفروضة علىٰ أهل الذمة هو إيجاد توزان في الدولة عن طريق التكافؤ حيث إن المسلمين والذميين هم رعايا دولة واحدة في نظر الإسلام ويتمتعون بحقوق واحدة وينتفعون بمصالح الدولة عامة وبنسبة واحدة.

ومن هنا فرضت الجزية علىٰ أهل الذمة في مقابل فرض الزكاة علىٰ المسلمين.

3. الغنيمـة:

ومعناها ما ظفر به المسلمون من مال الكفار علىٰ وجه الغلبة والقهر وبذلك تكون الغنيمة هي الفوز بالشيء، وتجمع الغنائم من ساحة المعركة ولا يجوز قسمتها ما دامت الحرب مستمرة، بل يجب الانتظار حتي تضع الحرب أوزارها. والحكمة في ذلك حتىٰ لا يتشاغل المسلمون بالأسلاب والغنائم فتحل بهم الهزيمة، كما حدث في غزوة أحد عندما تشاغل الرماة بأمر الغنائم مخالفين لأمر رسول الله ﷺ فكادت أن تقع الهزيمة بالمسلمين.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

وتقسم الغنائم وفقا لقوله تعالىٰ: ﴿وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿41﴾﴾ سورة الأنفال الآية (41). أي أن الغنائم تقسم إلىٰ أخماس يخصص خمسها للذين ذكروا في الآية السابقة، أما الأربعة أخماس الباقية فتوزع علىٰ المحاربين وفق معرفة الحاكم ويجوز فداء الأسرىٰ أو المنّ عليهم بدون مقابل لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ﴿4﴾﴾ سورة محمد الآية (4).

4. الخـــراج:

وهي ضريبة تفرض علىٰ الأرض التي صولح عليها المشركون وتأتي في شكل حاصلات زراعية أو أموال ويسمىٰ هذا المقدار المفروض خراجاً. وقد ورد ذكر الخراج في القرآن الكريم في قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿73﴾﴾ سورة المؤمنون الآية (72). ويسمىٰ أحياناً ضريبة المزارعة أو المعاملة علىٰ حسب تقدير قيمتها فبعض الأراضي قدرت مالاً مثل أرض السواد التي زرعت قمحاً بعد الفتح فكان يؤخذ مقدار أربعة عشر درهما علىٰ الفدان الواحد. وأرض خيبر مثلاً أخذ عنها نصف ما تخرج الأرض قل منها أو كثر.

ولأهمية الخراج كان الخلفاء يكلفون من يقوم بجبايته بعيداً عن تأثير الولاة. وقد كان الخراج وسيلة لحماية الأرض الزراعية وتنمية الموارد المالية والحرص علىٰ زيادة الإنتاج وتخفيف حدة النزاع الطبقي بين المالكين والفقراء.

5. العشور:

وهي ضريبة تدفع علىٰ إنتاج الأرض بأن يدفع القائم عليها عشر غلتها أو إنتاجها وتشمل الأرض المملوكة لأصحابها ثم أسلموا وبقيت تحت تصرفهم كذلك الأراضي الميتة التي أحياها المسلمون بعد الفتح.

6. عشور التجارة:

وهي ضريبة مرور التجارة عبر بلاد الإسلام سواء أكانت براً أو بحراً، تُقَدَّر بالعُشر.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

7. الأوقـــاف:

ويقصد بها عمل الخير ووسيلة للوصول إلىٰ نوع من التكافل الاجتماعي، وذلك بأن يقوم الميسور من المسلمين بوقف أراض أو عقارات أو دخل ما ليصرف منه في صالح الناس والمسلمين ويريد به عمل الخير وخاصة صيانة وحفظ المرافق العامة والأوقاف نوعان:

أ) أوقاف ذرية تهدف إلىٰ ضمان التكافل الاجتماعي لذرية صاحب الوقف وأقربائه وكلها تنتهي إلىٰ عمل الخير.

ب) أوقاف خيرية وهو ما ينفق علىٰ أعمال الخير عامة، وهي لا تتقطع مثل عمارة المساجد وزوايا العلم والمدارس والمقابر وإصلاح الجسور والطرقات العامة وتقديم المعونة للمزارعين والمعاقين وإيواء اليتامىٰ... الخ.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الحياة الاجتماعية والاقتصادية

أ. الحياة الاجتماعية:

عقب نجاح حركة الفتح العربي الإسلامي نشأ مجتمع جديد تميز بامتزاج عناصر ودماء وأجناس وقوميات مختلفة جمع بينها الإسلام الذي حارب العصبية، وأزال كل العوائق الطبقية وجعل التقوى والعمل الصالح مقياس للولاء والانتماء.

وبالرغم من ذلك اعتاد المؤرخون على تقسيم المجتمع العربي الإسلامي الجديد إلى فئات وعناصر هي:

1. العرب المسلمون:

هم أساس الدولة وفيهم نزل القرآن وظهر الإسلام ومنهم الرسول الكريم ﷺ وهم أيضا المكلفون بتبليغ الدين ونشره إلى البشرية جمعاء. وقد اعتمد عليهم المجتمع في تكوين الدولة وإنجاح حركة الفتح حتى نهاية الدولة الأموية وهم الذين نشروا اللغة والثقافة العربية في الأراضي المفتوحة.

2. الموالي:

وهم في الأصل سكان البلاد المفتوحة من غير العرب والذين اعتنقوا الإسلام في بلاد فارس وخراسان وبلاد ما وراء النهر وبلاد السند وآسيا الصغرى من الأكراد والأرمن والترك وغيرهم، وكان العنصر الفارسي أكثرهم. وقد شعر الفرس والموالي عامة بعدم الرضا وعدم المساواة بانحياز الخلفاء إلى العنصر العربي، خاصة في العصر الأموي الأمر الذي دفعهم للاشتراك في كل عمل انفصالي وتأمري وانخرطوا في حركات الزندقة.

وعلى الجانب الأخر نجد أن فئة من الموالي تشبعت بالثقافة العربية وتأثرت بها وهو ما أدى إلى بروز أعلام وشخصيات من الموالي رائدة في كافة العلوم والفنون والآداب وكان اعتزازهم بالإسلام كبيرا.

3. أهل الذمة:

وهم أصحاب الديانات السابقة التي لها كتب سماوية ورسل مثل اليهود والنصارى، والذين بقوا جميعا على دينهم السابق بعد الفتح محتفظين بحقوقهم وعليهم واجبات نحو المجتمع الجديد.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

وقد عومل هؤلاء بالتقدير من الإسلام والمسلمين بالرغم أن بعضهم وخاصة اليهود الذين بدت منهم الكراهية والتآمر على العرب والمسلمين مرات عديدة.

وقد تكفل القرآن الكريم بفضح أعمالهم والإخبار عن مؤامراتهم قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ سورة المائدة من الآية (84)، وقد بقي اليهود على مدار الدهر جبناء متآمرين يحبون الحياة ولو كانت غير كريمة قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ سورة البقرة من الآية (95). ونلاحظ هنا أن كلمة حياة جاءت نكرة بدون تعريف لتدل على أي حياة ولو كانت في ذل.

أما الجبن والخوف فهما سمتان ملازمتان لليهود قال تعالى: ﴿لاَ يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلاَّ فِي قُرىً مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَّرَآءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ سورة الحشر من الآية (14). ولم يستفد العرب والمسلمون للأسف من هذه الحكم القرآنية حيث لا زالت شراذم اليهود تغتصب أرض العرب وتقتل أبناءهم وترتكب من الجرائم ما لا يحصى ضد الآمنين في فلسطين وما حولها.

4. الرقيق والخدم والجواري :

تتعارض ظاهرة الرق مع حرية الإنسان إذ أن الرق يعني الإستعباد وبالرغم من أن هذه الظاهرة قديمة قدم البشرية عرفتها كافة الشعوب القديمة إلا أن الإسلام اعتبرها ظاهرة عابرة مؤقتة وغير طبيعية حيث عبر عن ذلك الخليفة عمر بن الخطاب بقوله : «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا».

وقد عالج الإسلام موضوع الرق كظاهرة واقعة بطريقتين:

أ. حبب إلى الناس العتق سواء بالتطوع أو جعلها كفارة للذنوب مثل كفارة اليمين وكفارة الصوم، وكفارة قتل الخطأ وغيرها.

ب. أمر بمعاملة الرقيق معاملة طيبة و أوصى بالعناية بهم وحسن العشرة معهم.

مكانة المرأة:

المرأة طرف أساسي في الأسرة وهي أحد أركانها والمرأة العربية كانت دائماً دعامة كبرى للأسرة، فقبل الإسلام كان الرجل لظروف اقتصادية وجغرافية ينطلق إلى مسافات بعيدة ويغيب عن بيته ليالي وأياماً كثيرة، فتكون المرأة هي المشرف الأول على البيت من حيث تربية الأولاد والقيام بشؤون الزراعة والاهتمام بالحيوانات فكانت خير

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

معين لزوجها على ظروف الحياة.

وبالرغم مما قيل عن المرأة قبل الإسلام من حيث عدم تمتعها بالحرية إلا أن شواهد التاريخ تنفي ذلك وتضرب الأمثال عن نساء عربيات قبل الإسلام كان لهن شأن عظيم في مختلف المجالات بما في ذلك المجال السياسي مثل ملكة اليمن العربية التي ذكرها القرآن في: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۝٢٢ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۝٢٣﴾ سورة النمل الآية (22-23).

والملكة زنوبيا ملكة تدمر في سوريا التي وقفت بالمرصاد للرومان وأطماعهم دفاعا عن مملكتها. والسيدة خديجة بنت خويلد زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم التي اقتحمت مجال التجارة بكل قوة وأصبح لها مكانتها الاقتصادية والاجتماعية مع الحفاظ على هيبتها كإمرأة.

وبعد الإسلام وخلال مراحل الدولة العربية الإسلامية المتعددة تعززت مكانة المرأة بالإسلام، فكان لها السبق في الإيمان والجهاد وتحمل الظلم من جانب المشركين فكانت سمية (أم عمار بن ياسر) أول شهيدة في الإسلام وبتطور الدولة زادت مكانة المرأة قوة وشاركت الرجل في سياسة الدولة والمشورة واتخاذ القرار وغيرها من عظام الأمور. وقد كفل الإسلام للمرأة حقوقها في الزواج والطلاق والميراث والنفقة والقيام بشئونها وحفظ لها مكانتها كأم وزوجة وأخت وابنة ومواطنة.

ومن القيم والعادات النبيلة التي أكدها الإسلام:

1. الشجاعة والفروسية وهما صفتان اتصف بهما العرب قبل الإسلام وبعده. وبفضل الشجاعة والفروسية وصل الإسلام إلى مشارق الأرض ومغاربها. وأصبح "المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف" بما في ذلك قوة البدن التي هي أساس الشجاعة والفروسية.
2. الكرم هو الجود نفسه. وُجد الكرم في الإسلام ليؤكد سماحته فحثّ على البذل والعطاء من غير إسراف أو تفريط قال تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٢٩﴾ سورة الأعراف من الآية (29).

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

ب. الحياة الاقتصادية:

1. الزراعة:

نظرا لوقوع أقاليم الدولة العربية الإسلامية في المناطق المناخية المعتدلة، بالإضافة إلىٰ تعدد مصادر المياه بها من أنهار دائمة الجريان وأمطار غزيرة معظمها شتاء وبعضها صيفا إلىٰ جانب المصادر الأخرىٰ كالعيون والينابيع والآبار وغيرها، توفرت مقومات الزراعة بها إلىٰ درجة أصبحت هذه المناطق من أخصب مناطق العالم قديما (في ذلك الوقت). وتنوعت هذه الأراضي وتوزعت في كل من بلاد العراق ما بين نهري دجلة والفرات، وفي بلاد الشام حول الأنهار وعلىٰ السهول الساحلية، وفي مصر حول نهر النيل، وفي شمال إفريقيا والأندلس حول الأنهار، وعلىٰ السهول الساحلية، كذلك في خراسان وبلاد ما وراء النهر وبلاد السند وآسيا الصغرىٰ وكل المناطق التي خضعت للدولة العربية الإسلامية.

وكانت الشعوب القاطنة بهذه المناطق قبل الإسلام قد أهملت العمل بالزراعة لأسباب متعددة منها ثقل الضرائب وقسوة الحكام في جبايتها بالإضافة إلىٰ قلة الأيدي العاملة وعدم تطوير مصادر الري، ولذلك نجد أن الدولة العربية الإسلامية وفي كل مراحلها قد أولت الزراعة اهتماما خاصا، وكانت تعليمات الخلفاء والوزراء تقضي بتقديم كافة التسهيلات اللازمة لتطويرها ونجاحها، لأنها تحقق الإكتفاء وتكفل الرخاء.

وكانت أولىٰ اهتمامات العرب المسلمين بالزراعة قد تركزت حول إصلاح طرق الري حيث تمت هذه العملية وفق طريقتين وهما: تجديد القديم منها واستحداث الجديد المتطور. فعلىٰ سبيل المثال، حظيت بلاد العراق ومصر بصفة خاصة بالاهتمام في هذا المجال، وأصبحت بهما شبكة كبيرة من هذه القنوات الموصلة للمياه إلىٰ كافة الأراضي الزراعية.

وقد ترتب عن ذلك أن تعددت المحصولات وزاد الإنتاج وحصل الإكتفاء الذي تم حمله وتوزيعه علىٰ كافة أقاليم الدولة. فقد أنتجت مصر الحبوب بأنواعها كالقمح والشعير وانتجت أراضيها أيضاً الأرز والبقول والقطن وقصب السكر والفواكه والكتان وغيرها. كما أنتج العراق التمور والحبوب والفواكه والأرز وغيرها.

ولقد صاحب تطوير الزراعة انتقال زراعة المحاصيل وغرس الأشجار من منطقة إلىٰ أخرىٰ، مثل انتقال زراعة قصب السكر والصناعة القائمة عليه من بلاد فارس إلىٰ

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

مصر والشام ومنهما إلىٰ أوروبا. وبهذا انتشر هذا التطور في كل الأقاليم العربية الإسلامية حتىٰ الأندلس.

منظر الأحواض التي أقامها الأغالبة للريّ

وإلىٰ جانب الاهتمام بزراعة كل ما يتعلق بالغذاء اهتم العرب المسلمون بغراسة الورود والأزهار علىٰ اختلاف أنواعها واستخدمت في صناعة العقاقير الطبية والعطور. كما استعملوا ماء هذه الزهور ممزوجا بالشراب وغيره.

وكان لتطوير الزراعة والاهتمام بها أثر اقتصادي كبير في زيادة الإنتاج ونمو موارد الدولة العربية الإسلامية.

2. الصناعة الحرفية:

جاءت الصناعة في الدولة العربية الإسلامية وليدة الإستقرار الذي تحقق وخاصة في العصر العباسي الأول. وفي نفس الوقت، نتيجة لتطوير الحياة الاجتماعية، بالإضافة إلىٰ ذلك نجاح المهن الأخرىٰ كالزراعة والتجارة فكانت الصناعة من الحرف التي عملت علىٰ تلبية حاجات هاتين المهنتين.

وكان أول نجاح للصناعة الحرفية،أن قامت بتلبية الحاجات الضرورية اللازمة للبيوت، والمتمثلة في فرشها وتوفير الأثاث لها فجاءت صناعة البسط بأنواعها المختلفة

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

العادي والمخطط وذي المربعات والتقاطعات وغيرها. كذلك جاءت السجاجيد الملونة بألوان مختلفة وعليها رسومات وصور مختلفة لتزيين جدران البيوت وأراضي القاعات المخصصة للجلوس والضيافة وكانت بلاد فارس مركز هذه الصناعات وتطورها في غرب آسيا. فانتشرت بها الأنوال ومن فارس انتقلت هذه الصناعة إلىٰ العراق مقر الخلافة العباسية حيث تطورت وظهرت منها أنواع نفيسة غالية الثمن، انتشرت في أوروبا عبر الحركة التجارية العربية نحو الغرب في العصور الوسطىٰ.

وإلىٰ جانب صناعة السجاد انتشرت صناعة المنسوجات الحريرية والقطنية والصوفية التي توافرت خاماتها محليا في بلاد فارس والعراق وأقاليم شرق الدولة في بلاد ما وراء النهر. وكانت مدن شيراز وأصفهان و تبريز مراكز صناعية لهذه الصناعات، كما انتشرت صناعة الأواني المصنوعة من الخزف وصناعة الفسيفساء والقيشاني المستخدم في تزيين جدران المساجد والبيوت بألوانها المختلفة في سوريا وخاصة مدينة دمشق التي غدت مركزة لها.

وانتشرت بمصر الصناعات المتعلقة بالنسيج وصناعة الورق الذي انتقل إليها من الصين عبر العراق وفارس. أما في بلاد الشام فقد انتشرت صناعة الزجاج في بيروت وصيدا وصور علىٰ سبيل المثال وهي صناعة أصلها كنعاني- عربي.

هذا بالإضافة إلىٰ صناعات متعددة محلية في كل الأقاليم التابعة للدولة الإسلامية، والتي شكلت جميعها جزءا من الدخل العام للدولة، وكانت أساس حركة التجارة البرية والبحرية العربية المحلية والدولية.

3. التجارة:

كانت التجارة نتيجة حتمية لتقدم وتطور الحرف الصناعية و الزراعية شرقًا وغربًا، واحتياج كل إقليم منها إلىٰ منتجات الآخر ولم يكن العرب غرباء عن التجارة فقد عملوا بها قديمًا وأصبحوا سادتها خلال العصور القديمة، إذ مثّلوا الوسيط الناجح في عملية التبادل التجاري بين مناطق العالم القديم. وفي مطلع نشأة الدولة العربية الإسلامية ارتبط العمل بالتجارة بأهل الذمة من اليهود والنصارىٰ الذين وجدوا في عدالة الإسلام وسماحة خلق العرب فرصة لممارسة العمل في هذا المجال، ولكن بحدوث الاستقرار عقب نجاح حركة الفتح العربي الإسلامي عادت التجارة إلىٰ أيدي العرب المسلمين الذين عملوا علىٰ تطويرها وإدخال التحسينات عليها من خلال توفير الأمن وتنشيط

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

المحطات البرية وتطوير الموانئ البحرية، حتىٰ غدت مدنها ذات شهرة تجارية عالمية، مثل دمشق وبغداد والبصرة والقاهرة والإسكندرية وطرابلس الغرب وغيرها.

وقد خص العرب التجارة مع الشرق الأقصىٰ باهتمامهم وذلك لسببين اثنين: أولهما أن هذه المنطقة كانت ميدانا خصبا للمتاجرة معها. وثانيهما أن هذه العلاقات السليمة بين المنطقتين أتاحت للعرب المسلمين تجارا ودعاةً للإسلام فرصة لنشر دينهم ولغتهم بين أممها، ولا تزال دول عديدة بهذه المناطق تدين كاملة بالإسلام بفضل الجهود التي بذلها التجار العرب.

وقد اتبع العرب طريقين للتجارة مع هذه المناطق هما:

أ. الطريق البحري عبر البحر المتوسط، فالبحر الأحمر والخليج العربي وبحر العرب في المحيط الهندي إلىٰ الهند وجنوب شرق آسيا والصين وغيرها من هذه المناطق.

ب. الطريق البري الذي أطلق عليه المؤرخون (طريق الحرير القديم) الذي يمر من بلاد الشام والعراق إلىٰ بلاد فارس وخراسان إلىٰ بلاد ما وراء النهر عبر سمرقند وتركستان إلىٰ الصين وقد ارتبط اسم هذا الطريق بسلعة الحرير الصيني ذي الشهرة العالمية في العصور الوسطىٰ.

أما بالنسبة للتجارة مع المنطقة الغربية من الدولة العربية الإسلامية، فقد حظيت أيضاً باهتمام كبير، فمارس العرب المغاربة التجارة مع الأندلس وأوروبا كما تعاملوا مع الأمم الإفريقية الساكنة جنوب الصحراء. وانطلقت من مصر وجنوب شبه الجزيرة العربية والخليج رحلات تجارية عبر البحر الأحمر والقرن الإفريقي والمحيط الهندي إلىٰ سواحل إفريقيا الشرقية ومدغشقر وغيرها. وكدليل علىٰ اهتمام الدولة العربية الإسلامية بربط التجارة العالمية وتيسير طرقها واختصارها، تفكير الخليفة العباسي هارون الرشيد- وحسب ما تورده العديد من المصادر- في توصيل البحر الأحمر بالبحر المتوسط عبر قناة بحرية وقد كان يطمح من خلال ذلك إلىٰ إحكام السيطرة علىٰ البلاد وبذلك يكون هذا المشروع قد سبق الاهتمامات الأوروبية بمئات السنين.

وكانت القوافل التجارية العربية البحرية والبرية تحمل نوعين من المنتجات والبضائع منها ما هو منتج أو مصنع بالأرض العربية ومنها ما هو مستورد من مناطق أخرىٰ ليحمل إلىٰ غيرها وبذلك لعب التجار العرب دور الوسيط والشريك في نفس الوقت.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

خريطة تبين طرق التجارة في العصر الوسيط

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الحياة الثقافية

أ. العلـــــوم:

يقتصر تعريفنا للعلوم في هذا الجانب على العلوم العقلية المرتبطة بالتجريب والاستنتاج وتدوين النتائج واختبارها ثم تعميمها وتحويلها إلى واقع يستفاد منه في الحياة العامة.

وأهم هذه العلوم:

1. علم الكيمياء:

نال علم الكيمياء اهتماما خاصا من جانب العرب وقطعوا فيه شوطا طويلا بالرغم من أنهم لم يصلوا إلى نتائج كبيرة مثل التي وصلوا إليها في علوم ومعارف أخرى. لكن الذي لا شك فيه أنهم وضعوا أساسه الذي سار عليه الغرب بعد ذلك في مطلع عصر النهضة.

ومؤسس علم الكيمياء العالم العربي جابر بن حيان حوالي عام (159 هـ/ 776 م) وقد أورد كل تجاربه ونظرياته وأبحاثه في هذا العلم في كتبٍ ألّفها، والتي أكّد فيها على أهمية التجربة في علم الكيمياء للوصول إلى نتائج. وبالرغم من أن الهدف الأساسي الذي أتجه نحوه معظم علماء الكيمياء في تلك العصور هو محاولة تحويل المعادن ذات القيمة الوضيعة إلى معادن ثمينة كالذهب مثلا فإنه من خلال أبحاثهم توصلوا إلى نتائج كثيرة متعلقة بالأحماض ودراسة التكليس والتحويل والتبخر والتصعيد والإذابة والبلورة فظهرت دراسات وافية بعد أن كانت كلها تعتمد على ما ذكره العالم اليوناني أرسطو في العصور القديمة فقط.

2. علم الفيزياء (الطبيعة):

ساهم العلماء العرب في تقدم علم الفيزياء وخاصة في مجال البصريات التي صححوا أساسها الذي كان سائداً وفق آراء العلماء الإغريق (اليونانيين) القدامى مثل أقليدس وبطليموس وأفلاطون، والذين كانوا يرون جميعا أن الرؤيا مثلا تتم بواسطة أشعة ترسلها العين إلى الأشياء، إذ وصل علماء العرب إلى استنتاج أن الرؤيا تتم عن طريق خطوط الضوء التي ترسلها الأشياء إلى العين.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

وكان رائد الفيزياء العربي، العالم الحسن بن الهيثم (354 – 430 هـ/ 965 – 1040 م) الذي أجرىٰ العديد من التجارب علىٰ المرايا وشبه الظل وغيرها، كان لأبحاثه وتجاربه أثر في علم الفيزياء، وبقيت نظرياته إلىٰ عهد قريب في أوروبا هي أساس لعلم الفيزياء وخاصة في مجال المرئيات.

3. علم الفلك:

يرتبط علم الفلك بالبدايات الأولىٰ للدولة العباسية حيث أقدم العالم العربي محمد بن إبراهيم الفزاري (ت الوفاة 180 هـ/ 796 م) علىٰ ترجمة بعض المراجع الهندية في علم الفلك، ومنها بدأ الاهتمام بهذا العلم. كما يعود إليه الفضل في استخدام آلة الإسطرلاب في رصد الكواكب والنجوم.

ويعتبر العالم أبو الريحان البيروني (362 – 440 هـ/ 973 – 1048 م)، رائداً لعلم الفلك الإسلامي الذي وضع العديد من المؤلفات حول هذا العلم ونظرياته. وكان مما توصل إليه من نتائج تأكيد دوران الأرض حول محورها وميل ذلك المحور، كما وصل إلىٰ تحديد دقيق لخطوط الطول ودوائر العرض.

وكان مما ساعد علىٰ تطور الدراسات والتجارب المتعلقة بعلم الفلك انتشار المراصد الفلكية التي قام من خلالها العلماء بتجاربهم. وكان أول مرصد أنشأه العرب المسلمون مرصد مدينة ((جند يسابور)) في القرن السادس الهجري/ القرن التاسع الميلادي.

وفي عهد الخليفة العباسي المأمون تم إنشاء مرصد بمدينة بغداد وأجريت به تجارب عدة شارك فيها علماء الرياضيات والفيزياء والفلك.

كما كان المرصد الذي تم إنشاءه بمدينة الرقة بسوريا متخصصا في دراسة القمر وحركة مساراته وعلاقته بالأرض والشمس وغيرها.

4. علم الرياضيات:

كان رائد الرياضة العربية الإسلامية العالم محمد بن موسىٰ الخوارزمي، مؤسس علم الجبر الذي لا زال يحمل نفس الاسم العربي في كافة اللغات الأوروبية الحديثة. وقد عاش الخوارزمي بين عامي (164 – 232 هـ/ 781 – 847 م) ووضع كتابه المشهور (الجبر والمقابلة) الذي بقي مرجعاً لقرون عديدة في مجال الرياضيات وكانت الرياضيات قد

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

تطورت عقب استخدام العرب للأرقام الهندية (التي كانت تسمىٰ بالعربية) وما زالت إلىٰ اليوم مستخدمة في العديد من البلاد العربية، حين دخل علم الرياضيات الهندي بأرقامه ونظامه بعد أن ترجم إلىٰ اللغة العربية في وقت واحد مع علم الفلك.

وعمل العلماء العرب علىٰ تطوير علم الرياضيات بعد أن ابتكروا الصفر الذي حل العديد من المشاكل الرياضية. كما ابتكروا نظام الكسور واستخراج الجذور التربيعية.

وقد استخدمت الرياضيات في العديد من العلوم الأخرىٰ وكان التعاون واضحا ووثيقا بين علماء العلوم الطبيعية الأخرىٰ مع علماء الرياضيات مما كان له الأثر في الوصول إلىٰ نتائج باهرة.

5. علم الطب:

كان علم الطب في الدولة العربية في أول الأمر معتمدا علىٰ الأطباء السريان الذين كانوا علىٰ علم باللغات القديمة وهم الذين نقلوا وترجموا العديد من الكتب اليونانية والهندية في الطب إلىٰ العربية، كما كان علم الطب معتمدا في مصدره علىٰ الكتب الموروثة من الحضارات السابقة والاستفادة منها.

وفي البدايات اشتهر في المجتمع العربي الإسلامي عدد من الأطباء منهم يحيىٰ بن ماسويه (163 – 243 هـ/ 777 – 857 م) وحنين بن إسحاق (192 – 260 هـ/ 808 – 873 م) وثابت بن قرة (221 – 288 هـ/ 836 – 901 م) وكلهم غير مسلمين، وإنما دخلوا في خدمة الدولة والخلفاء، وكانوا جميعا محل ثقة في علاج أولاد الخلفاء وغيرهم.

ثم أشتهر بعدهم الطبيب أبوبكر الرازي (250 – 311 هـ/ 864 – 923 م) الذي صنف كتبا كثيرة في الطب بقيت إلىٰ عهد قريب من المراجع الهامة في هذا العلم ولعل كتاب (الحاوي) كان من أشهرها والذي شمل إثني عشر بابا في كل علوم الطب وما يتعلق بها.

كما ظهر الطبيب علىٰ بن العباس المجوسي (384 هـ/ 994 م) الذي ألف كتابا أسماه (كامل الصناعة) وأهم ما يخلّد ذكر هذا الطبيب أنه كان أول من وصف (الجدري) وأسبابه الظاهرية والباطنية وأعراضه وطرق علاجه في كتابه هذا ومن المعروف أن مرض الجدري كان من أمراض ذلك الزمان، وكان يفتك بالآلاف من السكان عندما يجتاح منطقة ما.

ولعل أشهر الأطباء في الدولة العربية الإسلامية علىٰ الإطلاق الطبيب أبو علي

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

بـن سـينا (370 – 427 هـ/ 980 – 1037) الـذي كان في الأصـل فيلسـوفًا ثـم درس الطـب وتنقل في أرجاء الدولـة مساهمًا في العـلاج والتعليـم وكان خلاصـة عمله في هـذا العلـم كتـاب (القانـون) الـذي ظـل المرجـع في التدريـس في مـدارس الأطبـاء في كل مـن آسـيا و أوروبـا أكثـر مـن سـتة قـرون.

هـذا بالإضافـة إلـىٰ الاهتمامـات الطبيـة التـي ظهـرت في أقاليـم الدولـة جميعهـا مثـل مصـر وشـمال إفريقيـا والأندلـس وغيرهـا وكلهـا مسـاهمات عربيـة إسـلامية في هـذا المجـال.

وقـد خُصصـت أماكـن لعـلاج المرضىٰ، سـميّت بالبيمارسـتانات، أشـبه بالمستشـفيات اليـوم وقـد توافـرت فيهـا جميـع مقومـات العـلاج والمتابعـة وكان يشـرف عليهـا رئيـس الأطبـاء مهمتـه متابعـة أعمـال الأطبـاء (الحكمـاء كمـا كانـوا يسـمون) وكان الطبيـب يتعـرض للعقـاب إذا مـات مريضـه بسـبب الخطـأ والإهمـال.

ب. الآداب:

وهي التي يطلق عليها العلوم الإنسانية أو النقلية وتشمل:

1. علوم الدين:

ويقصـد بهـا العلـوم المتعلقـة بصلـب العقيـدة وجوهـر الإسـلام وترتكـز أساسـًا علـىٰ القـرآن الكريـم وأقـوال الرسـول الكريـم ﷺ واجتهـادات العلمـاء والصحابـة.

وقـد تطـورت علـوم الديـن علـىٰ مـدار تاريـخ الدولـة العربيـة الإسـلامية حيـث كان الاهتمـام بهـا يـأتي في مقدمـة الاهتمامـات لارتباطهـا بحياتهـم اليوميـة.

وقد شملت علوم الدين الفروع الآتية:

أ) تفسير القرآن الكريم:

بالرغـم مـن أن القـرآن الكريـم نـزل بالعربيـة إلا أنـه جـاء بقمـة الإعجـاز اللغـوي إلـىٰ درجـة لـم تكـن معظـم نصوصـه مفهومـة مـن الجميـع وخاصـة تلـك المسـائل التـي جـاءت موجـزة. ومـن هنـا، كانـت الضـرورة تحتـم وجـود مـن يفسـر ويوضـح المعـاني والألفـاظ وأسـباب النـزول والأحـكام. ولهـذا نشـأ علـم التفسـير، وكان مـن أشـهر مـن فسـر القـرآن الكريـم في البدايـة علـي بـن أبـي طالـب (23 قـ هـ – 40 هـ/ 599 – 661 م) وابـن العبـاس (3 قـ هـ – 68 هـ/ 619 – 689 م) وعبـد الله بـن مسـعود ((بيـن37–31) قـ هـ – 32 هـ/ (بيـن 586–

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

592) – 653 م) وغيرهم.

ثم تطور هذا العلم على يد العديد من العلماء الذين وضعوا المصنفات الكبيرة مثل الطبري (224 – 310 هـ/ 839 – 923 م) والقرطبي (600 – 671 هـ/ 1204 – 1273 م) والزمخشري (467 – 538 هـ/ 1074 – 1143 م) وابن كثير (701 – 774 هـ/ 1301 – 1373 م) وغيرهم.

ب) علم الحديث:

والحديث في الأصل هو ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم من قول أو عمل أو تقرير وكان مصدره ما نقله عنه الصحابة وأهل بيته والتابعون. ونظراً لأن الحديث لم يدون مثل القرآن، وإنما اعتمد على الحفظ والنقل مشافهة، مما أدّى إلى ظهور أحاديث وضعت في ظروف سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية معينة أو لخدمة هدف ما. فعمل علماء الحديث على التصدي لهذه الظاهرة وقاموا بتأصيل الأحاديث وفق روايتها وأخرجوا الأحاديث الضعيفة جانباً.

ومن أشهر علماء الحديث الإمام البخاري (194 – 256 هـ/ 810 – 870 م) ومسلم (206 – 261 هـ/ 822 – 875 م) وابن ماجة (209 – 273 هـ/ 824 – 886 م) وابن كثير (701 – 774 هـ/ 1301 – 1373 م) وغيرهم.

ج) علم الفقه وأصول الفقه:

علم الفقه: هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المستنبطة من الأدلة التفصيلية. والمراد بها كل ما يتعلق بالعبادات والمعاملات والأحوال الشخصية والجنايات والنظم العامة واستنباطها من الكتاب أو السنة فإذا لم يجدوا فيها المطلوب يكون القياس على قضية سابقة أو مشابهة الرأي، أو الإجماع إذا تعذر ذلك. وقد تولى هذه المهمة العديد من العلماء.

أما أصول الفقه: فهو القواعد والشروط الاستنباط الأحكام بدلاً من تركها للاجتهادات التي يقع الضرر بعدم ضبطها.

ومن العلماء الذين برعوا في علم الفقه وأصوله الإمام مالك (93 – 179 هـ/ 711 – 795 م) والشافعي (150 – 204 هـ/ 767 – 820 م) وأبو حنيفة (80 – 150 هـ/ 699 – 767 م) وابن حنبل (164 – 241 هـ/ 780 – 855 م) وغيرهم.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

2. علوم اللغة:

اتسع استخدام اللغة العربية في الولايات والأمصار وخاصة بعد تعريب الدواوين على أيام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان. وقد تطلب الأمر استخدام ألفاظ ومصطلحات لم يكن للعرب عهد بها من قبل وذلك في النظم السياسية والإدارية وأحكام الشريعة الإسلامية وغيرها من المعاملات. كما أن توسع البحث العلمي وازدهار النشاط الثقافي عموما جعل العديد من الألفاظ والمصطلحات تدخل اللغة العربية من اللغات الأخرى القديمة مثل اليونانية والفارسية والرومية وغيرها. كل ذلك دفع الدارسين إلى محاولة البحث في أصول الألفاظ ومعانيها وطرق اشتقاقها وما يقابلها في اللغات الأخرى. وقد ترتب عن هذا ظهور علم اللغة العربية للمحافظة عليها من خلال المعاجم اللغوية التي ظهرت لهذا الغرض حماية لهذه اللغة.

ثم جاء بعد ذلك الاهتمام بعلم النحو الذي لم يكن أول الأمر علما مكتوبا أو مدونا نظرا لاستقامة كلام العرب على البديهة وامتياز البداوة بالفصاحة.

وكان البدوي المتغرب في الصحاري يستطيع إدراك الخطأ واللحن في الكلام بمجرد سماعه وكان يتضايق جدا إذا حدث ذلك ويعتبره تكسيرا. ولذلك كان الشعر الجاهلي والنثر من أهم مقومات اللغة قبل الإسلام وميزان ضبطها.

وبعد الإسلام كان القرآن الذي نزل باللغة العربية الفصحى ضابطا وميزانا لها، بالإضافة إلى كونه كتاب تشريع وهداية للبشرية جمعاء ومصدرا للإسلام. فزاد ذلك من قيمة اللغة العربية.

وقد قام الأعاجم الذين دخلوا في الإسلام بتعلم اللغة العربية لإقامة الشعائر الدينية ولأجل الاندماج في المجتمع الجديد، ولكن هذا الاختلاط أدى إلى ظهور اللحن في اللغة على نطاق واسع، الأمر الذي استوجب معه وضع علم النحو لحفظ هذه اللغة. ومؤسس علم النحو العالم أبو الأسود الدؤلي (16 ق هـ - 69 هـ/ 607 - 688 م) الذي عرض على والي العراق (زياد بن أبيه) (1 - 53 هـ/ 622 - 672 م) وضع قواعد تحمي اللغة العربية من الانحراف وتقوم اللسان من اللحن فكانت ولادة علم النحو.

وقد كانت مدينة البصرة موطنا لأبي الأسود الدؤلي ومكانا الميلاد علم النحو. ثم خرجت مدينة الكوفة باجتهادات في هذا العلم أيضا، وظهرت بعض الاختلافات في بعض القواعد بين علماء المدينتين، ثم توحدت الجهود على يد العالم النحوي الخليل

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

بن أحمد الفراهيدي (100 – 170 هـ/ 718 – 786 م) وهو أول مراحل المدرستين البصرية والكوفية، ومن بعده العالم سيبويه (148 – 180 هـ/ 765 – 796 م).

3. علم التاريخ:

لَقِيَ علم التاريخ اهتماما خاصا من العرب المسلمين وجاء هذا الاهتمام في البداية نتيجة حرصهم على معرفة سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وصحابته والمعاناة التي تعرضوا لها والغزوات التي خاضوا غمارها، بالإضافة إلى أخبار الفتوحات والمعارك الكبرى التي انتصر فيها الإسلام على الشرك ضد الفرس والروم وغيرهم.

وقد تطور تدوين التاريخ عند العرب وفق العصر الذي ظهر فيه المؤرخ فكان في البداية معتمدا على السند أو المصدر الذي نقل المعلومة، ثم قام العالم المؤرخ الطبري (224 – 310 هـ/ 839 – 923 م) بترتيب الحوادث وفق السنوات مع المحافظة على السند. ثم قام المؤرخ ابن الأثير (555 – 630 هـ/ 1160 – 1233 م) بتناول الأحداث وفق السنوات مع إسقاط السند.

ثم وضع المؤرخ ابن خلدون (723 – 808 هـ/ 1332 – 1406 م) منهجاً جديداً في كتابة التاريخ، وذلك بأن وضع تاريخ كل دولة على حده وقلده في ذلك المؤرخ المقريزي (764 – 845 هـ/ 1364 – 1442 م).

وقد وصلت إلينا العديد من المؤلفات في هذا العلم تهتم بأخبار الملوك والأمراء والمعارك والحروب والفتن متمركزة على حوادث التاريخ السياسي، لكنها لم تتعرض للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العربية الإسلامية إلا عرضاً. ويمكن إرجاع ذلك إلى أن المؤرخ كان يكتب بتأثير من الحكام، فجاء علمه على شكل مدح من يحبه الحاكم، وذم من يكرهه، بالإضافة إلى تعظيم الحاكم نفسه، وقد عرفت كل دولة بمؤرخها الذي كتب تاريخها، وبذلك لا يمكن التسليم بصحة الأخبار التاريخية من عدمها إلا بمعرفة الزمن الذي كتبت فيه، وشخصية المؤرخ وميله السياسي.

4. علم (الفلسفة):

ظهر علم الفلسفة عند العرب متأخرا على أيام الخليفة المأمون قرب نهاية العصر العباسي الأول. وكان ظهوره نتيجة لنجاح حركة الترجمة من اللغات الأخرى إلى العربية.

وكان مجال دراسة الفلسفة عند العرب المسلمين مبنيا على هدف واضح وهو

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

التوفيق بين الدين والفلسفة وعدم السماح بوجود التعارض بينهما.

وكان ازدهار هذا العلم في المشرق العربي على يد علماء كبار وهم الكندي (185 – 256 هـ/ 805 – 873 م) والفارابي (260 – 339 هـ/ 874 – 950 م) وابن سينا (370 – 427 هـ/ 980 – 1037 م) وإخوان الصفا وخلان الوفا (جماعة من فلاسفة وعلماء المسلمين ظهروا في القرن الثالث الهجري/ العاشر الميلادي) وغيرهم. وفي المغرب العربي والأندلس على يد العالم ابن رشد (520 – 595 هـ/ 1126 – 1198 م) وغيره.

وقد تأثرت الفلسفة الإسلامية بما وصلها من الفلسفة اليونانية القديمة وفلاسفة اليونان خاصة فيما يتعلق بقضايا الفكر والجدل والمناظرة، وهي قضايا فرضت على الفلاسفة المسلمين أن يكون لديهم إلمام واسع بكل العلوم.

5. علم تقويم البلدان (الجغرافيا):

بدأ علم الجغرافيا عند العرب المسلمين عن طريق تدوين مشاهدات التجار العرب عندما كانوا يجوبون مشارق الأرض ومغاربها في العصور الوسطى، وقد وصلوا إلى الصين وجنوب شرق آسيا والهند وإلى روسيا وأواسط آسيا والمحيط الأطلسي وشرق إفريقيا وغربها وكانت هذه المشاهدات في البداية يلقيها التاجر المشاهد على الناس من باب الحديث والإعجاب فالتقطها بعض المهتمين بهذا العلم دوّنوها في كتب كانت الأساس لعلم الجغرافيا.

وأول من عرض تلك الذكريات سنة (237 هـ/ 851 م) سليمان التاجر (القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي)، الذي وصف فيها زيارته للصين والهند عدة مرات في رحلات تجارية وليست علمية.

أما على المستوى الرسمي فقد جاء تكليف الخليفة العباسي المقتدر الأحد العلماء ويدعى (ابن فضلان (255 – 348 هـ/ 877 – 960 م)) بالسفر إلى بلاد البلغار وكتابة وصف لحياتهم وبلادهم الواقعة على نهر (الفولجا) فكان بذلك أول وصف رسمي متخصص.

ثم تطورت الرحلات الجغرافية خارج البلاد العربية حيث دون الذين قاموا بها مشاهداتهم ووصفهم لبلاد مختلفة المظهر والسكان والبيئة.

أما في الداخل فكانت الضرورة لجمع الضرائب والخراج والحروب والقضاء على حركات المعارضة تستدعي الكتابة والوصف لكل الأقاليم والطرق والمسالك والجبال

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

والأنهار والمدن وغيرها بذلك كانت المادة الجغرافية في هذا الجانب غزيرة وأشهر الجغرافيين العرب ابن حوقل (340 – 378 هـ/ 943 – 988 م) والمقدسي (336 – 380 هـ/ 947 – 990 م) وياقوت الحموي (574 – 626 هـ/ 1179 – 1229 م) والمسعودي (~283 – 346 هـ/ ~896 – 957 م) وغيرهم ولا زالت كتبهم مراجع أساسية في علم الجغرافيا حتىٰ اليوم.

كما أن العديد من الرحالة العرب قد أشبعوا هواياتهم ورغباتهم في الترحال والتنقل في مشارق الأرض ومغاربها فكانت المعلومات التي جاءت عن طريقهم هامة ومصدرًا للعديد من العلوم، ويعتبر الرحالة بن بطوطة (703 – 779 هـ/ 1304 – 1377 م) رائداً في هذا المجال.

6. علم الاجتماع:

كان علم الاجتماع في أول الأمر يعرف بأنه دراسة ما تتصف به الجماعات البشرية والشعوب من مواصفات في معيشتها وعاداتها وتقاليدها وأعيادها ومواسمها، وكل ما يتعلق بحياة تلك الجماعات وفي تلك المرحلة لم يكن هذا العلم علما مستقلا بذاته، بل كان يذكر عرضا من خلال أعمال العلماء الآخرين المتخصصين في علوم التاريخ والجغرافيا والأدب والرحلات وغيرها. فكان العالم من هؤلاء يشير في معرض حديثه للحياة الاجتماعية للجماعات والشعوب:

الجغرافي ابن حوقل (340 – 378 هـ/ 943 – 988 م) علىٰ سبيل المثال عرض لطباع وعادات أهل جزيرة صقلية عندما زارها وهو يتكلم عن جغرافيتها. وابن بطوطة (703 – 779 هـ/ 1304 – 1377 م) الرحالة العربي الشهير وصف عادات وتقاليد وأعياد كل الشعوب التي زارها في الشرق والغرب وغيرهم كثير.

أما علم الاجتماع المتطور القائم بذاته كعلم يبحث أساسًا في تطور الجماعات وفي دراسة الظواهر و العلاقات الاجتماعية فلم يخرج للوجود عند العرب إلا في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي علىٰ يد العالم الاجتماعي الشهير ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع والذي سبق عصره بأفكاره وآرائه.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

ج. الفنون والعمارة:

1. الفنون:

أ) النحت والتصوير والزخرفة:

لم يهتم العرب المسلمون بالفنون في مطلع ظهور الإسلام وانتشاره وذلك تطبيقا لتوجيهات الرسول صلىٰ الله عليه وسلم الذي نهىٰ عن ذلك لأجل أن يباعد المسلمين وبين العودة إلىٰ عبادة الأصنام والأوثان التي كانوا حديثي العهد بها.

وبعد أن انتشر الإسلام واستقر الإيمان في قلوب أتباعه من العرب وغيرهم، بدأت الفنون في الظهور وذلك في إطار الحركة الفكرية والثقافية وانتشار وسائل اللهو والترف وظهور المبدعين من الفنانين وغيرهم.

ففي العصر العباسي ظهر فن النحت حيث أقيمت التماثيل الدقيقة في ملامحها والتي تدل علىٰ قدرة الفنان العربي علىٰ الإبداع. كما ظهر النحت واضحا علىٰ القباب الأربع التي أقامها المنصور علىٰ أبواب مدينة بغداد.

كما ظهر فن التصوير حيث زينت جدران القصور والمنازل بصورة مرسوم لحيوانات وطيور وصور آدمية لصيادين وهم في حالة قنص كذلك الرسوم التي تبين المواقع الحربية.

وكان العنصر الأساسي في الزخرفة، الرسوم النباتية والهندسية واستعمال النقوش في الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة وقد ازدهر فن النقش في العصر الأموي وما زالت آثاره باقية إلىٰ اليوم.

كما تقدم فن الزخرفة في العصر العباسي، حيث زخرفت القباب وزينت القصور بالرسم و الزخارف ومن أشهرها زخارف الجص التي تغطي أسفل الجدران في بقايا مدينة سامراء. كما انتشرت زخرفة المنسوجات وأسقف المساجد وأعمدتها.

ب) الغناء والموسيقى:

لم يكن غريبا علىٰ العرب والمسلمون الميل إلىٰ الصوت الجميل في أداء الآذان وتلاوة القرآن الكريم حتىٰ عرف التجويد بأنه التحسين في الأداء. وقد اهتم الخلفاء الأمويون والعباسيون بالموسيقىٰ والغناء وأجزلوا المنح والعطايا للفنانين.

ونتيجة لزيادة العمران وتدفق الثروة في العصر العباسي ظهر الكثير من المغنيين

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

والموسيقيين وقد نبغ منهم إبراهيم الموصلي (125 – 188 هـ/ 742 – 804 م) وابنه إسحاق الموصلي (150 – 235 هـ/ 767 – 849 م) والكندي (185 – 256 هـ/ 805 – 873 م) والفارابي (260 – 339 هـ/ 874 – 950 م). وكان منصور زلزل من أفضل ضاربي العود.

كذلك ظهر أبو الحسن بن نافع المشهور بـ (زرياب) (173 – 243 هـ/ 789 – 857 م) في بغداد ثم ارتحل إلىٰ الأندلس وطور فن الغناء والموسيقىٰ بها. وقد تنوعت الآلات الموسيقية عند المسلمين مثل الناي والعود والدف والرباب والقيثار وغيرها.

2. العمارة:

انقسمت العمارة الإسلامية إلىٰ ثلاثة أقسام:

أ) عمارة مدنية:

وفيها أولع المسلمون ببناء المدن طوال العصور الإسلامية، فأنشئوا مدن البصرة والكوفة والقيروان وبغداد والقاهرة وغيرها. وقد شيدت بها القصور. كما تطور بناء المنازل من دور واحد إلىٰ بناء القصور الشامخة من الحجارة والرخام. وأصبح للمسلمين فن معماري خاص جاء من امتزاج فنون العمارة المختلفة في أرجاء الدولة الإسلامية وبلغت قمته في العصر العباسي.

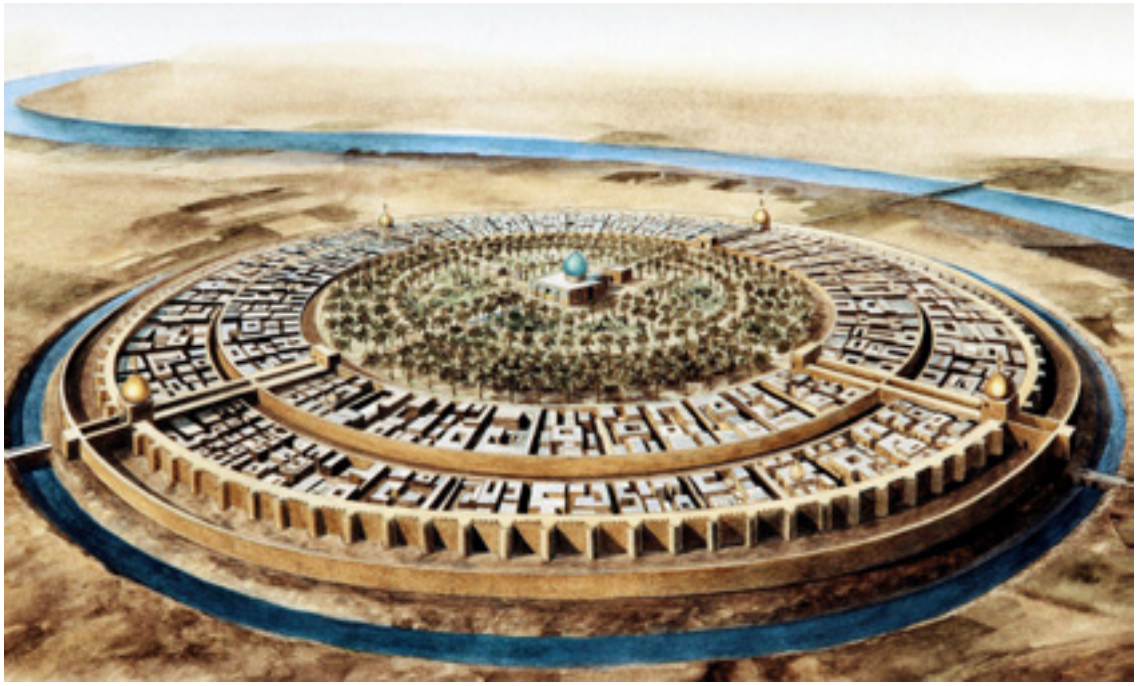

مدينة بغداد التي أنشأها الخليفة العباسي (المنصور)

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

ب) عمارة دينية:

وقد تمثلت في الاهتمام ببناء المساجد وكان المسجد النبوي الشريف في المدينة النبوية أول مبني إسلامي بني من الطين وسقفه من الجريد، وأعمدته من جذوع النخيل وقد تبع ذلك اهتمام المسلمين ببناء مساجدهم عند بناء المدن الجديدة وأصبحت هذه المساجد آية في فن العمارة مثل المسجد الأموي في دمشق ومسجد الرملة بفلسطين ومسجد القيروان بتونس.

المسجد الكبير بالقيروان -تونس

المسجد الأموي بدمشق

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الجامع الأزهر بالقاهرة

ج) عمارة حربية:

وتمثلت في بناء الحصون في الثغور التي تقع بين أرض المسلمين وأرض الأعداء كما أقام المسلمون الأسوار حول المدن لحمايتها.

سور مدينة سوسة (أحد آثار الأغالبة)

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

المراكز الحضارية العربية

يقصد بالمراكز الحضارية العربية تلك المدن التي فتحها العرب المسلمون وقاموا ببنائها عقب عملية الفتح وانتشار الإسلام. وقد حملت تلك المدن لواء الثقافة والفكر والفنون و العلوم حيث استقر بها العرب الفاتحون ثم أسسوا بها المرافق لإقامة الدين وتعليم الرعية. وَمَا لبث أن أصبحت مراكز للعلم والثقافة يتقاطر عليها طلاب العلم ورواد المعرفة للاتصال بمدارسها ومؤسساتها والأخذ من علمائها وفقهائها فأصبحت بذلك مراكز متقدمة.

وأهم هذه المراكز:

أ) مدينة بغداد:

سبق وأن تطرقنا إلىٰ بناء مدينة بغداد عند الحديث عن العصر العباسي الأول في عصر الخليفة أبي جعفر المنصور مؤسس هذه المدينة. ولعل الميزة التي تنفرد بها بغداد أنها مدينة مستحدثة بالكامل أي تم إنشاؤها من قبل العباسيين في العصر العباسي الأول.

أصبحت بغداد في العصر العباسي عاصمة للدولة ومركزا للخلافة وملجأ لطلاب العلم ومحل إقامة للعلماء والشعراء والفقهاء والفنيين وغيرهم. كما أن شهرتها الحضارية قد تعدت السياسة والعلم إلىٰ الاقتصاد حيث ألحقت بها منطقة تسمىٰ الكرخ وهي تشمل كافة الأسواق ومحلات أصحاب الحرف المتعددة منها سوق العطارين، والحدادين، والنجارين والوارقين وغيرهم.

وبقي أن نذكر أن بناء هذه المدينة قد استمر أربع سنوات وانتهىٰ عام (148 هـ/ 766 م) وعمل في بنائها حوالي خمسين ألف عامل وأُنفق علىٰ البناء ثماني عشر مليون دينار ذهب.

ب) مدينة دمشق:

نجحت القوات الإسلامية في فتح بلاد الشام وأصبحت دمشق من أهم مراكز الدعوة الإسلامية طيلة عهد الخلفاء الراشدين. وبعد تولّي معاوية بن أبي سفيان الخلافة أصبحت دمشق عاصمة للأمويين طيلة عهدهم وشهدت مجدا عظيما في مجالات العلم والثقافة والترف والبناء بالإضافة إلىٰ كونها مركزاً اقتصادياً في تجارة العالم القديم. وأهم معالمها قصر الخضراء الذي بناه معاوية والمسجد الأموي الذي بناه الخليفة الوليد بن

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

عبد الملك.

ج) مدينة القاهرة:

هي حاضرة الخلافة الفاطمية في مصر المعروفة كانت تسمىٰ في السابق الفسطاط التي بناها عمرو بن العاص بعد فتحه مصر ثم تطورت إلىٰ مدينة القطائع وأخيرا سميت القاهرة علىٰ أثر تأسيسها علىٰ يد القائد الفاطمي جوهر الصقلي.

وكان لمرور نهر النيل بها أثر فعال في ازدهارها وتقدمها.

وقد تطورت القاهرة سريعا فأصبحت مقرا للعديد من العلماء والفقهاء وأصحاب الفنون والحرف المختلفة، كما يعود الفضل إليها في قيادة الأمة العربية الإسلامية ضد أعدائها من الصليبيين والمغول.

وقد ازدادت القاهرة شهرة وبلغت مكانتها أرفع الدرجات عقب سقوط مدينة بغداد علىٰ يد المغول عام 1258 م وانتهاء الخلافة العباسية فانتقلت إليها السيادة والزعامة في السياسة والعلم والثقافة والمعرفة.

د) مدينة القيروان:

تقع إلىٰ الجنوب الغربي من مدينة تونس العاصمة وكان موضعها عبارة عن واد كثير الأشجار تسكنه الوحوش والزواحف فكان أن وقع اختيار القائد المسلم عقبة بن نافع الفهري (1 قـ هـ - 63 هـ/ 622 - 683 م) علىٰ هذا المكان لإقامة مقر لقيادته ومعسكر لجيشه الذي كان هدفه تحرير الشمال الإفريقي من السيادة الرومية ونشر الإسلام واللغة العربية به.

وكان سبب اختيار عقبة لذلك الموقع لبناء هذه المدينة، هو بعده عن الساحل حتىٰ يكون في مأمن من هجوم سفن العدو البيزنطي، وتهديده المستمر للسواحل المغربية. إلىٰ جانب أهمية الموقع كمركز للتجارة البرية بين المشرق وبلاد المغرب وجنوب الصحراء. ففي عام (50 هـ/ 674 م) اختط عقبة بن نافع هذه المدينة وأنشأ بها جامع عقبة المشهور والذي أصبح من أهم مراكز الثقافة العربية والإسلامية ولا زال كذلك إلىٰ اليوم

هـ) مدينة فاس:

وتقع الآن بالمغرب الأقصىٰ (المغرب حاليا) وهي جمع بين مدينتين، هما عدوة القرويين وعدوة الأندلسيين وكان ذلك عام (192 هـ/ 808 م) في عهد الأدارسة.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

تقع فاس في وادٍ فسيح به الماء والهواء العليل بعيدة عن البحر مما زاد في أهميتها وجعلها مركزا للثقافة والعلم. وبها أنشئت أول جامعة للتعليم والبحث العلمي وهي جامعة القرويين. وقد أصبحت فاس عاصمة سياسية وثقافية واقتصادية لدولة المرابطين ودولة الموحدين بعد ذلك. كما أن (بني مرين) اتخذوها عاصمة لهم عام (668 هـ/ 1269 م) مما يدل على تواصل ازدهارها وشهرتها.

و) مدينة قرطبة:

بدأت شهرة مدينة قرطبة عقب سقوط الدولة الأموية ببلاد المشرق وقيام الخلافة العباسية ففر عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) إلى الأندلس وأقام إمارته الأموية، واتخذ مدينة قرطبة حاضرة لإمارته الجديدة وبني بها قصره والمسجد الجامع.

وقد وصفها المؤرخون بأنها تتوسط بلاد الأندلس و بها الأنهار الجارية والشوارع الفسيحة و المباني الضخمة والهواء المعتدل.

مدينة قرطبة بالأندلس

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

وقد نالت قرطبة اهتمام كل الخلفاء الأمويين، فقد أضاف إليها ووسع فيه كل من هشام بن عبد الرحمن (139 – 180 هـ/ 757 – 796 م) والحكم الأول (154 – 206 هـ/ 771 – 822 م) وعبد الرحمن الأوسط (176 – 238 هـ/ 792 – 852 م) ومحمد الأول (207 – 273 هـ/ 823 – 886 م). وقد أصبحت مدينة قرطبة حاضرة الأندلس في الوقت الذي كانت فيه بغداد حاضرة بلاد المشرق. فتميزت بالاستقرار والثراء وازدهار الحياة الثقافية والفكرية. وقد أتاها العلماء والبعثات العلمية من كل حدب وصوب لينهلوا من جامعاتها وحلقات دروسها وأوفدت أوروبا طلاب العلم إليها. وأسهمت قرطبة في الحضارة العربية الإسلامية مساهمة لا ينكرها أي باحث أو مهتم.

وقد قدر العلماء عدد سكان قرطبة في القرن الرابع الهجري/ العاشر ميلادي حوالي مليون نسمة وعدد منازلها 13100 مسكنًا عدا القصور الفخمة ولها ثمان وعشرون ضاحية وثلاثمائة حمّام وثلاثةآلاف مسجد.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

أثر الحضارة العربية الإسلامية على النهضة الأوروبية

قبل أن نتناول اسهامات الحضارة العربية الإسلامية في قيام النهضة الأوروبية نود أن نتعرف علىٰ أحوال أوروبا خلال فترة العصور الوسطي:

- **وضع أوروبا خلال العصور الوسطي:**

يقصد بالعصور الوسطي تلك الفترة الزمنية الممتدة منذ سقوط روما علىٰ يد القبائل الجرمانية عام 476 م وحتىٰ فتح مدينة القسطنطينية عاصمة الدولة الرومانية آنذاك عام 1453 م علىٰ يد العثمانيين. وهي فترة استمرت لمدة عشرة قرون عاشتها أوروبا في ظلمات الجهل والتخلف في الوقت الذي كانت فيه الحضارة العربية الإسلامية مزدهرة في المشرق الإسلامي.

وبسقوط روما تحت ضغط القبائل الجرمانية غير المتحضرة وانتشارها في ممتلكات الدولة الرومانية عمت الفوضىٰ وانحلت الرابطة التي كانت تجمع تلك الأقسام المختلفة، وقُضي علىٰ كثير من معالم الحضارة الرومانية، وأصبحت البلاد الأوروبية متنازعة بين أقوام غير متحضرة، فأهملت الطرق وسبل التجارة، فأصبحت كل جهة منعزلة عن غيرها، واهتمت كل جماعة من ضعاف القوم بزعيم تكفل بالدفاع عنها، مقابل قيامها بخدمته ونصرته، وأدىٰ ذلك إلىٰ نشأة ما يعرف (بنظام الاقطاع).

كما أن ثقافة العصور الوسطىٰ كانت ذات صيغة دينية مبنية علىٰ سيطرة رجال الكنيسة التي ظلت صاحبة الكلمة العليا في أوروبا طيلة العصور الوسطي حيث هيمنت علىٰ مختلف نواحي الحياة، وفرض مفاهيم قائمة علىٰ صرف الناس وإبعادهم عن التفكير في شؤون الدنيا، بل العمل علىٰ الاستعداد للانتقال إلىٰ العالم الآخر والمبالغة في ذلك والركون إلىٰ المجادلات الدينية العقيمة والمفروضة من القساوسة والباباوات الذين احتكروا مباهج الحياة بعكس ما يدعوا إليه الدين الإسلامي من التوازن في العمل بين الدنيا والآخرة قال الله تعالي: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَيٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأٰخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ سورة القصص، الآية (77). هذا بالإضافة ما كان يتمتع به البابا من السيطرة علىٰ السلطة السياسية.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

وبينما كان المسلمون أيام الدولة العباسية يترجمون علوم الأقدمين من إغريق وفرس وهنود ويبتكرون نظريات وعلوم جديدة، وبينما كان العالم الإسلامي يموج بنهضة شملت جميع نواحي الحياة من زراعة وصناعة وتجارة وعلم وفن، كانت أوروبا تغط في نوم عميق إذ كان الجهل متفشياً لأن علم القدماء وآدابهم كانت مدونة بإحدى اللغتين الإغريقية أواللاتينية اللتان كانتا قاصرتان على القليل من الناس لذا بقيت العلوم والآداب كنوز مغلقة، فقد كان علم التاريخ والآداب عبارة عن تصورات وهمية ابتدعوها من نسج الخيال، أما العلوم التطبيقية فقد سيطرت عليها الخرافات.

- **بدء البحث العلمي:**

بقيت أوروبا في هذا الوضع من الجهل والفوضى إلى أن سطعت شمس العلوم الإسلامية، ووصل شعاعها إلى أوروبا عن طريق ثلاثة منافذ رئيسة هي:

1. عبر بلاد الأندلس التي كانت مركز اشعاع حضاري وعلمي يأتيه الأوروبيون من مختلف أنحاء أوروبا ينهلون من معين المعرفة.
2. عبر جنوب إيطاليا حيث ترجمت الكتب والمصادر العربية الإسلامية إلى اللغة اللاتينية.
3. عن طريق الاحتكاك الحضاري أثناء الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي، حيث وجد الأوروبيون القادمون مع هذه الحملات الصليبية حضارة متقدمة في الشرق تختلف عما كانت عليه في أوروبا من انحطاط حضاري فتأثروا بها.

ولذلك لم يكد ينتصف القرن الثالث عشر الميلادي حتي ظهر في أوروبا علماء يخالفون مواطنيهم في الاعتماد على نظريات أرسطاطليس بعد أن درسوا علوم العرب وتشبعوا بطرقهم العلمية في البحث والتدريس حيث شاعت طريقة البحث العلمي الجديدة، وقضي على طريقة علماء العصر الوسيط وبدأت النهضة الأوروبية التي انتقلت فيها أوروبا من فترة العصور الوسطى إلى فترة العصور الحديثة بكل مظاهرها الثقافية والاقتصادية والسياسية في حركة تغيير شامل بمظاهر الحياة عامة والمترتب عليها تغيير في أنماط الحياة وأساليبها نحو التطور والتميز هذا مع العلم بأن حركة النهضة في انتقالها من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة لم يحدث فجأة وإنما تم ذلك تدريجيا على مراحل طويلة امتدت زهاء ثلاثة قرون أو أكثر (من القرن الثالث عشر إلى القرن السادس

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

عشر الميلادي).

- **مساهمة العرب المسلمين في نقل التراث الحضاري:**

لم يقتصر دور العرب والمسلمين على النقل والمزج والترجمة والحفظ، بل تعداه إلى الابداع والاختراع وذلك من خلال الاطلاع على مقومات وإبداعات الحضارات القديمة والاستفادة منها.

فقد وجد العرب الحضارة اليونانية في الشام ومصر والعراق، كما وجدوا الحضارة الفارسية في إيران بعد فتحها، وهي التي لها صلات قديمة بالحضارة الهندية فعرفها العرب المسلمون أول ما عرفوها عن طريق الفرس.

وتولي العرب بالرعاية والعناية ما آل إلى أيديهم من نتاج الحضارات القديمة بعد أن هذبت الحضارة العربية نظم اليونان والفرس والهنود وتراثهم الحضاري وأضافت إليه وقدمته للعالم في صور جديدة. ولولا اهتمام العرب بتلك الحضارات لضاعت معالمها بين ظلمات التعصب والجهل في أوروبا خلال العصور الوسطي.

ومن مساهمات العرب ترجمة أعمال أرسطو في السياسة والفلسفة والمنطق ومؤلفات جالينوس وأبقراط في الطب وبطليموس في الفلك و إقليدس في الحساب.

ولم يقتصر فضل الحضارة الإسلامية على تهذيب التراث الحضاري الإنساني والإضافة إليه بل أسهمت كذلك بإبداعاتها ودراساتها في وضع الحجر الأساسي للحضارة الأوروبية وغيرها من حضارات العصر الحديث:

1. فقد أثرت الحضارة العربية في اللغات الأوروبية تأثيرا كبيرا: وأعظم الأمثلة على ذلك أن معظم أسماء النجوم في اللغات الأوروبية لا تزال تنطق بصيغتها العربية الفلكية والرياضية حافظة لصيغتها العربية في اللغات الأوروبية مثل الجيب والنظير والجبر والكيمياء والصفر.
2. أما في مجال الطبيعة نقل الأوروبيون دراسات ابن الهيثم ونظرياته في البصريات وعلم الضوء. وقد اعتمد العالم الأوروبي (كبلر) على أبحاث ابن الهيثم بعد ترجمتها واتخاذها مرجعا اعتمد عليه في بحوثه الفلكية، كما أن الفنان الإيطالي المشهور من عصر النهضة (ليوناردو دافنشي) عرف أعمال ابن الهيثم ودرسها واستخدمها.
3. في مجال الطب فقد استمدت الدراسات الطبية في أوروبا أسسها من مؤلفات

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الأطباء والعلماء العرب ومنهم الرازي وابن سينا والزهراوي، واعتبرت أوروبا الرازي حجة في الجراحة والكيمياء وأصبح كتابه الحاوي) مرجعا في الدراسات الطبية في أوروبا وكتاب ابن سينا (القانون في الطب) دليل المشتغلين بالطب في أوروبا حتىٰ القرن السابع عشر. كما اتخذت الجامعات البريطانية كتاب الزهراوي في الجراحة مرجعا لدراسة علم الجراحة حتىٰ القرن الثامن عشر الميلادي.

وخلاصة القول إنه لولا الكنوز العربية الأولىٰ في الطب والفلك والرياضيات والكيمياء والفيزياء والبيطرة والزراعة والجغرافيا، لما كان لحركة إحياء العلوم في أوروبا وجود وهي المعروفة بأنها كانت المقدمة لعصر النهضة الأوروبية.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

أسئلة تطبيقية

س1/ «يعتبر الأوروبيون مدينين للعرب بحضاراتهم ونهضتهم الحديثة».
اشرح هذه العبارة موضحا أثر الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوروبية.

س2/ عرف الخلافة، وما هي ألقابها. ثم تحدث عن الشروط الأساسية لمن يتولاها؟

س3/ ما هي الإمارة. وما هي أقسامها مفصلة.

س4/ قارن بين كل من وزارة التنفيذ ووزارة التفويض مع بيان أثر كل منهما علىٰ الحياة العامة.

س5/ ما هي الفائدة التي انعكست علىٰ الدولة العربية الإسلامية من خلال تنظيم الدواوين؟

س6/ « للبريد أهمية خاصة عند الخلفاء» وضح ذلك.

س7/ «الزكاة أحد الموارد الرئيسية البيت المال عند العرب المسلمين» اشرح ذلك مع مقارنة الزكاة بالجزية.

س8/ اكتب ما تعرفه عن:

أ) أهل الذمة.

ب) الموالي.

ج) بدء البحث العلمي في أوروبا.

س9/ «كانت التجارة في الحضارة العربية الإسلامية أساساً لتقدم الصناعة والزراعة» اشرح ذلك.

س10/ وضح الدور الحضاري لكل من المراكز العربية الآتية:

مدينة فاس – مدينة القاهرة – مدينة دمشق.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا